كتاب

العالم الانكليزي

تأليف

بشارة كنعان

الجزء الأول

طبع على نفقة أمين هندية

مطبعة هندية بشارع المهدي بالأزبكية

English World

العالم الانكليزي

المقدمه

« لكل زمان دولة ورجال » فالزمان الآن زمان الدولة الانكليزية تشخص اليها الانظار وتتجه لمعرفة احوالها الافكار وتشتغل بامورها صحف الاخبار حتى اصبحت تسير سياسة العالم في اكثر الامصار والاقطار .

كانت اذ كانت ممالك العالم القديم بين صعود وهبوط في مكان من الارض سحيق هائمة في ظلمات الجهالة فما انعشتها روح الوجود كما انعشت غيرها من قبلها حتى اتكأت على عصا الاقدار وانبعثت ترتقي سلم الحضارة بجليل الاعمال فمضت قرون وتصرَّمت سنون ودارت ادوار واذا بها قد انتهت الى السدة العليا فاستعبدت واستعمرت ودهت واخضعت حتى صار ربع العالم في قبضة سلطانها وصارت الدول العظيمة تخشاها وترهب بأسها تنظر اليها شزراً وتميز منها غيظاً وتتسآل كيف تم لها ما كان فمن قائل ان الزمان قد حاد عن محجة الصواب ودارت احواله على غير محورها الاصلي فرضي عنها تمام الرضا وهام بها حباً ووجدا .

ومن قائلين: إنّا ماسمعنا ان مملكة امتدت وانتفخت مثلها بالغلبة والعظمة حتى هوت من اعالي مجدها ولا ينبئك مثل ما حل بالرومان وغيرهم من قبلها . يتكهنون عنها بمثل هذه الاقاويل وهي بما عليه من الرسوخ امنع من الاهرام تمر الاجيال بعضها وراء بعض والانكليز ناظرون من آفاق جزيرتهم انقراض الدول وقيامها في السلم وفي الحرب وما يحدث لها من النقص والتغيير وهم

على عهدهم الاول لم يحولوا عن قانونهم القديم من عهد الزعيم كرومويل ولم يزيدوا بمرور الايام الا رسوخاً في حقوقهم المشروعة واحتراساً على الاستقلال واطلاق الحرية قولاً وفعلاً

ولما كان الشرقيون عموماً والمصريون خصوصاً لا يلم معظمهم بتاريخ هذه الدولة العظيمة ولا يعرفون من شؤونها وسر ارتقائها غير ما يتصفحونه في صحف الاخبار او بعض التواريخ الافرنجية رأيت ان اتحفهم بهذا المؤلف الذي تحريت فيه كل ما تهم معرفته من تاريخها ونظامها الى آخر ما أدّى بها الى مجدها الحاضر . وقد رغّبني في وضعه انه لم يوضع لهذا العهد كتاب في العربية جامع لما فيه من فرائد الفوائد فشمرت عن ساعد العزيمة على تأليفه مستمداً من المؤلفات الجديدة المخصصة لقص انباء الانكليز كيف ابتدأوا همجاً ثم ترقوا الى ذرى المدنية وما تداول على دولتهم من ظروف الاحوال بين غلبة وانقلاب وانتقال الملك من سلالة الى اخرى . فابتدأت في تعريف جغرافية القوم على ما هي في عهدنا الحاضر ببيان موقع جزيرتهم من الارض وما يحدها من البحار ويخترقها من الانهار ويتخللها من الجبال والاوعار وما اختط فيها من المدن الفخيمة والعواصم المعصومة عن شبيه في العظمة والضخامة وما في تربتها من المعادن ونحو ذلك من المباحث المختلفة التي يهم الوقوف عليها

ثم انتقلت الى تاريخ المملكة القديم والحديث فافردت له فصلا مخصوصاً ذكرت فيه ما يقال عن اصل البريطانيين القدماء وعن قديم عوائدهم ودياناتهم وسيادة الرومانيين عليهم ثم انتقال الحكم الى السكسونيين فالدانماركيين فالنورمانديين فالدول التي تناوبت الحكم فيما بعد مع ما طرأ من الحوادث

التي نشأ عنها بعض الانقلاب في نظام المملكة وكيف تفرقت ثم اجتمعت دولة واحدة كما هي اليوم تحت لواء الملكة فيكتوريا الملقبة بملكة المملكة المتحدة وامبراطورة الهند بحثت بفصل مخصوص على ترجمة حياة هذه الملكة السعيدة المغبوطة المكرمة بين الخلائق وعما بلغ اليه الانكليز في مدة حكمها البالغ قدره نيفاً وستين عاماً من الظفر والعلو الشاهق في الحضارة والعمران

ثم افضت في ذكر المستعمرات وشرح احوالها فهي من ملحقات الدولة تضاف اليها وجديرة والحالة هذه بالذكر والتعريف اذ كانت في الواقع جزءا من المملكة تستمد منه الثروة والنجدة فلم يكُ بداً من احاطة القارئ علما بهذه المستعمرات المنتشرة في انحاء الكرة الارضية المرفوع فوقها العلم الانكليزي بما لم تصل دولة من الدول قديماً وحديثاً الى مثل هذا الاتساع فابنت بوجيز القول عن تاريخ فتوح انكلترا هذه البلدان وذكر الحوادث التي حملتها على الاستعمار والاصول التي اتبعتها مع هذه المستعمرات وما اشتملت عليه من المدن والسكان ومن مصادر الثروة والنعيم التي جعلت هذه الدولة اغنى امة في الكون واوسع تجارة صادراً ووارداً وجعل لها المقام الاول في الابحار والاتجار والادخار

ويلي هذه المطالب مباحث ادبية وفنية وانتقادات في الاخلاق افرزت لها فصلا مطولا لانه ما من امة في العالم اشتهرت بشديد تمسكها بعوائدها والمحافظة على القديم منها مثل الانكليز فعوائدهم عندهم بمثابة نظام الشريعة كل عادة منها تقوم مقام سنة مشروعة ولا ريب ان في دراسة هذا الفصل هداية لمعرفة حقائق القوم والحكم عليهم عدلا من غير رجم ظنون يرسلها

القول جزافاً

ثم بحثت في نظام الدولة السياسي لان الفضل في منعة هذه الدولة قوام دستورها الكافل لامورها فان تفاخر قوم فللانكليز ان يفتخروا بان كانوا مثالاً ينسج عليه غيرهم من الدول اقتداء بهم فالشورى قائمة فيهم متأصلة في اخلاقهم لم تكد امة تفقه حقيقتها كما ادركوها واتبعوا منهجها القويم حتى لم يكن في الارض شعب يحافظ على دستوره ويحترم ملوكه ويحافظ ملوكه على ذلك الدستور كالانكليز .

واستيفاء للبيان اتيت على ذكر لندن عاصمة البلاد مأوى كبار التجار وذوي السعة واليسار ومهد اصحاب جلائل الاعمال تلك العاصمة التي ارتقت الى العمران ارتقاء سريعاً غريباً حتى دعيت ببابل العصر الحديث فابنت بوصف موجز لما اشتملت عليه من الصروح الفاخرة والمباني السنية والآثار العظيمة التي تدهش العقول وتسحر الالباب وقد اتيت بهذا الفصل تمهيدا لذكر حركة التجارة التي ترزق انكلترا من فضلها فشرحت ماجاء عن عظمة هذه التجارة واوضحت النفع الذي يستمده الانكليز منها والاعمال العظيمة التي قاموا للآن بها والتي دون الوصول اليها شيب الرؤوس وبذل الاموال والنفوس حتي اوصلوا سلعهم الى حيث يستطاع الوصول والى حيث تثبت قدم الانسان

ولما كانت الصناعة الانكليزية من اكبر الاسباب في ارتقاء تجارتها لان خمس صادرات البلاد من مصنوعاتها جئت بفصل في بيان مستخرجاتها ومعاملها ومناجمها المنتشرة في اطراف المملكة تلك المناجم التي امتازت على غيرها وصار يفاخر بها الانكليز ويدعونها بالهند السوداء ويفضلونها على كل ما لهم من

الاملاك الواسعة والمستعمرات الكثيرة الشاسعة المنتشرة في انحاء الكرة الارضية

ثم تكلمت على الزراعة من حيث هي الآن وعن تربة الارض وما تنبت من المحصولات واتيت على بيان قوة انكلترا البحرية وعلى ماتبذله من النفقات الباهظة لانشاء البوارج العظيمة والسفن الحربية لتحفظ لها السيادة على البحر وتمتلك ناصيته الى الابد

ثم انتقلت الى ذكر ميزانية الدولة ودينها وموّاد ثروتها مما تجمعه من الضرائب ومصادر صرفها وما يهم معرفته من هذا القبيل مما اوصلها الى درجة الثروة والشوكة والعمران المتمتعة بها الآن

ثم خصصت فصلا بذكر الديانة واصول الدين المتبعة عندهم وما يأتونه من الاعمال الخيرية وما في بلادهم من المستشفيات والكنائس الكبيرة ثم جعلت فصلا آخر لذكر اللغة الانكليزية واللغات التي اشتقت منها ببيان عدد المتكلمين بها في انحاء الارض البالغ قدرهم نيف مائة وعشرين مليونا

واتماماً للفائدة اسهبت في ذكر آداب القوم وفي اصول التربية المتبعة عندهم وما ينفقونه على التعليم ووصفت مدارسهم ثم انتقلت الى شرح الصحافة في بلادهم وما بلغت اليه من الشأن الرفيع اهمية « واعتبارا » في اعين الخلق

وختمت الكتاب بترجمة مشاهير الانكليز في كل مطلب اذ كانوا أئمة لهم يتوارثون تقليدهم خلفاً عن سلف فآثارهم قائمة في العيان وفي الاذهان واحرى بكل امة طلبت العلا ان تحذو حذوهم ففي ذكر الاسلاف المجيدين حث على الفضل ونعم العمل

هذا ولم اسر فيما كتبت مع رياح الاغراض ولا ملت مع هوى الجهل فما اثبت حرفاً الا مما اتصل بي عن الابحاث الحقيقية حتى جاء الكتاب مرآة تمثل في صفحها وجه الحقائق فاستطلعوا يا ايها الشرقيين حقائق ترقي هذه الامة ظواهرها وخفاياها واستجلوا دقائق هذه المواضيع فهو كما قدمت اول كتاب عربي صدر في العربية في هذا المعنى ما اقدمت على وضعه الا تنويرا للافتكار وهداية للمستبصرين

وفي الختام اتوسل الى الله من صميم الفؤاد ان يرشدنا جميعاً الى سواء السبيل حتى نبلغ شأوَ القوم المحدث عنهم ونحرز ما احرزوه ونعلو علوهم همة وقدرا في حمى الحرية والاستقلال والله على كل شيء قدير وعليه الاتكال

لمؤلفه

بشاره كنعان

الباب الاول

« جغرافية الجزائر البريطانية الطبيعية واقسامها السياسية »

CHAPTER I.

PHYSICAL GEOGRAPHY OF THE BRITISH ISLES

تتألف انكلترا من جزيرة بريطانيا العظمى وجزيرة ايرلندا وما جاورهما من الجزائر الصغيرة وهي متوسطة بين العالمين القديم والحديث وواقعة في في المحيط الاطلانطيقي بالجهة الغربيه" من القارة الاوربية

وهى سابع مملكة من ممالك اوروبا في اتساع البقعة ولكن ليس في ارضها شبر واحد من الارض متروكا بلا فائدة او منفعة كلها محروثة عامرة وجبال غنية لم تكن تأوي منذ ٨٠٠ سنة اكثر من ثلاثة ملايين من النفوس وكان عدد سكانها منذ تبوأت اريكة الملك الملكة ڤيكتوريا نصف ماهو الآن فزادوا زيادة سريعة حتى اصبحت وهى تقل كما ظهر من آخر تعداد (٤٠ر١٨٨ر٩٢٧) نفسا والانكليز على ما احصى الجغرافيون يزيدون مليوني نفس في كل عام . وقد قدِّر ان الميل المربع من ارضها يخصه ٣١٢ نفسا

وهى ثانية ممالك العالم بنسبة عدد السكان الى مساحة الارض .

ويقدر ان اول الممالك في هذا التناسب هى بلجيكا لان فيها ٥٣٦ نفسا في كل ميل مربع وتلي انجلترا المانيا وفيها ٢٧٣ نفسا . فايطاليا . ففرنسا . اما

لو احصي سكان قسم انجلترا بدون ايرلاندا واسكوتلاندا لكانت انجلترا اوفر سكاناً من كل البلاد

ولا ريب بان السبب في ازدحام سكانها هو ازدياد عدد المواليد فيها عن الوفيات فيما هو في غيرها فيوجد فيها على كل الف نفس

		مواليد	وفيات	الباقي
في	انجلترا	٣٥	٢٠	١٥
«	المانيا	٤٠	٢٨	١٢
«	فرنسا	٢٦	٢٤	٢

فيتضح مما تقدم ان ارض هذه الجزائر تكاد تضيق باهلها ولذا يهاجر منهم في كل عام (٢٥٠٠٠٠) نفس يعمرون المستعمرات التي لا يمر عليها حين من الزمن حتى تصير ممالك قوية .

ويلي الانكليز في المهاجرة الالمانيون واقل اهل اوروبا مهاجرة هم الفرنساويون .

ويبلغ عدد التابعين للراية الانجليزية في انحاء المعمورة ثلثمائة وخمسين مليونا من النفوس واعظم اقسام المملكة الانكليزية جزيرة بريطانيا العظمى واقعة بين ٥٠ طولا و ٥٨ عرضاً و ٢ شرقاً و ٦ للطول الغربي وهى تتألف من قسم اسكوتلاندا في شمالها وقسم الغال او ويلس في الجنوب الغربي منها وقسم انكلترا في جنوبها الشرقي ويتألف كل قسم من هذه الاقسام من اقاليم عدة تعرف بالانكليزي باسم الشير او كونتي Shire, county وكلها تقاسيم قديمة العهد لا تزال باقية على حالها مع مايضاف عليها .

﴿ انكلترا او انجلند ﴾

ENGLAND

فقسم انكلترا هو اهم اقسام المملكة الانكليزية واكثرها سكانا يبلغ عدد سكانه وسكان قسم ويلس (٣١ر٣٩٧ر٠٧٨) . وهو واقع في الجنوب الشرقي من جزيرة بريطانيا يحده شمالا قسم اسكوتلاندا وشرقاً البحر الشمالي وجنوباً بحر المانش وغرباً بوغاز ماري جرجس والبحر الايرلندي الفاصل بينه وبين ارلاندا .

ويتخلل سواحل هذا القسم كثير من المواني والمرافئ العظيمة المرصعة بالمنارات والاعلام العديدة التي تبقى انوارها الليل كله لهداية السفن وفي مواقع كثيرة منه رؤوس مرتفعة كرأس ليزيد ولانزاند (او رأس البر) واكثر جهاته جبالا واقع شمال نهري همبر ومرزي ويتخلله شمالا وجنوبا سلسلة جبال تعرف بجبال بنين والسلسلة الشمالية وهي متصلة بجبال تشيفيوت الواقعة في تخوم اسكوتلاندا ويخترق ايضاً جنوبه ثلاثة سلاسل متقاطعة تشتمل على جبال نوثوند وسوثوند المشهورة وبينها اودية جميلة وسهول كثيرة رحيبة

وفي انكلترا انهر وجداول كثيرة تصلح للسفر وتسهل اسباب النقل بين المدن التجارية والمعامل منها نهر سفر وهو ينبع من بلاد الغال ونهر توي ونهر اسك وهي تصب في قنال بريستول ونهر مرزى ويصب في بحر ارلاندا عند مدينة ليفربول ثم نهر دي ونهر التيمس ويصبان في البحر الشمالي وبين هذه الانهر ترع كثيرة يبلغ طولها نحو خمسة آلاف كيلو متر وبحيراتها قليلة

ولكنها مشهورة بجمال منظرها واشهرها بحيرة وندرمير

وهواء انكلترا كثير التقلب يختلف في اليوم الواحد مراراً فبينما يكون الجو صحواً اذا بالغيم يطبق الافق ويتراكم فتتدفق الامطار كافواه القرب وتوحل المسالك وهو في الغالب بارد يحوج للاصطلاء وخصوصاً في المقاطعات الجنوبية والسواحل الشرقية ومعظم تربة انكلترا خصب فتكثر فيها الحبوب والكتان وليس فيها من الغابات الكبيرة الا شيء قليل ولا ينبت فيها من الاشجار ماتحتاج اثماره الى الحر والاعتدال وذلك كالعنب والبردقان وقصب السكر الخ ولا يوجد من هذه الاثمار الا ما يخصص لها مواضع تسخن من حرارة النار وقد انقرض كثير من حيواناتها البرية التي كانت تألف الغابات الا ان الحكومة سنت اخيراً قوانين صارمة لحفظ الكثير منها كالايل وخلافه وخيلها مشهورة بحسن منظرها ويعتني الانكليز في جلبها وتربيتها حتى فاقت سائر انواع خيل اوروبا وغنمها موصوفة بجودة صوفها ولحمها وهي تسمن كثيراً بالنظر لاتساع المراعي ووفرة المروج الخصبة فيها وبقرها يعظم جسما في عظم جواميس مصر

ويتألف قسم انكلترا باعتبار نظام الحكومة الاداري من كونتيات او مقاطعات شرقية وجنوبية ومتوسطة وشمالية يحكم كل مقاطعة لورد من لورداتها . اما المقاطعات الشرقية فهي

(١) مقاطعة ميدلسكس وفيها مدينة لندن

(٢) « إيسكس : هريك وهي على البحر

(٣) « كمبريدج : شهيرة بمدرستها العظيمة الجامعة

(٤) مقاطعة سفلك ايسوتش وهي شهيرة بتجارة الحبوب والمحصولات الزراعية وفيها معامل للآلات الزراعية ثم نيوماركت معروفة بسباق الخيل فيها

(٥) نورفك : نوريك مشهورة بما يصنع فيها من المنسوجات الكتانية التي تصدرها من ميناء يارموث القريبة منها وفي هذه البلدة يصطاد نوع من السمك يشبه السمك البردويلي المصري المقدد

اما المقاطعات الجنوبية فتشمل المراعي النضرة والمروج الخصبة وهي

(١) مقاطعة كينت مشهورة بما يزرع فيها من حشيشة الهوبلون التي تعمل منها البيرة وفيها مدينة كنتربري وهي مركز الكنيسة الانجليكانية التي يعد مطرانها من اعظم نواب المملكة يقيم في لوندرا ثم جرينتش على نهر التيمس مشهورة برصدخانتها واعتبارها لدى الجغرافيين مبدأ لخط العرض ثم ثغر دوفر وهو من النقط الحربية الحصينة على بعد ٤٠ كيلو متر من مدينة كالي بفرنسا ومحل مرور بين فرنسا وانكلترا وكذلك ميناء فلكستون القريبة منها فانها معروفة بعلاقتها مع الموانى الفرنساوية ثم مدينة وولیش واقعة على نهر التيمس وهي نقطة حربية حصينة فيها ترسخانة ومدرسة حربية شهيرة ومعامل كثيرة لعمل السفن

(٢) ساري وفيها تمتد شوارع مدينة لوندرا الجنوبية وسوث ارك وفيها مدينة كيو و مدينة رتشموند الشهيرتين بما لهما من المراكب في نهر التيمس ومدينة ابسوم ويجري فيها اكثر الاوقات سباق للخيول وفيها ينابيع مياه معدنية

(٣) بركشير : وندسور الشهيرة بقصرها الملوكي الفخيم

(٤) سسكس :هستن وهو الثغر الذي دخل منه وليم الظافر دوق نورمنديا الى انكلترا وانتصر فيه بعد واقعة عظيمة سنة ١٠٦٦ ثم بريتون وهي جميلة الموقع يقصدها الاغنياء والعظماء في فصل الصيف وفيها حمامات شهيرة ومدرسة عظيمة ويبلغ عدد سكانها (١٣٠،٠٠٠) نفس

(٥) همبشير : پورتسموث مدينة حصينة واقعة في جزيرة في البحر وهي اعظم ثغور انكلترا الحربية وبها معامل كثيرة لاصطناع البيره وزيت السمك وخصوصاً معامل بناء السفن ويبلغ عدد سكانها (١٧٠،٠٠٠) نفس ثم مدينة سوثامبتون وهو ثغر تجاري عظيم ويتبع هذه المقاطعة جزيرة وايت التي فيها القصر الملوكي المعروف بقصر اوسبورن

(٦) ولتشير : وهي على تل مرتفع في ضواحي صحراء سالسبوري وبه كثير من بقايا آثار قدماء البريطانيين

(٧) دورستشير : وهي عبارة عن بحيث جزيرة پوتلند التي استحالت الى ارض فنشأ فيها مرفأ ويموث

(٨) سومرست : باث وهي بلدة من اقدم مدن المملكة واقعة على نهير افون ومعظم دورها مبني بحجر رملي على جوانب آكام عالية وفي انحائها كثير من الرياض والبساتين وهي ملجأ المرضى لما فيها من الينابيع الحارة التي تشفي من الفالج والامراض العصبية والنقرس والخنازير والامراض الجلدية لانها كبريتية قلوية تحتوي على الحديد

(٩) ديفونشير : وهي مقاطعة معتدلة الهواء خصبة التربة فيها بليموث وهي ثاني ثغور انكلترا الحربية في موقع جميل تجاهها منارة اديستون

(١٠) كورنويل : ويستخرج من هذه المقاطعة معدن النحاس الاصفر والقصدير وتنتهي برأس لانزاند او رأس البر وينتشر بجوار هذا الرأس جزائر شيلي و سورلنج وكلها صخور جرداء غير مأهولة ويوجد امام سواحل فرنسا جزائر نورماند منها جزيرة جرزي وهي مشهورة بحماماتها البحرية

وجزيرة جرنزي وفيها مقاطع من حجر الصوان

اما الثمانية اقاليم المتوسطة فارضها خصبة وسكانها يهتم البعض منهم بالزراعة والبعض الآخر باستخراج الفحم والحديد والملح وبكثير من الصنائع وهذه الاقاليم هي

(١) اقليم غلوشستر : مدينة غلوشستر واقعة على نهر سفرن وفيها معامل كثيرة للجوخ ثم مدينة بريستول وهي من المدن القديمة ومحل للوسق بين ايرلاندا وانكلترا وفيها كثير من المعامل لنسج القطن وعمل الآلات واصطناع الزجاج والسكر والمشروبات وفيها ايضا عدد وافر من الآثار والابنية القديمة ككنيسة القديس ردكليف وتشتمل على مكتبة عظيمة للبلدة وعدد سكانها (٢٣٠،٠٠٠) نفس

ثم مدينة جتنهام وهي معروفة بمياهها المعدنية وبما فيها من المباني الفخيمة والطرق النظيفة والرياض الغناء الكثيرة

(٢) اكسفورد : او كسفورد وهي مدينة قديمة العهد مبنية على اكمة جميلة

على مسافة ٥٢ ميلا من لوندن ومنظر بناياتها الفخيمة يروق الناظر ويشرح الخاطر ومعظم تجارتها في الحبوب وهي مشهورة كثيرا بكاتيتها العظيمة وبمكتبتها المشتملة على كثير من الكتب الثمينة

(٣) ووريك فيها قصر فخيم مبني على صخرة عظيمة ثم «كفنتري» وهي بلدة قديمة العهد شهيرة بعمل السلاسل والساعات ثم مدينة برمنجهام وفيها ابنيــة جميلة من دور وكنائس ومن اجمل دورها دار المدينة المشتمل على متحف واف بالآثار ومكتبة عظيمة عمومية وتجارة هذه البلدة متسعة النطاق وفي ضواحيها معادن كثيرة تنتفع منها الصناعة وفيها ورش كثيرة للجلوانوبلاستيا ومعامل عظيمة لاصطناع الآلات التجارية والادوات الحديدية كالمسامير والاسلحة والدبابيس والابر وغير ذلك وهي بالنظر لتوسطها بين مناجم الفحم ومعادن الحديد دائمة الاتصال بكل مدن المملكة بواسطة الترع والسكك الحديدية وهي اشهر مدن الارض في صناعة النحاس فيها عدد عظيم من العمال يعملون في معامل الاواني النحاسية ولم يكن عدد سكانها منذ جيل واحد الا اربعة آلاف نفس واما الآن فهم يقدرون بنحو (٥٠٠٫٠٠٠) نفس

(٤) نوتنهام على نهر ترنت وفي هذه المدينة عرفت صناعة الجرابات وفيها معامل عظيمة لاصطناعها وعمل التخريم والكفوف وعدد سكانها (٢٥٠٫٠٠٠) نفس

(٥) تشستر وهذه المقاطعة شهيرة بملاحاتها وبمروجها النضرة ومراعيها

الخصبة التي يرعى فيها ما يربو على المائة الف بقرة فيحصل منها مقدار وافر من الزبدة والجبن وفيها مدينة استوكبور الشهيرة بمنسوجاتها القطنية والحريرية ثم مدينة بركهند المبنية حديثاً امام مدينة ليفربول فبلغ عدد سكانها (١٠٤ر٠٠٠) تشترك معها بالتجارة ثم مدينة تشستر على نهر دي في موضع قديم انيق

(٦) ستافورد : يغشي ارض هذه المقاطعة معادن الحديد ومناجم الفحم وفيها كثير من المعامل لعمل الادوات الحديدية وعلى الخصوص في مدينة ولفرهمبتون ثم مدينة ستوك ابون ترنت وفيها نحو السبعين الف عامل يعملون فقط في معامل الاواني الفخارية والخزف

(٧) ليشستر وهي مقاطعة خصبة التربة ترعى في مروجها ومراعيها نوع من الغنم الشهير بجودة صوفه وفيها مدينة ليشستر الشهيرة بجودة الجرابات الصوفية

(٨) دربي : وفي هذه المقاطعة كثير من المعادن والمغائر والمناظر البهيجة الطبيعية وفيها المدينة المعروفة باسمها الشهيرة بسباق الخيل الذي يجري فيها

اما المقاطعات الشمالية فان وعرها اكثر من سهلها وهي مشهورة بما فيها من مناجم الفحم الحجري وهي

(١) مقاطعة يورك وهي اكبر مقاطعات انكلترا في اتساع البقعة وفيها بقعة يورك تقابل مدينة كنتربري في اسقفيتها وميدلسبورج وقد اشتهرت حديثاً بما استخرج منها من الحديد ومن المعامل المعدة فيها

للتنقية وليدس وهي مدينة عظيمة بعمل الاقمشة من الصوف والجوخ والبسط وعدد سكانها (٣٧٠ر٠٠٠) نفس ويتبعها في صناعة هذه الاصناف مدينة برادفورد القريبة منها وفيها (٢٤٠ر٠٠٠) نفس ثم مدينة هاليفكس شهيرة بصناعة النظارات ومدينة شفيلد المشهورة بصناعة السكاكين والاسلحة البيضاء ويبلغ عدد سكانها (٣٣٠ر٠٠٠) نفس ثم مدينة هال وهي ثغر هذا الاقليم واقعة عند مصب الهمبر ومحط لتصدير كافة محصولاته وفيها (٢١٠ر٠٠٠) نفس

(٢) مقاطعة لانكستر وهي اعظم مقاطعات المملكة في اتساع الصناعة والتجارة واكثرها في عدد السكان وفيها عدد وافر من مناجم الفحم الحجري ومدنها الشهيرة هي :

ليفربول . وهي ثاني مدن انكلترا التجارية بعد لوندرا كان عدد سكانها في سنة ١٧٠٠ لايتجاوز (٥ر٠٠٠) نفس اما الآن فيبلغ (٧٠٠ر٠٠٠) وهي مبنية على جانب نهر مرزي عند مصبه في بحر ايرلاندا ولم تكن في بدإ نشأتها سوى محل لصيد الاسماك فارتقت كمدينة لوندرا ارتقاء سريعاً حتى صارت من اعظم مواني الكرة الارضية بالنظر لما يتقاطر لمرساها من السفن العظيمة الواردة من اطراف الارض مشحونة بالمحصولات من القطن والحبوب والصوف والجلود وبالبضائع التي تصطنعها في معاملها المديدة ثم تصدرها الى جميع الجهات حتى الواردة منها ومعلوم ان نصف محصولات القطر المصري تصدر اليها ويقدر عدد السفن التي تدخل مرساها في العام

بنحو (٢٠٠٠) سفينة ويتقاطر اليها من التجار ما بين انكليز واجانب نحو (٤٠٠٠٠) تاجر وفيها مبان حسنة اعظمها بناية سانت جورج (ماري جرجس) وهي محل الانتخابات العمومية وفيها كثير من الكنائس والمدارس والملاهي والملاعب

ثم مدينة منشستر وعدد سكانها (٧١٠٠٠٠) نفس وهي اعظم مدن العالم في صناعة القطن والنساجه تقابل مدينة ليون بفرانسا في معاملها الحريرية وتشبه مدينة لوندرا ببعض اسواقها التي يتكاثف فيها الدخان وبحوانيتها العظيمة وبشوارع عديدة وفيها بعض تماثيل الرجال العظام من الانكليز وفيها اول ترعة انشئت في انكلترا وتعرف بترعة بريدجوتر وهي توصل لمناجم الفحم وفيها ترعة اخرى تصلها بمدينة ليفربول وتسهل اسباب النقل ويتبعها في هذه المقاطعة كثير من المدن الصناعية التي تمد معها اقطار الدنيا بمنسوجاتها القطنية مثل اولدهام وبولتون وبلاكبورن وروشدل وبرتلي وويجان وورنجتون ثم مدينة باروا اوف فورنس وقد اشتهرت حديثاً بصناعة الحديد

(٣) مقاطعة كامبرلند : اكثرها جبال وبحيرات ومواقع طبيعية ومناجم تحوي الفحم الحجري ومعدن الرصاص وفيها مدينة وتيهافن معروفة بما فيها من مناجم الفحم

(٤) دورم : دورم وفيها كليه عظيمه شهيرة بما تصدره من الفحم وبما يعمل فيها من السفن وعدد سكانها (١٣٥٠٠٠) نفس

(٥) نور ثمبرلند : نيوكاسل وهو اشهر ثغور الكرة الارضية بتصدير

الفحم الحجري الجيد وفي هذه المدينة من السكان (١٩٠٠٠٠) نفس ويصطنع فيها عدد من المراكب الحربية وهي واقعة على نهر السين على بعد ١٥ كيلومترمن بحر الشمال وفيها كثير من مناجم الفحم العظيمة التي لا تنضب مدى العمر ويتبعها في هذه المقاطعة بتصدير هذا الصنف مدن جاتهاد وشيد ويقدر ما يتصدر من هذه الموانى في العام الواحد نحو (١٠٠٠٠) سفينة مشحونة بالفحم

ويستخرج من معدن الرصاص مقدارا وافرا من جزيرة مان الواقعة في بحر ايرلاندا بجوار هذه المقاطعة

بلاد الغال

WALES

اما بلاد الغال او ويلس فهي في غرب انكلترا يغشى ارضها جبال كثيرة يستخرج منها الفحم الحجري والحديد والرصاص وقليل من الذهب والفضه وهي تقسم الى اثنتي عشرة كونتية

واشهر مدنها مرتير تيدفيل ومدينة يستردي نورويك التي تجاورها وكلاهما مركز لما يستخرج من الفحم الحجري من الجبال المجاورة ثم مدن كارديف وهى ثغر هذه المقاطعة وفيها الفحم الحجري المشهور باسمها ومدينة سونسي شهيرة بثغرها وبما فيها من معامل النحاس الاصفر

وكان اهل هذه المقاطعة عند مادخلها الرومانيون في عصر يوليوس قيصر بخمسه وخمسين سنه قبل المسيح اشداء وفي غاية التوحش حتى كانوا يدعوّن القوة لافترارهم بقوتهم وكان بينهم فئة من الشعراء تنظم القصائد الراوية لحروب امرائهم وابطالهم بقيت معززة مكرمة الى ان ابادها ادوارد ملك انكلترا بسبب تهيجها الشعب ضده بعد ان انتصر على لويس امير هذه المقاطعة وقتل اخاه داوود فانقرضت من ذلك العهد سلالة امراء ويلس وضمت البلاد الى المملكة الانكليزية •

وفي تلك الاثناء رزق ادوارد ولدا فجمع حوله عظماء المقاطعة وكبرائها واخذ الولد على ذراعيه وقال هذا مواطنكم وملككم" فصارت هذه العبارة

تكتب علي ترس امير والس وصار هذا اللقب خاصاً بولي العد من ملوك انكلترا

وقال احد المؤرخين ان اهل والس هم الحريون بان يقال لهم بريتانيون فهم ذو بسالة وشجاعة ولغتهم تشبه اللغة الغالية وتختلف عن اللغة الانكليزية حتى ان الزائر لهم لا يكاد يخطر بباله انه في قسم من بريطانيا العظمى على ان اكثرهم يتكلم الآن باللغة الانكليزية لما عندهم من المكاتب العديدة لتعليمها حتى ان لغتهم الاصلية كادت تزول وتضمحل



اسكوتلاندا

SCOTLAND

اسكوتلاند ويقال لها اسكوتسيا وهي احدى الممالك الثلاث التي تؤلف مملكة بريطانيا العظمى والجزء الشمالي من الجزيرة يبلغ عدد سكانها (٤ر٢٤٩ر٩٤٦) وتفصلها عن انكلترا جبال تشفيوث وتقسمها جبال جرامبيان الى قسمين أعلى ويقال له هايلاند (اي الارض العالية) واسفل ويقال له لولاند (الارض الواطئه)

اما القسم الأعلى فيشتمل على جبال عالية باردة لا تصلح الا لتربية بعض المواشي تعرف بجبال الكلتيين او جبال كالدونيا يتكلم سكانها باللغة الغاليكية التي يعسر فهمها وهم يقربون بلغتهم وعوائدهم من الغاليين والارلنديين . وقد حرصوا كثيرا على عوائد آبائهم القديمة

ويروي ارض هذا القسم نهر دي وتي وفيه بحيرات شتى كبحيرة نس وبحيرة لومند وكثير من الاوهاد والسهول التي جعلت لها مشاهد متنوعه ومناظر مختلفة حسنة ولذلك يقصدها السياح في فصل الصيف للتنزه

اما القسم الاسفل فانه الى جهة الجنوب وارضه جيدة منبسطة تكثر فيها المراعي والمروج الخضراء ويشتمل القسم الغربي من هذا القسم على جزر عديدة تتخللها مياه الاوقيانوس الاطلانتيكي النافذة الى مواطئ الجبال ولذلك تكوّن في تلك الجهة عدد وافر من الخلجان والاجوان اشهرها خليج سولوي وخليج كليد وجون ويقتون ولوس وعلى الشاطئ الشرقي يوج

جون سنكلير وخليج دورنتش وكرومرتي وموراي وسنت اندراوس وفورث . وتروي اراضيها عدة انهار وجداول اعظمها نهر إسبي وري واسك وتاي وفورث وكليد وتويد وامان وليدال . ومن ترعها ترعة كلاسكو الجامعة بين نهر كليد ونهر فورث وترعة كليدونيا الجامعة بين خليج موراي والاوقيانوس الاطلانتيكي .

وعلى نهر فورث مشيد اكبر جسور العالم يعرف بجسر فورث .

وتكاثر في جبالها معادن الحديد والرصاص والفحم الحجري وانواع الرخام وحجر البلور والحجر اليماني ونحوه وفيها ايضاً المعامل والمصانع والصناعة في رواج عظيم لا سيما في القسم الاسفل وصناعة الاهلين مشهورة في نسج الكتان والصوف .

وتقسم بلاد اسكوتلاندا باعتبار نظام الحكومة الى ٣٣ كونتية وعاصمتها مدينة ايدنبرج وهي على بعد ثلاثة كيلو مترات ويبلغ عدد سكانها مع ثغرها ليث القريب منها (٣٤٠٠٠٠) وهي بلدة بهيجة في موقع انيق تكتنفها الجبال الزرقاء وتحيط بها المياه من الاربعة جهات كالاطار وتغشي بناياتها الشاهقة المبنية من الحجر الصلب عدة نجوات متوازية وتتخللها الاودية المشتملة على بيوت عديدة ورياض نضيرة وتنقسم البلد الى شطرين احدهما الشطر القديم والآخر الجديد

اما القديم فانه يشتمل على شوارع ضيقة مظلمة يتصاعد منها في الغالب روائح كريهة تتكاثف فيها ديار عالية شامخة تشتمل الدار على ١٢ طبقة بعضها فوق بعض اما الطرق الواسعة والمباني الانيقة فقد انحصرت جميعها في الشطر

الجديد وفيه كلية الطب الشهيرة باسم البلد والقبة العظيمة المقام عليها تمثال (ولتر سكوت) شاعر الاسكوتلانديين الشهير وتمثال (نيلسون) وقصر عظيم كانت تسكنه (ماري استوارت) وغير ذلك من المباني العظيمة والاثار القديمة

ومن امهات مدنها واشهرها مدينة جلاسكو وهي مشهورة بتجارتها العظيمة ومعاملها الكثيرة لنسج الملابس وعمل المشروب المعروف بالويسكي واصطناع الزجاج وهي ايضاً من اعظم المدن في انشاء المراكب والآلات من الحديد فالسائر في شوارعها اينما سار لايجد سوى الاتاتين العديدة المتأججة بالنيران المتصاعد منها الدخان ولا يسمع سوى طقطقة المطارق التي يرتاح اهلها لسماعها اكثر من ارتياحهم لسماع العيدان من آلات الطرب والمدينة في وضع انيق بيوتها مبنية من احجار صلبه وهواؤها صاف يتخلله نسيم البحر فينقيه من دخان معامل ويبلغ عدد سكانها الآن (٦٠٠٠٠٠) نفس

ثم مدينة دندي معروفة بتجارتها في الاقمشة وعدد سكانها (١٥٨٠٠٠) نفس وابردين مشهورة بمبانيها وقصورها المشيدة من حجارة الصوان والتجارة رائجة فيها كثيرا

والاسكوتلانديون اصحاب جد ودأب في الصنائع وقد بقي اكثرهم محافظين على عاداتهم ورسومهم القديمة وهم اشد من الانكليز تحمساً في الدين ويعرفون في التاريخ بما كان لهم من السطوة وشدة البأس واشتهروا بمقاومتهم العظيمة للرومانيين حين هجموا على بلادهم وراموا غزوها وكانت مساكنهم

اذ ذاك الجبال ومعيشتهم من الصيد والقنص وفي سنة ٨٣٩ نهض احد قوادهم المدعو كونت وحارب عشيرة البكت واخضعها وصار ملكا على اسكوتلاندا وكان هو اول من استولى عليها وقام بعده ملوك كثيره ليس في تواريخهم شيء يستحق الذكر ثم وقعت البلاد في الحروب مع انكلترا حتى اذا قام جمس الخامس ملكا بغضه الشعب في آخر ايامه وكرهه فشق عليه ذلك ــــــــ فامات نفسه جوعاً وعطشاً وترك ابنة وهي ماري استوارت ويقال انها كانت اجمل نساء عصرها تهذبت في فرنسا فبرعت في العلوم والآداب واشتهرت بالكتابة والفصاحة والظرف وقد دعيت بعد موت ابيها ملكة على اسكوتلاندا بوكالة امها ولما بلغت السادسة عشرة من عمرها تزوجت بامير فرنسوي صار فيما بعد ملكا باسم فرنسيس الثاني ومات عنها بعد سنه ونصف فدعيت ماري الي اسكوتلاندا وتبوأت كرسي الملك المحفوظ لها بعد موت ابيها ثم اقترنت بابن عمها اللورد هنري دارنلي لمجرد جماله وكان يغار عليها من داوود الطلياني كاتب سرها فدخل عليها ذات ليلة من باب خفي ورآها منفردة به وهو يعزف لها بالقيثارة فقتله امامها عند الباب الخارجي ويرى في قصرها بايدنبرج صورته وصورتها وقد أثرّ عليها هذا الحادث فانتقمت من زوجها حيث اماته في قصر ملغوم بالبارود واقترنت بعده باللورد بوسويل ولم تتدبّر العواقب فاتهم هذا ايضاً بالمشاركة في قتل زوجها ومن ذلك العهد حلّ البغض قلب شعبها وزاد على ذلك تمسكها بالمذهب الكاثوليكي بينما كان المذهب البروتستانتي يمتد في البلاد فخافت سوء العاقبة وكتبت الى ابنة عمتها اليصابات ملكة انكلترا تستجير بحماها فاجابتها الى طلبها . وقال بعض المؤرخين انها كانت تحسدها

على جمالها ومحاسنها فاضمرت لها شرا والقتها في السجن مدة ١٨ سنه حيث لقيت الضر والنكد ثم جنت عليها لما كان يثير بسببها من الفتن والدسائس وعلمت انه مادامت في قيد الحياة لا تزول الدسائس من البلاد فعقدت مجلساً فحكم اعضاؤه بقتلها فماتت شر ميتة وهي صابرة متجلدة ولا يزال الى الآن من شعرها الرقيق المنسجم قصائد غراميات ووداعيات ولا يزال يتذكرها الكاثوليك الى يومنا هذا ويمدحونها لكونها ماتت في حماية مذهبها . وقد وضعت وهي في معقل لوفيان باسكوتلاندا جمس الاول خلفها على اسكوتلاندا تحت اسم جيمس السادس ولما ماتت اليصابات ملكة انكلترا ولم تترك لها خلفاً كان جيمس اقرب الناس الى ملك انكلترا فصار ملكا وانتقل من ايدنبرج الى لندن ومن ثمّ صارت المملكتان مملكة واحدة وذلك سنة ١٧٠٦ وقد اشترط الاسكوتلانديون على هذا الانضمام شروطاً كثيرة اهمها بقاء رسوم كنيستهم كما كانت ولا تزال اسكوتلاندا الى ايامنا هذه خاضعة لانكلترا

ويجاور اسكوتلاندا في بحر يبقى مضطربا هائجاً في اكثر اوقات السنة وفيه كثير من انواع السمك جزائر عدة منها جزائر هبريده وهي مأوى لطيور البحر وجزائر اوركادا وهي مأوى الصيادين وجزائر شتلندو يسكنها قوم ينتهي نسبهم بالنورفيجيين سكان نورفيج وجزيرة سكاي ورام وكول وبتري ومول ولاي وبوت وجورا وارّان وغيرها

جزيرة ايرلاندا

IRLAND

أَوْ أَيرْلَنْد وبالايرلندي إِرين اي الجزيرة الخضراء وهي احدى الجزائر البريطانية . يحدها ويحيط بها من الشمال والغرب والجنوب الاوقيانوس الاطلانتيقي ويفصلها عن جزيرة بريطانيا من جهة الشرق البوغاز الشمالي والبحر الإِرلندي وبوغاز ماري جرجس .

وهي تقرب من القطر المصري اتساعاً تبلغ مساحتها (٣٠٤٠٠) ميل مربع ويبلغ عدد سكانها ٤٫٥٤١٫٩٠٣ مع انه كان بالغاً ٨٫٢٠٠٫٠٠٠ في سنة ١٨٤٠

ويحدق بسواحل هـذه الجزيرة كثير من الصخور الطباشيرية الـتي تحول دون سير السفن في الشرق ولكن فيها عدة السنة تلتجئ اليهـا سفن الصيادين على نور كثير من المنارات . وفيها ايضاً موانئ حسـنة لارساء السفن كميناء بنتري وكورك وبلفاست ودنكل وسليكو وغيرهـا ويوجد على شاطئ البحر في الجهة الشمالية من الجزيرة اعمدة طبيعية قائم بعضها على بعض يبلغ ارتفاعها ٤٠٠ قدم تعرف باعمدة طريق الجبار . وفيها عدة سلاسل جبلية يتألف من بعضها مجتمعات منفردة قرب الساحل تنخفض بتوغلها في اواسط البـلاد واكبرها جبال دونيغال في الشمال الغربي وجبال دون في الشمال الشرقي ثم جبال كري في الجنوب الشرقي وفى تاريخ هـذه الجزيرة اخبار كثيرة عن تشقق اراضيها بفعل البراكين ومن معادنهـا الفحم الحجري

والنحاس والرصاص والفضه والانتيمون والحارصين والشب والجص اما الذهب فقليل جداً وبها مقاطع من الرخام وحجر البناء وفيها كثير من الينابيع المعدنية . واماكن كثيرة لطمر جذور النباتات وتيبيسها في الشمس لاستعمالها للوقود عوض الفحم والحطب .

واما انهارها فكثيرة اعظمها نهر شانون وهو ايضاً من اكبر انهار المملكة يبلغ طول مجراه (٢٥٠) ميلاً يمر ببحيرات كثيرة ثم يصب في المحيط الاطلانتيقي ونهر نبدون ولي وبلا كوتروبوين وليفي وسوير وبرّو وسلان وغيرها . ولها ثلثة خلجان كبيرة وهي الخليج الكبير والخليج الملوكي وخليج توري . وفيها عدة بحيرات اعظمها بحيرة تويلي وفويل وبحيرة نياغ وهي في الجهة الشمالية الشرقية من اعظم بحيرات المملكة وتعد ايضاً من اعظم بحيرات اوروبا ثم بحيرة إرن وهي عبارة عن بحيرتين موصولتين بترعة وقد اشتهرت هذه البحيرات بصفو ماءها وحسن منظرها ولذلك يقصدها السياح في فصل الصيف للتنزه

اما هواء الجزيرة فمعتدل ولكن الرطوبة لا تنقطع من البلاد وهي تساعد النبات على النمو وتجعل النضارة دائمة بالمروج وبسبب ذلك تسمى هذه الجزيرة بإرن الخضراء او جزيرة الزبرجد . واما ارضها فعلى ثلاثة اقسام منها ماهو صخور جرداء وآجام ومستنقعات وهو عبارة عن ربعها ومنها ماهو قابل للحراسة وهو ربع آخر والباقي ارض مخلوطة من طين ورمال واكسيد الحديد . وتكثر فيها الحبوب والبطاطا واللفت والكتان والتوت الافرنكي وفيها كثير من انواع الخيول الصغيرة والبغال والحمير والماعز

والخنازير وكذلك كثير من الطيور الآهلة وتألف سواحلها الحيوانات البحرية الكبيرة .

وتقسم هذه الجزيرة باعتبار نظام الحكومة الى اربعة مقاطعات كبيرة وتقسم هذه المقاطعات الى ٣٢ كونتيه

(١) مقاطعة اولستر شمال الجزيرة واعظم مدنها بلفاست وفيها كثير من المعامل وهي مشهورة بصناعة التيل وتجارتها عظيمة واكثر سكان هذا الاقليم من البروتستانت واصلهم من الاسكوتلانديين المولعين بالصنائع .

(٢) مقاطعة لينستر شرق الجزيرة واعظم مدنها دبلين مركز اللورد حاكم الجزيرة يبلغ عدد سكانها (٤٠٠٠٠٠) وهي مدينة جميلة ومن الاسواق الانكليزية التي تباع فيها المواشي والمحصولات الزراعية وفيها مدارس جمة منهامدرسة الثالوث الاقدس الشهيرة ومكاتب وجمعيات خيرية وكثير من الابنية الفخيمة وفيها الاحياء الحديثة المنتظمة البناء مقام في احدها تمثال لوليم الثالث وعمود لتذكار نلسون وفي بعض منتزهاتها وشوارعها تمثال لجورج الثاني ولا ليڤرغولد سميت وغيرهم من الرجال العظام .

(٣) كنوت في الجهة الغربية من الجزيرة واعظم مدنها غلوه وهذه المقاطعة معروفة بخصوبة ارضها وبمحصولاتها الزراعية وبجودة صوف اغنامها

(٤) مونستر في الجنوب الغربي وفيها مدينة كورك الشهيرة بمدرستها

العظيمة وهي ميناء شهيرة وكذلك مدينة ليمريك شهيرة بكثرة نسيجها وبما يعمل على سواحلها من المراكب وتصلها بدوبلين ترعة .

واهل إيرلاندامشهورون بالنخوة وشدة البأس واكثرهم من الكاثوليك الرومانيين ومقدار الربع منهم بروتستانت يسكنون غالباً الجهة الشمالية من الجزيرة

والجانب الاكبر من اراضي هـذه الجزيرة ملك اكابرها ومعظم الاهليين شركاؤهم واكثرهم فقراء وغير مستنيرين بالعلوم كسائر اهالي المملكة البريطانية سيما الذين في الجهة الجنوبية من الجزيرة ولذلك يرحل منهم في كل سنة عدد وافر الى اميركا واوستراليا طلباً لاسباب المعيشة.

والصناعة ليست متقدمة في إيرلاندا كتقدمها في غيرها من المملكة وفيها يعمل انسجة الكتان والقطن والموصلنيا والعرقي والبيره وغير ذلك

وفي ايرلاندا اربع كراسي اساقفة كاثوليك وهي في ارماغ ودوبلين وكشل وتوام وكرسيا اساقفة بروتستانية وهي في ارماغ ودوبلين

وقد استقلت هـذه الجزيرة في اول امرها باحكامها زمناً طويلا ثم تبعت انكلترا تحت حكم هنري الثامن بعد المدافعة الشديدة عن استقلالها وقبلت في المعاهدة مع القسمين الاخرين من المملكة سنة ١٨٠١ ولا تزال للان جزءاً منها ولم تمد انكلترا اليها الاصلاح الا في عهـد جمس الاول . ولكن العداوة قائمة في نفوس الايرلنديين ضدها ويتمنون فصل بلادهم عنها ويحاولون الاستقلال بشؤونهم ولما حدثت الثورة الانكليزية الشهيرة سنة ١٦٨٨ وخلع وقتئذ الملك واقيم على عرش انكلترا جـده وليم الثالث

امير اورانج تظاهر الايرلنديون بالانحياز لاخصامه الذين كانوا من الكاثوليك وكان الانكليز الذين اقاموا وليم من السبروتستانت فاشتدت العداوة بين الامتين ولما تربع وليم بيت الشهير دست الوزارة الانكليزية عمل على الغاء المجلس الذي كان للايرلنديين وضمه الى انكلترا وقرر بان يكون عدد الايرلنديين في البارلمنت الانكليزي نحو ١٥ من النواب وثلاثين من الاشراف وهكذا صارت البلاد مملكة واحدة عاصمتها لوندن بيد ان العداوة ازدادت تمكناً في انفس الايرلنديين ضد الانكليز وصارت الحزازات تشتد يوماً عن يوم حتى ثار الايرلنديون ثورة كبيرة في اكثر انحاء المعمورة واقاموا عليهم رئيساً بارنل الخطيب الذائع الصيت فجمع حوله نحو مائة عضو من اعضاء المجلس واخذ يجاهر بفصل بلاده عن حكومة انكلترا والانسلاخ عنها وعظم في هذا الامر الجدال والنضال حتى كادت تؤدي الحال الى الحرب ففصل الخلاف غلادستون الشهير بلائحته سنة ١٨٨٥

الباب الثاني

CHAPTER II.

لندن

LONDON

أو لندرا هي عاصمة بلاد الانكليز بل هي بابل هذه الايام ونينوي هذا العصر ومشهد لاشتات عجائب الخليقة واعظم ما عمَّر الانسان واغرب ما انتج الزمان

وهي واقعة في اربع كونتيات مدلسكس فى الشمال واسكس في الشرق وسيرى فى الجنوب وكنت فى الجنوب الغربي وموقعها على جانبي نهر التيمس وهو يخترقها من الغرب الى الشرق الى شطرين غير متكافئين . وقد كانت في اول نشأتها قرية صغيرة مؤلفة من اكواخ حقيرة في جوار برجها المشهور باسمها ولم تضم في أوائل هذا القرن اكثر من مليون نفساً تقريباً فارتقت بمدةٍ وجيزة الى العمران ارتقاءً سريعا غريباً فاقت به مدن العلم قاطبةً واصبحت وعدد سكانها ما ينيف عن الاربعة ملايين ونصف مليون نفس ومساحتها لا تزال تزداد يوماً فيوماً فهي تقدر الآن بمائة وثلاثين ميلاً مربعاً انكليزياً . وعلى ذلك وصفها احد المؤرخين بقوله : « لو مثّلت نتائج ارتقاء البشر وتقدمهم لما كانت ادل على حالة العمران من هذه المدينة » . وهي الآن مركز الاشغال العظيمة والمبايعات الجسيمة تمد جميع اقطار الدنيا بما يدخَّر فيها من السلع والبضائع والمهمات ولكن القادم اليها ينقبض صدره

من منظر مبانيها المتغلب عليها سواد دخان معاملها الذي يجعل منظرها حزيناً كئيباً كجدران الافران فتبدو به كأنها قديمة العهد وكأن احقاباً من الدهر مرت عليها

ومما يدعو الى الاندهاش الخطوط الحديدية التي تغطي ارضها فتذهب في شوارعها المديدة المرصوصة بالاسفلت او المبلطة بالخشب المقطرن كل مذهب وهي مشبكة بعضها ببعض كشبكة الصياد وعليها العربات والحوافل تروح وتغدو والناس بينها يعدون ويجرون للاعمال كخيل الطراد

وتقسم لوندن الى اقسام اهمها الجهة التي على شمال النهر وفيها السيتي اي المدينة وهي مركز الاشغال والاعمال فيها سراي الملكة والبرلمان ثم قسم « ايست لندن » وهناك سكن الاشراف والاعيان تكثر فيه الحدائق الغناء التي تروق الناظر وتسر الخاطر وتسطع فيه انوار السعادة من الصروح الباسقة الشماء التي تكاد تسد وجه الفضاء . وهي على اعجب طرزٍ واتم بناء

ووسائط النقل في المدينة كثيرة متوفرة من اهمها « نهر التيمس » River Thames وهو من اعظم الاسباب الميسرة لتجارتها وله عند اهلها شأن عظيم ويقول بعض المؤلفين ان لولاه لما حصلت لندره على هذه السعادة العظيمة والثروة الواسعة فترى فيه البواخر والزوارق تجري منحدرة وصاعدة والحوافل والعجلات والقطارات وعربات الترامواي تمر علي غالب جسوره وكلها مفعمة بالرجال والنساء فالحركة فيه تدهش البصر وتحير الفكر وعلى الاخص عند ميناه حيث يرد اليها في كل سنة من جميع البلاد نحو ثلاثين الف سفينة ويقدر بعضهم انه يبلغ عدد سكان النهر الذي يقيمون في

القوارب ثلاثمائة الف نفس وله نحو ٥٠ محطة على ضفتيه تمر بها البواخر ذهاباً واياباً غير انه لما كانت حركة المدينة التجارية تفوق حد المتوسط اضطر الشعب ان يبني علي النهر بعض الجسور على مسافات متباعدة متناسبة يتسنى بها للاهلين الوصول من قم الى آخر بكل سهولة وعجلة

واول جسر يراه القادم الى المدينة « جسر لوندرا « London Bridge » بدئ بانشائه عام ١٨٢٥ وكان الاحتفال بفتحه بعد ست سنوات خلون من يوم البداية به وقد بلغت نفقاته ٥٠٦٠٠٠ جنيه انكليزي ومن غريب مافي هذا الجسر صنع احكامه ودقه بنائه . ويكثر الازدحام عليه لحد لا يتصوره العقل وقد اقيم عليه تمثال للملك وليم الرابع من الرخام . ثم جسر سوسوارك وقد بلغت نفقاته ٢٠٠٠٠٠٠٠ فرنك والمار على هذا الجسر يدفع رسما للشركه التي اقامته مقداره بني واحد (مليمان تقريباً) ان كان انساناً و ٦ بنس (٢٤ مليما) ان كان عربة

ثم جسر بلا كفريارس « Blackfriars Bridge » وقد اقيم في سنة ١٦٧٠ باسم كبير وزراء الامة الانجليزية وليم بيت الشهير عنواناً لاخلاص الشعب وولائه له ولذا يرى الرائي لوحاً من المعدن منقوشاً عليه جملة لاتينية هاك تعريبها

« إنه في آخر يوم من شهر اكتوبر سنة ١٧٦٠ وفي بداية حكم الملك جورج الثالث وضع اللورد مايور محافظ المدينة اول حجر لهذا الجسر الذي امر بانشاءه المجلس البلدي وكان روبرت ملن مهندسه البنائي وقد اقيم تذكارا للخلف وعنوانا على اخلاص المدينة للرجل الذي توصل بقوة عقله وثبات عزمه وحسن طويته وصدق وطنيته لاعلاء كلمة الدوله البريطانية وتوطيد

سلطتها ومد نفوذها في اسيا وافريقيا وامريكا ... الخ » وقد اجمعت اصوات الشعب على تسمية هذا الجسر باسم وليم بيت ومع ظهور هذا اللوح جلياً على هذا الجسر فان الاسم المتعارف له هو جسر بلاكفريارس وقد بلغت نفقته ١٥٢٠٠٠ جنيه انجليزي

ثم جسر واترلو Waterlow Bridge وقد بدئ في بنائه عام ١٨١١ وصادف اتمامه في ١٨ يونيه سنة ١٨١٧ وهو يوم الاحتفال بتذكار واقعة واترلو الشهيرة . ولما كان الانجليز يطربون باسم تلك الواقعة ويحبون لذكرها اجمعت اراؤهم على تسمية هذا الجسر باسم جسر واترلو تخليداً لذكر هذه الواقعة على ممر الاعوام وقد حضر الاحتفال بفتحه الدوق ولنتون وبلغت نفقاته مليون جنيه . وهو بديع الصنعة من اجمل جسور لندره والطفها منظراً واكثرها بهجة وبهاء ..

بيد انه لما كانت هذه الجسور العديدة المقامة على النهر غير كافية لسد ضرورات الحركة التجارية في المدينة اضطر الاهلون تسهيلاً للمواصلة بين ضفتيه وعدم مزاحمة السفن الواردة الى ميناه حفر طريق في الارض تحت النهر يصل بين الشاطئين ويبلغ طوله ٣٠٠ قدم وعرضه ٣٨ وارتفاعه ٢٢ قدماً ونصف قدم وهو منقسم الى قسمين احدهما لمرور عربات الاياب والآخر لعربات الذهاب وعلى جانب كل قسم رصيف لمرور المشاة وثخن سقفه وهو الفاصل بين ماء النهر وجو النقب يبلغ ١٥ قدماً

واهم من هذا النقب واجل منه السكك الحديدية التي انشئت في بطن الارض تحت المدينة والغاية منها تسهيل المواصلات التجارية بنقل البضائع

والسلع من طريق الى آخر ومن نقطة الى مثلها بعيدة عنها . وهـذا العمل اكثر خطارةً واعظم نفعاً واكبر اهمية من غيره من الاعمال لانه يجمع بين جميع محطات سكك لندره الحديدية التي تتفرع الى جميع جهات المملكة . وطول هذه السكك الباطنية ٦٢٤٠ مترا وبها ٣٥٠ وابورا تجري عليها في اليوم الواحد . وقد بلغت نفقات انشائها ٣٢ مليون فرنك و ٥٠٠ الف . ويبلغ عدد الركاب فيها في السنة الواحدة ٣٠ مليوناً من النفوس ويبلغ دخلها مسانهة من سبعة الى ثمانية ملايين من الفرنكات وقد ثبت بالاحصاء ان انشاء تلك السكك الحديدية قد ضاعف الحركة التجارية بلوندره حيث سهل للاهليين ان ينتقلوا من جهة الى غيرها بكل سرعة وبقليل من المال حتى اصبحت لوندن بمثابة الحركة والانتقال مدينه لواندن على وجه الارض ولندن في باطن الارض

اما «الستي» « City » اي «المدينة» فانها واقعه في القسم الذي على شمال النهر وهي روح تجارة لندن ومركز اشغالها واعمالها فيها البنك والكمرك والبوسطة والمحاكم وديوان اللورد حاكم البلد ومطبعة التيمس وكل الاماكن التجارية والمعامل الكبرى وليس في هذا الخط ادنى شيء يبسط النفس حتى ان ظاهر حوانيته ومخازنه ليس بالشيء الذي يذكر ولا يكاد يصدق ان فيها من السلع والمهمات مايساوي القناطير المقنطره وان اصحابها هم اعيان تجار الارض . وهي تحتوي على ٦٥٠٠ دار معظمها او كلها مكاتب تجار ومخازن وحوانيت . ويقدرعدد الذين يشتغلون فيها نهاراً نحو ٢٧٠ الف نفس والذين يبقون فيها ليلاً ٣٠ الف نفس . ويدخلها في اليوم نحو ٨٠٠ الف نفس

من المشاه و ٨٠ الف من المركبات

وتبتدئ حركة العمل فيها من الساعة ٧ صباحا فتغص اذ ذاك المسالك بالحوافل والعجلات . وتزدحم المناكب بالمناكب وتشتد حركة الاعمال فالقادم اذ ذاك الى تلك الانحاء يقف موقف الحائر اذ يرى الشيوخ والغلمان في النشاط والاستعداد متساويين وكل انسان فيه يحدث نفسه فيما يباشره من الاعمال فلا لهو ولا فراغ وبالجمله فلا شيء ادل في العالم على عظم الاعمال والجد والاشغال وكثرة الاخذ والعطاء وحركة البيع والشراء من هذا الخط

على ان السائر في شوارع هذا الصقع يكون هدفاً للخطر ويرى من نفسه انقباضاً لا ينجلي عنه الا متى بلغ نهايته عند شارع اكسفوردستريت من ناحية الشمال وهو من اعظم شوارع لندن واطول شوارع الارض ويليه شارع ريجنت ستريت وفيه الدكاكين البهية والمخازن العظيمة مما يجعله من اسواق الارض الشهيرة ومنها شارع ستراند وهو في منتصف مدينة لندن وبين قسم التي والمساكن العظيمة وتكثر فيه حركة الانتقال الى حد لا مثيل له الا ان يكون حوالي بنك لندن. والستراند هذا والشارع الذي يليه فليت ستريت مع الشوارع الصغرى التي تتفرع منها مركز الحركات العلمية وادارات الجرائد ووكلاء الشركات الكبرى في لندن . وقل ان تجد ادارة جريدة في غير هذين الشارعين ويلي ستراند وريجنت ستريت في الشهرة شارع الملكة فيكتوريا وشارع كانون وشارع تسيبسيد وهي اعظم شوارع الاشغال في لندن وتبلغ شوارع لندن وحدها ٧٨٠٠ شارع طولها لا يقل

عن ٣ الاف ميل اذا اتصلت اطرافها طرفاً بطرف بلغ مجموع طولها قدر ما بين لندن و بطرسبرج من المسافة وهي مع ذلك ضيقة وقليلة لاتكاد تفي لمرور المشاة والركاب والخيل والمركبات ينفق في سبيل تطويلها وتوسيعها وتنظيمها الاموال الطائلة وخصوصاً في فتح الشوارع الجديدة فقد اشترت الحكومة داراً واحدة بخمسماية الف جنيه ثم هدمتها لفتح شارع صغير يسمي شارع نرثمبرلند واشترت ايضاً مرة فدان ارض بتسع مئة الف جنيه لفتح شارع جديد وهكذا فان المدينة في ازدياد مستمر يبنى فيها في كل برهة من الوقت مكان جديد حتى صارت بيوتها تقدر بسبعماية الف بيت كما ان معدل زيادة اهلها اليومية ثلثماية نفس • وقد جمعت نصف اغنياء الانكليز وجمعت من الكاثوليك اكثر مما في رومة ومن اليهود اكثر مما في فلسطين وسوريا ومن الايرلنديين اكثر مما في دبلين عاصمة ايرلاندا ومن الاسكوتلانديين اكثر مما في ادنبرج عاصمة اسكوتلاندا • وفيها اكثر من الفي مكتب للبريد يدير اعمالها اكثر من ١٣ الف مستخدم و ٣٠٠ مكتب للتلغراف وأكثر من مئة محل للتليفون معدة للجمهور باجرة طفيفة ونحو ٨٠ مرسحاً للتمثيل و ٥٠٠ قاعة يحضر فيها كل ليلة نحو ٣٠٠ الف نفس لرؤية التمثيل والغناء وفيها نحو ٥٠٠ فندق

وشركات المدينة كثيرة لاتعد ولا تحصي ويندران يوجد في الارض برمتها عمل خطير الا وتعقد له فيها شركة ويبلغ ربح هذه الشركات سنوياً نحو ٣٠ مليون جنيه

«بنك لندن» « London Bank »

ومن ظرائف اعمال الانسان في هذه المدينة البنك المشهور باسمها وهو ايضاً من اعظم مصارف الارض أنشئ سنة ١٦٩٤ في عهد وليم الرابع وكان اعظم الاسباب في انشائه ايجاد المال لمداومة الحرب مع فرنسا . فتهافت الناس على الاكتتاب في كل رأس ماله بعد اعلان فتحه بعشرة ايام . وكانت الصرافة قبل فتح هذا المصرف في لندن بيد اليهود فلم يمضِ عليه القليل من الزمن حتى صار محور المعاملة بين العالم ومستودع اموال العظماء والماليين ومرجع اكابر التجار من كل صقع وناد . وهو بناء هائل منظره الظاهري مظلم يشغل من الارض مساحة ٤ افدنة في موقع هو مركز الحركة الهائلة والزحام الغريب المشهور عن لندن . وفي احدى قاعاته ساعة كبيرة غريبة الصنعة يتفرع منها ستة عشر ساعة خلافها متفرقة في انحائه من الساعة الكبيرة وفيه عدة ادوات لفرز النقود وكلها تزن الدينار وترمي الجيد في صندوق والزائف في صندوق آخر . ولخزينته محل حصين محاط بالماء حذراً من الحريق ويخفره الجند ليلاً مع بعض الموظفين .

وقد قاسى هذا البنك في بدء نشأته خسائر فادحه من التزوير بلغت عشرين مليوناً من الجنيهات ولكنها انقطعت الآن وبطل التزوير بعد اختراع مطبعته والحبر الخاص والاوراق التي لا يتسنى للمزورين تقليدها .

ويقسم البنك الى ثلاثة اقسام تتبع كلها المدير العام . اولها قسم الدين ثانيا قسم الصرف ثالثاً قسم الادارة وتديره لجنة مؤلفة من اربعة وعشرين

عضواً من اصحاب الاموال يبلغ راتب رئيسها سنوياً ٥٠٠٠٠ جنيه ورئيسه ١٥٠٠٠ جنيه وكل عضو من اعضاء اللجنة ٥٠٠٠ جنيه . وفيه نحو الف ومئة مستخدم ويزيد مجموع راوتبهم عن ثلثماية الف جنيه في العام وللمتقاعدين الذين قضوا زمناً في خدمته نحو خمسين الف جنيه في العام . وهو يصدر كل اسبوع اوراق مالية بقيمة ٢٤ مليون جنيه ويبلغ رأس ماله نحو ٧٥ مليون جنيه

وفي لوندرا المباني العظيمة القديمة العهد والقصور الفخيمة الشاهقة المبنية على اعجب طرز واتم بناء ودور التحف الطافحة بالآثار والكنوز التي لا تقدر بثمن والحدائق والمعارض وغير ذلك كثير مما لا يتيسر استيفاء وصفه وشرحه تماماً وانما نذكر القليل منها الشهير حرصاً على فائدة الكتاب:

«المتحف البريطاني British Museum »

او (برتش ميوز يوم) فهو بلا غلو ولا اطراء اعظم متاحف الدنيا بل هو معرض العلوم والفنون والصنائع والتحف الغريبة والسبب في انشائه في سنة ١٧٥٣ ان رجلاً من اعيان الانجليز يدعي (هافس سكون) اوصى قبل وفاته بعشرين الف جنيه ليشتري بها تحفاً واثاراً ووهب ايضاً مكتبه تشتمل على ٥٠ الف مجلد من طبع وخط وكثير من المسكوكات القديمة والعاديات تكرماً منه ورغبة في ان تعرض في مقام خاص للنفع العام فاهتم من ذلك العهد مجلس الشورى بابتناء محل فخيم يليق بعرضها وجمع ٣٠٠٠٠٠ جنيه لهذا القصد . وقد ابتدأ العمل في هذا المتحف سنة ١٨١٣ وانتهى ١٨٥١ وهو

من اعظم المباني القديمة فيه رواق كبير قائم على ٤٤ عمود وقد اخذت محتوياته تزيد من يوم ابتنائه للآن بالابتياع والهبات حتي اشتملت على الكتب النادرة والتحف والكنوز التي لاتثمن بمال ولايكاد يكون لها مثيل في العالم . وهو يقسم الى قسمين عظيمين احدهما دائرة المكتبة وتتبعها قاعة المطالعة . والثاني دائرة الآثار القديمة ويتبعها قسم الصور والرسوم والمعادن والنباتات ولكل دائرة ناظر وعدة مستخدمين .

اما المكتبة فهي في الطابق الاسفل من البناء تبلغ جملة الكتب المحرزة فيها زهاء المليوني مجلد . واعظم موضع فيها هو ما وقفه الملك جورج الرابع ويبلغ ثمنه ١٣٠،٠٠٠ جنيه . وفيه توراة قديمة العهد طبعت في متس سنة ١٤٨٠ واول نسخة طبعت من اشعار اوميروس في فلورانس سنة ١٤٨٨ . ونسخة من اشعار فرجيل . وكتاب صلوات للملكة اليصابات غشاؤه من صنع الابرة عمل يدها

وفي المكتبة نحو ٤٠،٠٠٠ مجلد من الكتب العربية . فيها نسخة من القرآن الشريف . وتاريخ ابن خلدون . ومدح الشيء وذمه للجاحظ . والنوابغ للزمخشري . والمقتطف . وغيرها من الكتب النادرة الوجود . وقد اشتملت على مقدار من الكتب العبرانية اكثر مما يوجد في العالم بأسره . وقد بنى فيها تسهيلاً للمطالعة والدرس والمراجعة قاعة كبيرة بلغت نفقاتها مئة وخمسين الف جنيه ويمكن ان يجلس فيها نحو ٣٦٠ شخصاً وفي وسطها كرسي عال يجلس عليه وكيلها وامامه ٤٠٠ مجلد تقريباً مبين فيها فهرس الكتب . فمن اراد كتاباً يكتب اسم الكتاب ونمرة الكرسي الذي هو فيه ونمرة الطاولة

ويضعها في سبت خصص لهذه الغاية فلا يمضي الا القليل حتى يأتيه الخادم بمطلوبه ولا يجوز الدخول في هـذه القاعة الا لمن تجاوز عمره الواحد وعشرين سنة ولا يقبل احد بدون ورقة الاذن ولا يسوغ لاحد ان ينسخ كتاباً منها برمته ولا ان يستصحبه معه . وتضاء القاعة ليلاً بالنور التكهربائي اما دائرة الآثار ففيها سيف كان يتقلده كرمويل الشهير وتمثال للشاعر شكسبير وجثة الحصان الذي كان يركبه نابوليون الاول وفيها كثير من المسكوكات القديمـة والآثار المصرية والاشورية واليونانية والرومانية وبقية الطوائف القديمة

اما قاعة الحلي والجواهر والذخائر والنقود فقد اشتملت على ما يندر وجوده في العالم باسره ولا يدخلها الزائر الا بعد ان يكتب اسمه ومحل اقامته ومما فيها النقود التي ضربت على عهد هارون الرشيد بالخط الكوفي . وفرد مرصع بالحجارة الكريمة اخذه الملك بطرس من قائد الجيوش التركية في بحر الخزر ثم انتقل الى لوندرا. ويعتني الانجليز بهذه الآثار اعتناء عظيما يفوق حد الوصف .

وهو متحف الصور الوطني

(ناشونال جالري)« National Gallery »

بلغت نفقته نحو ٩٦٠٠٠ جنيه ويفد اليه في السنة ستمائة الف نفس تقريباً وهو معرض الصور البديعة من احسن ما ابتدعه المصورون منها ما اتصل اليه بالهبة ومنها ما ابتاعته الحكومة باثمان عظيمة . فمن ذلك ٧٠،٠٠٠ جنيه دفعتها ثمن صورة السيدة العذراء من تصوير روفائيل المصور الشهير .

و ٥٠ الف جنيه ثمن ٣ صور و ١٧ الف جنيه ثمن صورة الملك تشارلس الاول . و ١٤ الف جنيه ثمن صورة عائلة داريوس ومن اشهر واجمل صور هذا الرواق صورة تمثل الزهرة عارية بحضرة اله الحب الذي يقرأ في درج بيد عطارد الواقف على يمينها ثم صورة باخوس اله الخمر واريادن الجميلة وغير ذلك من الصور البهية العظيمة البالغة حد الاتقان والكمال

(متحف سوث كنسنتن) (South Kensington)

وهو من اعظم واشهر المتاحف يهتم به ديوان المعارف فيصرف عليه سنوياً نحو نصف مليون جنيه عدا مايتصل اليه من الهدايا والهبات وهو يقسم الى ستة اقسام :

القسم الاول وهو مايحتوي على مصوغات الزينة والزخرفة التي صنعت في كل زمان ومكان على اشكال وضروب شتى كتيجان واقراط وخواتم وقلائد مرصعة باحجار كريمة من ياقوت وزمرد والماس فمصنوعات ذهبية او نحاسية مفضضة او مرصعة بقطع كبيرة من الزجاج التي تزدي بالجوهر وفي هذا القسم ايضاً مجموعة وافرة من الآنية الخزفية بين رومانيه ويونانيه واسبانوليه وعربيه الخ . الا ان اشهرها واتقنها الآنية الصينية واليابانية . وفيه ايضاً ما لا يعد ولا يحصى من المصنوعات الشرقيه كالدروع والتروس والسيوف والحراب وكلها مودعة في خزائن خاصة بها ويشتمل كذلك على كثير من النقوش والانصاب والزخارف المشهورة وتماثيل الصناع المشهورين كروفائيل وميخائيل وانجلو . وتماثيل آلهة الرومان واليونان وغير ذلك .

وتجاور هذا المتحف داركبيرة تعرض فيها المصنوعات الهندية الفاخرة يوفر

عظيم وبجانب هذه الدار دار اخرى تعرض فيها الهدايا التي اهديت الى ولي العهد وزوجته وهي تبلغ الفاً وخمسماية هدية عظيمة بين خواتم واساور وعقود وقلائد ومراوح وكثير مما يتعذر وصفه ويطول شرحه . واما الخمسة اقسام الباقية ففي الاول مدرسة لفن التعليم وفي الثاني مدرسة لتعليم النقش والتصوير وفي الثالث مكتبة للعلوم . وفي الرابع مكتبة للفنون . واما الخامس فقد جعل معرضاً للصور ولا سيما ما صور مصورو الانجليز .

القصر البلوري chrystal Palace

وهو على بعد اميال من المدينة يذهب اليه بالسكة الحديد باجرة زهيدة ويسير اليه قطار كل نصف ساعة . وكان في بدء نشأته مركزا لمعرض لندن العام سنة ١٨٥١ ثم نقل الى حيث هو الآن على ربوة مرتفعة وبنى له روض انيق فبلغت نفقتهما معاً نحو مليون ونصف من الجنيهات وهو على احسن اسلوب فائق الصنعة والاتقان مواده كلها من الحديد والزجاج جامع لاشتات عجائب الطبيعة والآثار الغريبة ويحتوي على كثير من الاروقة والغرف والمقاصير وكثير من الدور الرحيبة الفسيحة المشتملة على صناعة وآثار كل زمان ومكان . فمن ذلك الدار المصرية على شكل دور قدماء المصريين وعلى جدرانها وعمدها الكتابة الهيروغلفيه ومثال النقوش المصرية وفيها تماثيل الفراعنة ومدافنهم وكلها على ابدع شكل واتم تقليد . ثم الدار اليونانية وهي تشتمل على الاشكال الطبيعية الجميلة البهية كتمثال الزهرة الهة الجمال وتماثيل فطاحل شعراء اليونان وغير ذلك من الانصاب البالغة اقصى درجات الجمال

والاتقان . ثم الدار الرومانية وهي تمثل ابدع ما كان يتباهى به الرومان من زخرفة وتزويق وتشتمل على تماثيل آلهتهم وقياصرتهم الخ .

ثم الدار العربية وهي على نحو ابنية العرب فائقة الصنعة والتأنيق فتمثل حمراء غرناطة بالاندلس وما كان فيها من كتابات الخط الكوفي وعلى عمدها وجدرانها مرسومة آيات القرآن الكريم . وفي هذه الدار ممثل صناعة النقش البهيه وطرق طلي البيوت وتمويهها بالذهب وفي القصر ايضاً دار تمثل الصينيين وصناعتهم والمكثرين منهم من تعاطي الافيون وتأثيره في مناظرهم وعقولهم كل هذا بتماثيل من الشمع غريبة الصنعة ثم ان في القصر ايضاً دور عديدة لصناعة الاوروبيين . ثم معرض للوحوش والطيور وآخر للصور المعروضة للمبيع وفيه ايضاً دار لبيع التحف والبضائع . ومحل للتمثيل ويسع الفي نفس وعلى جانبيه رواقان يسع كل منهما ٤ آلاف نفس ويجلس فيهما الناس لاستماع الانغام .وفيه ايضاً عدة مطاعم ومعامل ومطابع ومكاتب وكل ما جادت به الطبيعة وابتدعته الصناعة من آثار القدماء والمحدثين وبدائع المشارقة والمغاربة مما لا يستطاع تفصيله الا بشرح واف واسهاب زائد

« البرج London Tower »

« ويسمى تور اوف لندن » وهو واقع على شط نهر التيمس . بني على ايام وليم الظافر عند مازحف على المدينة (راجع باب التاريخ) واحب ان يسلك بالرعية بطريق الرفق ولكن اذ رأى نشوز الكثيرين عدل الى القوة والقساوة وبطش بذوي الفساد والعدوان ونزع السلاح من ايدي السكان وشاد القلاع

والابراج ارهاباً لهم وخلعاً لقلوبهم فكان من جملة ما بناه هذا البرج وفيه حصلت حوادث تاريخيه فظيعة نشأ اغلبها عن الظلم والجور

ومنظر هذا البرج كئيب اسودت جدرانه وتقشرت من مرور الايام وتأكلت ارضه من كثرة الوطء بالاقدام .

وله اربعة ابواب وهي : باب الحديد . باب الماء . باب الخائنين . ثم الباب الاسود . وهو حصن للمدينة وسجن لعقاب الخائنين من الدولة . وساحة لقتل من هبطوا من اسمى درجات المجد والسعادة الى احط درجات الخسف والهوان ومدفن لكثير من الملوك والرجال العظام فهناك ترى مدفن الملكة حنة بولين والملكة كاترين هوار وكلتاهما من نساء الملك هنري الثامن كانتا فقيرتين فاحبهما لفرط جمالهما (راجع باب التاريخ) واعلاهما مقاما شامخاً حتى تزوجهما ثم حكم بقتلهما وقد قتل في هذا البرج هنري الخامس وادورد الخامس وسجن فيه يوحنا الصالح ملك فرنسا وهنري السادس ملك انجلترا والملكه مريم ملكة سكوتلاندا بامر من اختها الملكة اليصابت (راجع باب التاريخ) وغيرهم من الملوك والعظماء . وهو ايضاً متحف للجواهر وخزانة لادوات الحرب والجلاد التي كانت تستعمل قديماً وهي موضوعة بدواليب متينة من الزجاج . ففيه تاج يقال له تاج سانت ادورد صنع لتتويج كارلوس الثاني ثم توارثته جميع الملوك من بعده وهو التاج الذي يضعه رئيس الاساقفة على رأس الملك عند تتويجه ثم يرد الى البرج . ومن اعظم التحف المودوعة فيه تاج الملكه فيكتوريا صنع سنة ١٨٣٨ وهو اثمن واعظم تاج في الدنيا على شكل طربوش من القطيفة الحمراء يحيط به اطار من الفضه رصعت

ويملو حاشيته العليا مائة واثنا عشرة لؤلؤة وحاشيته السفلى مائة وتسعة وعشرون لؤلؤه وبأعلاهما حجر من الزبرجد حوله دائرة من حجارة الالماس . وازدانت جوانبه بثلاثة زبرجدات وثمانية زمردات تحيط بها احجار كثيرة من الالماس وصليب من الذهب مالطي الشكل في مقدمته ياقوتة حمراء كبيرة كالبيضة الصغيرة تساوي خمسين الف ليرة وفي اعالي التاج دائرة زنبق من الالماس وورق السنديان تتخللها اثمار من اللؤلؤ . ويقال ان جملة ما في هذا التاج من الاحجار الكريمة ٢٫٧٨٣ ويبلغ ثمنه ١١٢٫٧٦٠ جنيه

ومودعٌ ايضاً في هذا البرج تاج زوج الملكة وهو مرصع بالدر والالماس وكذلك تاج ابنها ولي العهد . ثم صولجان الملك وعليه تفاحة مرصعة بالياقوت والزمرد والالماس ويبلغ طوله قدمان وتسعة اصابع . وفيه ايضاً كثير من الاواني الذهبية التي تعرض يوم تتويج الملك والملكه . كركاب من الذهب ووعاء للماء المبارك وطشت فضه مذهب يستعمل لمعمودية ولي العهد وغير ذلك من النفائس والجواهر التي يطول شرحها

ومما يدعو الى الاستغراب ان هذه الجواهر والذخائر واحجار الالماس والياقوت والاواني والوسامات والسيوف المرصعة بالاحجار الكريمة التي تقدر بثلاثة ملايين من الجنيهات مودوعة كلها في غرفة كئيبة المنظر سوداء الحيطان مراعاةً لقديم عوائد الانكليز واعتباراً الى ان البرج التي فيه اشهر ما بقي من قديم آثارهم

ورسم الدخول لهذا البرج شلين واحد .

وهي من الاماكن الشهيرة في لوندره

« رحبة ترافلقار Trafalgar square »

سميت بهذا الاسم تذكاراً للواقعة الشهيرة التي انتصر فيها الانجليز على الاسطول الاسبانيولي والفرنسوي بقيادة الاميرال نيلسون امير البحر وقد اقاموا له في هذه الساحة تمثالاً طوله ١٤ قدماً على عمود من المرمر يبلغ ارتفاعه ١٧٦ قدماً بلغت نفقاته ٤٥ الف جنيه وقاعدة العمود مزينة بنقوش مسبوكة من المدافع الفرنساوية التي غنمتها وكلها تمثل الوقائع الشهيرة التي ظفر بها وكتب على العمود الجملة الاخيرة التي نطق بها يستنهض جنوده وهو على آخر رمق من الحياة

« ان انجلترا تؤمل من كل انسان ان يقضي الواجب عليه »

واقيم ايضاً حول العمود اربعة اسود من صنع البرنز وفوارتان يتدفق منهما الماء امامهما تمثال تشارلس الاول . وفي هذه الرحبة ايضاً تمثال لغوردون باشا . وتمثال للملك جورج الرابع وتماثيل واعمدة اخرى كثيرة . والغياض في لندن كثيرة اشهرها

(غيضة هيد پارك Hyde Park)

وهي رحيبة الانحاء متسعة الارجاء تبلغ مساحتها ٨٧ فداناً يسكن بجاورها كبار المدينة واعيانها فيها تسعة ابواب كبيرة لمرور المركبات على الاول قوس نصر من الرخام الابيض مزدان بالنقوش والرسوم الجميلة بلغت نفقتها ثمانين الف جنيه كانت اولاً في غيضة سان جمس ثم نقلت اليها . وفي الغيضة قوس اخرى بلغت نفقتها ١٨٠٦٩ جنيه . وتمثال للبرنس البرت زوج الملكه من

البرنز المذهب بلغت نفقته مئة وعشرين الف جنيه جمع نصفها بالاكتتاب من الاهالي . وعلى القاعدة المقام عليها ١٩٦ صورة من المرمر تمثل اعاظم العلماء والشعراء والمصورين والمغنين الخ .. وهذه الغيضة من اعظم منتزهات لندن ففيها الاشجار المظلة التي تنطح بعلوها الغمام غرست اكثرها على ايام هنري الثامن . والازهار الجميلة التي تشرح الخاطر وتسر الناظر عند كل زهره ورقه مكتوب عليها اسمها . وتظل ارضها في اكثر الاوقات مفروشة ببساط اخضر سندسي في وسطها بحيرة ماء تجري فيها المياه كالفضة تحتاطها الاشجار والازهار ويطيب قلب العليل باعتلال هواءها ويكون منظرها في ايام الآحاد بهياً انيقاً فتكثر فيها الخطباء ويتزاحم حولهم الجماهير الغفيره وتتهافت اليها الاعيان والعظماء في احسن المركوب والملبوس وتخطر فيها ربات الجمال وذوات الحسن والدلال بقدود هيفاء تميل كالاغصان اذا حركتها يد الهواء باثواب فاخرة وزينات باهرة

وتتلو هيد بارك حديقة(سان جمس St James Park) وهي متصلة بها وبقصر الملكه ثم جنائن كنستن . KingstonGarden وكاترين بارك Catherine Park (وريجنت بارك) Regent Park وهما من حدائق الارض العمومية الكثيرة الزخارف وانواع الزهور الملونة ولكنهما دون هيد بارك في الاتساع

اما حديقة الحيوانات المعروفه باسم

(زولوجيال جاردن Zeological Garden) فقد اشتملت على انواع الوحوش والطيور المجلوبة من كل ناحية في الارض واغلبها مقدم هدايا من

الشعب مما وصلت اليـه ايديهم . واحسن وقت تتمثل فيه للنظر حينما يقدم لها غذاءها فتندفع اليه بسرعة غريبة

ورسم الدخول الى هـذه الحديقة شلين واحد في ايام الاحد والايام المخصصه للاعلانات ونصف شلين في بقية الايام . ويدخل فيها حديقة النبات وهي روضـة فيحاء وغيضه غناء تشتمل على مختلف الازهار وانواع النبات ويتابها اهل الثروة وربات الجمال لترويح النفس وتنزيه الطرف ويمضي كبراء الانجليز واغنيائهم بعض اوقات الفراغ في منتديات خصوصيه تعرف بالكلوب . وهي ديار رحيبه في غاية الزخرفه والاتقان منها ماهو للرجال ومنها ما هو للنساء ويجتمعون فيها للمذاكرة والمنادمة والمطالعة والا كل والشرب ويشتمل اكثرها على جميع جرائد العالم تقريباً ولا يتابها غريب الا بصحبة البعض من اعضاؤها واعظم منتدي في لندن هو الخاص بفن التشخيص وفنون الآداب ورئيسه ولي عهد الملكه

وفيها منتديات للمصوريين وللمحامين وللاحرار وللمحافظين وللمتخرجين من مدرسة اكسفورد ومن مدرسة كمبريدج وبالجملة للاصدقاء المتشابهي المشرب . وعلى كل منتدي ان يعقد وليمة سنوية ويدعو اليها اعضاء المنتديات الاخرى . اما رسوم دخولها فانها متنوعة ولكنها ليست اقل من خمسة جنيهات سنويا عدا بعض المصاريف

(قصر سان جمس St James Palace)

من اشهر مباني لوندره وهو قديم البنيان لايستعمل الا للمقابلات الرسمية بني في ايام هنري الثامن وفيه بيعه يقام فيها الصلاة ايام الاحاد بحضور الملكة

واعاظم المملكة وكانت مقابلة الملكة الرسمية في هذا القصر ولكن بعد موت البرنس البرت زوجها لم تعد تقابل فيه سوى الرجال وتقابل النساء في قصر «بوكنهام . BuckmghamPalace» وهذا القصر مبني بجانب حديقة سان جمس وفي الدور الاعلى منه القاعة المحفوظ فيها العرش الملوكي ممثل في مقفها حرب الوردتين الشهيرة

ومن القصور المعروفة بوقائعها التاريخية

(قصر ويت هول Whitehall Palace)

وهو القصر الذي اعدم فيــه تشارلس الاول ثم قصر كنسنتن Kingston Palace وقصر نشن هوس Nachen House وهو القصر الذي يسكن فيه اللورد امير المدينة

ومن اكبر مباني لوندرا بناء وستمنستر Westimnster Palace وهو محل البرلمنت يجتمع فيه مجلس الاعيان ومجلس النواب وقد انفقت على هذا القصر الى هذا العهد النفقات الطائلة لتجديده واصلاحه من وقت لآخر وفيها نحو الالف ومئة مقصورة بين كبيرة وصغيرة واحدى عشر ساحه مكشوفه وثلاثة ابراج عظيمة وكثير من الاروقة الكبيرة والاعمدة الفاخرة . وفيه الايوان الكبير الشهير بحوادثه التاريخية حيث كان يجتمع البرلمنت الانجليزي القديم . وفيه قتل كثير من الملوك كادورد الثاني وريتشرد الثاني . وفيه لقب كرمويل الشهير بحامي حمى جمهورية انجلترا ثم شهر رأسه فوق سطح هذا الايوان وفيه الآن كثير من تماثيل الملوك والامراء وصور الحوادث التاريخية والنقوش والزخارف ودلائل المجد ومايمثل مظاهر الابهة والفخامة .

يرى القارئ انا اتينا في هذا الباب على وصف موجز للصروح الفاخرة والمباني السنية والآثار العظيمة مما حوته مدينة لوندره الواسعة الاطراف الشاسعة الارجاء مأوى كبار التجار وذوي السعة واليسار وكعبة السياح ومعهد اصحاب جلائل الاعمال وما هذا لوصف وما تلك الآثار الا نذر يسير من كل كبير لايسع القلم حصره ولا وصفه وانما اتينا على ذكره لنبين للقارئ صورة حقيقة تصدق على هذه المدينة العظيمة)



الفصل الثالث

-١-

(قدماء البريطانيين)

CHAPTER III.

— 1 —

(The Ancient Britons)

يذهب المؤرخون الثقاة الى أنّ العنصر البريطاني تألف من أُمم مختلفة وطئت ارض الجزائر البريطانية في اوقات مجهولة قبل ميلاد المسيح وعمّرت بقاعاً كانت لدي الاقدمين مهجورةاخص تلك الامم قومٌ من الكلتيين المتصل نسبهم بجومار اكبر اولاد يافث هاجروا من نواحى بكتريان من الشرق فوفدوا الى اليونان وايطاليا وتقدموا في شمالي غاليا (فرانسا) حتى اشرفوا على المحيط الاطلانتيكي فمخروا في عرض البحر واجتاز فريق منهم الخليج الفاصل جزيرة بريطانيا من قارة اوروبا علّهم يدفعون الى بلاد كريمة الارض يوسعون دائرة متجرهم فيها او يغتصبونها ويستعمرونها . فلما استقرت اقدامهم في ارض الجزائر البريطانية ووجدوها خالية من السكان طاب لهم استيطانها فاستعمروها ثم اقتفى أثرهم بحراً قوم من البلج من شمالي فرنسا واختلطوا بهم فعلموهم اصطناع الخبز وكثيراً من الاصول الزراعية . واقتبسوا صفاتهم وتطبعوا بطباعهم الشجاعة وشدة البأس .

وكانت عاداتهم في بدء الامر وحشية بدوية . اطعمتهم من ألبان الحيوانات ولحومها وتارة من الخضر او نوع من غلال ينبت في غاباتهم فيدّخرونه في شقوق الصخور . وكانت مساكنهم اكواخاً حقيرة من اغصان الاشجار وطين الارض وملبسهم في الشتاء من جلد الوحوش الضارية وفي الصيف يبقون عراةً ينقشون على اجسامهم اشكالاً واشباحاً غريبة من عصير نبات ازرق يسمى (وود) كانوا يتباهون بنقشها ظناً انها تكسبهم الهيبة والوقار في الحرب ويطوقون اعناقهم بسلاسل من الفضة والذهب

اما اسلحتهم المشهورة فكانت القوس والرمح والنشاب والبلطات والحراب الكبيره الغير المدببه ولم يكن لهم بالملاحه ادنى اهتمام بل كانت مراكبهم وقواربهم من الجدل المغطى بالجلد اومن شجر مجوف كالمراكب الهنديه.

وما كانوا يحلون مكاناً مخصوصاً بل يجولون بحسب اختلاف الفصول الى حيث يجدون موضوعاً يناسبهم للاستيطان فيلقون فيه عصا الرحيل ويتخذونه محلاً لهم فيحلون في الصيف في الاوديه المخصبه وينتقلون في الشتاء الى التلال والجبال وهكذا كانوا مقيدين تحت ربقه الخشونة الى ان ابتدأت تتنوع فيهم مقتضيات الحضاره فصارت فيهم احكام عرفيه اعني ان كل عائله منهم تخضع لاحكام كبيرها الى ان انقسموا الى ثلاث رتب متباينه:

« عامة الشعب » وكانت معاملتهم كالعبيد { والاشراف } وكان كل منهم يحكم مقاطعة مستقله . ثم (الكهنه) وكانوا يقسمون الى ثلاث رتب . اختصت الاولى بنظم الاشعار . والثانيه بالترتيل والانشاد على القياثير . اما الثالثة فكانت تعرف بالدوريد . وذهب بعضم الى ان هذه اللفظه مشتقه

من لفظه دروس اليونانيه ومعناها شجره وكان ينتخب الدرويد من اكرم العيال ويشتغلون بالدروس العقليه ومعرفة الفرائض الدينيه . ولما كان البريطانيون وقتئذ كسائر الامم الوثنيه لا يعرفون الاله الحق استبدّ بهم الدرويد وألّهوا لهم الصخور والاحجار وينابيع المياه والاشجار وعلى الخصوص شجر السنديان والوجال العظام. ثم شيّدوا لمعبوداتهم الهياكل العظيمه وذهب بعض العارفين بالعاديات الى أن الدائره الجسيمه المؤلفه من الاحجار الضخمه في مدينة ستونهنج بالقرب من مدينة سالسبوري هي من بقايا معابدهم .

وكان لهم بعض تعاليم حسنه منها الاعتقاد بالثواب والعقاب بعد الموت وتحريض الشعب على تربية اولادهم وتعويدهم الشجاعة والسخاء والانتصار لكل من استغاث بهم والتجأ اليهم . وكان من مقالهم أن من أقرض صاحبه شيئاً في هذه الحياة الدنيا يلاقيه في الحياة الآتية ومن قتل نفسه لاجل صديق له يلاقيه في العالم الآخر وغير ذلك من الاقوال التي اذهلوا بها عامة الشعب وهو غائص في بحار جهالته ثم ادعو الوحي والتوسط بينهم وبين الهتهم فصاروا اصحاب الحل والعقد وقاموا مقام القضاة والمشرعين واستبدوا فيهم استبداداً عظيماً وفرضوا عليهم الضرائب وكانوا يقدمون منهم الضحايا باضرام النار فيهم احياءً زاعمين ان الآلهة لاتسر الا بالدم .

وقد روى قيصر ان الدرويد لم يتعلموا الكتابة وان منتهى علمهم هو تناسخ الارواح بعد الموت وانعاشها لاجسام اخرى . واستمر استبدادهم بالبريطانيين حتى دخل الرومان بلادهم فاستأصلوا شأفتهم وأبادوهم عن بكرة ابيهم وذلك في عهد الامبراطور نيرون

وقد استمرت الجزائر البريطانية زماناً طويلا مجهولة تعتبر كأنها منقطعة عن الكرة الارضيه حتى عرفها الفنيقيون فصاروا يفدون الى السواحل الجنوبية الغربية فيجلبون منها الحديد والقصدير وغيرها من المعادن ويحملونها الى ثغور البحر الابيض المتوسط غير انهم لم يكتبوا ادنى شيء عن طبيعة الارض وعادات واخلاق سكانها وانما يعزى الفضل المظيم في استجلاء الحقائق التاريخية عنها الى البطل الشهير يوليوس قيصر . فقد أرّخها هذا القائد وكتب عنها كثيرا حين افتتحها بالجيوش الرومانية سنة ٥٥ ق . م . وذلك بعد ان صرف ثلاث سنوات متتالية يسعى في خضاع اخلاط القبائل المتنوعة التي كانت تسكن في بلاد الغاله فرنسا فطمح الى جزيرة بريطانيا لتوسيع سلطان دولة روما ورفع العلم الروماني على ارض جديدة كان عالما بخصوبتها فجمع الجيوش وحشد القوات وسافر من جوار قرية بولونياورسا على جزيرة { ديل } غير ان سكان بريطانيا علموا من بعض بحرية الغوليين بقدوم القيصر اليهم لشن الغاره عليهم فتأهبوا للدفاع وكانوا على جانب عظيم من الشجاعة والبسالة ومحبة الحرية فلما وفد القيصر بجنده ومراكبه اليهم وجد الجماهير العديدة منهم وقوفاً على الشاطيء عراة الاجسام وبايديهم الحراب والبلطات فصادف منهم مقاومة شديدة لم يكن ينتظرها وساعد الاهالي توالي عصف الارياح على مراكب الرومانيين وهياج الانواء مصحوبة بالتغييرات الجوية فرأى القيصر بعين حذقه ومهارته ان وجوه تلك العواصف العبوسة تذهب ببسالة جنوده وتحدوبها الى اليأس والجزع فرجع عن تلك الجزائر بدون حرب وارجاء الفتح الى وقت آخر . فعاد الى غاليا وتأهب للاقلاع مرة اخرى في

فصل الربيع . فغشي وجه المياه بعمارة بحرية عظيمة مؤلفه من السفن والبوارج والدوارق والقوارب تحمل القوات العظيمة من الفرسان وما يتبعها من الاستعدادات المتنوعة ففاجأ بها البلاد في فصل الربيع الذي تلا ذلك الفصل من تلك السنة قبل الميلاد باربع وخمسين سنة فدوّخها واخضعها وهلعت قلوب الاهلين فدان له اكثرهم صاغرين وانتشر الرومانيون في البلاد ورفعوا فوقها العلم الروماني وادرجوها في عداد مستعمراتهم

وكان البريطانيون مقسومين وقتئذ الى اربعين قبيلة اشهرها قبيلة الكنتي التي كانت تسكن في مدينة كنت وقبيلة الترنيتيوس التي كانت تسكن في مدينتي مدلسكس واسكس . ومع مابذل يوليوس من الجد والجهد في اخضاع كل هذه القبائل لم يتيسّر له النصر التام على كل البلاد فلما تولى الامبراطور اكلوديس على رومه ارسل اليها في سنة ٤٣ الجيوش تحت قيادة اولوس بيوتيوس فقاومهم اشهر قواد البريطانيين ويدعى كاراكتاكوس وحارب الجنود الرومانيه بمزيد البساله والاقدام فاضطر الامبراطور ان يفد بنفسه الى الجزيره بجنود اخرى ولبث فيها حيناً من الزمن اتخذ في اثنائه لقب برتيكوس ثم قفل راجعاً الى مقره بعد ان عهد تمام الفتح الى بلوتيوس وفسيسان وكان كلاهما من نخبة الابطال المجرّبين والشجعان المنتخبين فوقعت بينهم وبين البريطانيين الثائرين حرب عوان دارت فيها الدائره عليهم وانكسر كراكتاكوس فقبض عليه وأرسل اسيراً مكبلاً بالحديد الى رومه فلما مثل بين يدي الامبراطور كلوديوس وكان قد شاهد ماحيّره من عظمة مملكة الرومان سأله الامبراطور مزدرياً : « كيف ترى حالك الآن ايها القائد العظيم »

فاجابه وقد هتف الآواه اضاقت الدنيا بمملكة الرومان العظيمه فأدّى بها الطمع الى اغتصاب الكوخ الحقير الذي لي في بريطانيا أهذا عدل الملوك العظام، فدهش الامبراطور ومن كان حوله من جوابه واعجبوا بحسن تصرفه حتى ان الامبراطور اطلق سبيله خلافاً للعادة وقتئذ ويقال انه اقطعه قسماً من اقسام الارض الخاضعه للرومان ليحكمها

وفي عهدحكم الامبراطور نيرون استلم من قبله زمام الاحكام سيونيوس پولينوس ففتك بكهنه الدرويد ولحق بهم حتى استأصل شأفتهم فهبت الملكه بواديسيا ملكة ايسيتي واثارت روح العصيان بين بعض القبائل الخاضعه لها واحرقت مدينة لوديثيوم (لندن الآن) و بعض المدن التي كان يسكنها الرومان وقتلت جماً غفيراً منهم غير ان سيوتونيوس تمكن بجيوشه من الانتقام لقومه فحارب بواديسيا وانتصر عليها في معركة شهيره وقتل من العصاه نحو الثمانين الفاً وضايق بواديسيا حتى آثرت الممات على الحياه بالاسر وجرعت نفسها بيديها كاس الحمام وذلك في سنة ٦١ للمسيح . اما سيوتونيوس فانه دام على استبداده بالبريطانيين حتى استبدلته الدوله الرومانيه بغيره من القواد الذين مازجوا الاهالي وعاملوهم باللين والرفق وكان اشهرهم يوليوس اغريقولا الذي اتاها سنة ٧٣ للمسيح واليه يعزي افتتاح جزيرة بريطانيا فتحاً تاماً وسيادة الدوله الرومانيه عليها فانه تقدم الى اسكوتلاندا بملء البسالة والشجاعة واقام صفاً من القلاع فيما بين نهري فورث وكليد في سنة ٨١ صداً لغزوات الاسكوتسيين ثم هزم قائداً عظيماً من قواد البريطانيين عند سفح جبال جرامبيان وذلك في سنة ٨٤ وقد تعمّد معاملة الاهالي بوجه السداد حتى مال البريطانيون الى

الرومانيين كل الميل واستحسنوا لغتهم وعاداتهم واطوارهم

وقد استمر حكم الرومانيين في الجزائر البريطانيه مدة اربعة اجيال ارتقت البلاد في اثنائها ارتقاء عظيماً وازدادت غنى وثروة وتهذبت اخلاق الاهالي وتحسنت عاداتهم ودانوا بالديانة المسيحية وتعلموا زرع الارض وكثيراً من الصنائع وانتشرت بينهم العلوم المعروفه اذ ذاك ومجمل القول انهم ساروا في طريق الحضاره والعمران بقدر ما كانت تسمح به احوال ذلك الزمان . اما الرومانيون الذين كان عدد كبير منهم مقيماً في الجزيرة فقد انشاؤا طرقاً جميلة وبنوا المدن والقرى التي تحيط بها الاسوار الجسيمه لصد هجمات القبائل المتوحشه سكان جبال كاليدونيا ولما اضطربت احوال المملكة الرومانية واشتغلت بالحروب مع البرابرة الغوطيين بتوالي انحطاط شوكتها واقتدارها حوّل القياصرة انظارهم عن جزيرة بريطانيا لانهم رأوا ان حفظ ملكهم أولى لهم من حفظ المتسعمر منها فاستقدموا الجنود والقواد سنة ٤٢٠ من الجزائر البريطانية وتركوا البلاد واهلها هدفاً لغزوات البكتين والاسكتولانديين والسكوت ارباب السلب والنهب وقرصان البحر

— ٢ —

(الاسرة السكسونية والدانيمركية)

من ١٤٢٠ الى ١٠٦٦

— 2 —

« The House of Saxous & Danes »

ما كاد يستقل البريطانيون في شؤونهم بعد خروج الرومانيين من بلادهم حتى قام بينهم النزاع وثارت الحروب الاهلية فاستفاد السكوتلانديون والبكتيون من نزاعهم وانشقاقهم ومن غياب الرومانيين عنهم فانهالوا عليهم كالسيول الجوارف وعاثوا في البلاد مفسدين فاستنجد البريطانيون بالرومانيين فلم ينجدوهم فاضطروا ان يلتمسوا المدد سنة ٤٤٩ من جيرانهم السكسون (قبيلة جرمانيه على شواطئ نهر الالب دابها القرصانيه واللصوصية) فاجابوا طلبهم وطرقوا الجزيرة تحت قيادة الرئيسين هنجست وهورسا وانحازوا اليهم وساعدوهم على اعدائهم وعملوا فيهم ويلاً وهواناً . ثم دوّخوا البلاد وانتشروا فيها انتشار الجراد حتى استوطنوها وحلوا فيها بدل المطرودين . ثم انضمّ اليهم امة من الانجله وهى امة جرمانيه من نسل السكسون صرفت زمانا طويلا في التنقل دون ان يقر لها قرار ثم نزلت بالدانمرك واجتازت منها الى انجلترا افواجاً فتألّف من هاتين الامتين شعب عظيم اطلق عليه اسم انجلو ساكسون جاؤا اصدقاء محالفين فاظهروا بادئ بدء للبريطانيين حباً ووداداً ثم طمعوا في مصالح البلاد فكانوا اشد عليها من الاخرين فوقعت بين الطرفين حروب سال فيها الدم انهاراً حتى كاد يفنى البريطانيون عن بكرة

ابيهم ولم يسلم منهم الا من نفر الى الجبال او من شرد الى الغاليا (فرنسا) فعمر فيها ذالك المكان المعروف بريتاني نسبة لهم وبذلك انقرض نسل الكلتين سكان الجزيرة الاصليين واستقل الانجلو ساكسون بالبلاد وقسموها الى سبعة اقسام سميت باسماء اعيانهم وهي : كنت . وسكسوسينا الشرقية وسكسونيا الجنوبيـة . وسكسونيا الغربية . ونور ثمبريا . وانجليا الشرقية ومرسيا . واقاموا على كل قسم امير يحكمه فنشاء النزاع عن هذه السيادة وقامت بسببها الحروب الداخلية . ثم استقل الملك اجبرت بملكه وكان اشدهم بأساً واقواهم جناناً فضرب الخراج على الست المقاطعات الباقية ثم ضمها جميعها الى مملكة واحدة فاسس منذ سنة ٨٠٠ المملكة الانجليزية وسميت من ذلك الحين مملكة انكاترا وكان هو اول من ملك من الدولة الساكسونية

اما الديانة المسيحية فكانت تلاشت بدخول الساكسون ثم عاد التبشير بواسطة كثير من المرسلين حتى محى أثر الديانة الوثنية شيئاً فشيئاً وعمت النصرانية البلاد في زمن قليل

وبعد موت إجبرت توارث الولاية اولاده وفي مدة حكمهم تأهب الدانيون من سكان الدانيمرك وبلاد البلتيك للاقلاع نحو الجزائر البريطانية وغزوها حيث طمعوا ايضاً بحسن موقعها وخصب ارضها فانضم اليهم بقية من البريطانيين الذين نزحوا الى الجبال فهاجموا جميعاً البلاد مراراً متوالية وصرف الانجلو ساكسون همهم الى مطاردتهم ومحاربتهم وهكذا كانت الحرب بين الفريقين سجالاً فكان السكسون ينتصرون تارةً والدانيمرك اخرى وافتتحوا من البلاد قسماً كبيراً في ايام اثلبرد ثالث اولاد اجبرت واتخذوا

في اهلها قتلاً ونهباً وذبحوا اثلبرد نفسه في بعض المواقع . فاختار السكسون للتملك عليهم بعده اخاه الفريد . وكان في مقتبل صباه لم يتجاوز الاثنين والعشرين من عمره الا ان مركزه كان محفوفاً بالمخاطر والاهوال فسعى جهده حتى عقد مع الدانمركيين صلحاً موقتاً ولكنهم لم يلبثوا على العهد الا يسيراً وعادوا فاستولوا على ولايات مرسيا ونورثمبريا وانكليا الشرقية ثم هاجموا البلاد فجأة بجيوش جرارة تحت قيادة قائدهم العظيم كثروم وعاثوا فيها عيثاً عظيماً ففاز الفريد بنفسه وفرّ مع قليل من رجاله الى الغابات والجبال واختباء في كوخ راعٍ في بقعة منفردة محاطة بالآجام وبقي فيها مدة ستة اشهر كان يتأهب في اثنائها لشن الغارة على اعدائه ولما كان يحسن ضرب القيثارة تزيا بزي قيثاري عازف واندس في معسكر النورمنديين متجسساً واخذ يطوف بينهم كمطرب ويراقب حركاتهم ويطلع على خفايا امورهم حتى امتثل امام قائدهم كثروم فاكرمه اذ اعجب بحذاقته وبذا ازداد الفرد خبرة باحوالهم واطلع على كل ما كانوا يدبرون عليه من المكايد فعاد الى معسكره وجمع اليه رجاله واطلعهم على ما كان من امره ثم زحف بهم على الدانمركيين وحاربهم في السهل والجبل وانتصر عليهم واسترجع بلاده واكرههم على اعتناق الديانة المسيحية واقطعهم قسماً من الارض المنبسطة على السواحل الشرقية من التيمس المعروفة للآن بدانيلاغ نسبة لهم . ثم صرف جده الى ترميم المدن والقلاع التي خربت واصلح الاسطول الذي انشأه وجعل نصف الاهالي من السكان لحمل السلاح في زمن الحرب وترك النصف الآخر لحراثة الارض وزرعها ثم فرض على اهالي اسكوتلاندا

وويلس ان يطوفوا الغابات ويجمعوا منها الذئاب والوحوش الكاسرة ويقدموا له في كل سنة ثلثماية رأس عوض الجزية التي كانوا يؤدونها للملوك اسلافه وبذلك امنت السكان من الضرر الذي كان يلحقها من تلك الوحوش

ويظن البعض بانه المؤسس مدرسة اكسفورد الشهيرة وقد ترجم كثيرا من الكتب اللاتينية التي رأى فيها فائدة لرعيته وسعى جهده بتعميم الآداب والمعارف بينهم وفتح لهم بابا من الحرية حتى كان من جملة اقواله الجارية عندهم مثلا الى الآن (يجب ان يكون الانكليز احرارا مثل افكارهم) والمؤرخون منهم يعدونه من اعظم ملوكهم ولذلك لقب بالاعظم . وكان لطيف الطباع محبوبا طلق المحيا حكم سنة ٢٩ ومات سنة ٩٠ وعمره ٥٢ سنه

وخلفه اكبر اولاده ادوارد وهو اول من لقب بملك انكلترا وقد ظن الدانمركيون في بدء حكمه ان احوال المملكة التي نظمها الفرد تتضعضع بموته ولا تثبت امامهم فسعوا مفسدين في البلاد واثاروا شرر الحرب الا ان ادوارد انتصر عليهم انتصارا تاما واستأثر بالملك وحده وكانت الفريدة والدة اخيه اثلرد مضمرة له الشر تتوقع سنوح الفرص لاهلاكه حتى اذا كان عائداً ذات يوم من الصيد وقد اعياه التعب واشتد عليه الظماء عرّج على قلعة جورف التي كانت تسكنها فطلب جرعة ماء ولم يكد يدفعها الى فمه حتى اشارت الفريدة الى احد خدمها بالهجوم عليه فطعنه بخنجر في صدره خلفه صريعاً يتخبط بدمه فخلفه اخوه اثلرد ولم يكن على شيء من العقل وحسن التدبير سام الدانمركيين اشد قساوة فاشتدّ بغضهم للساكسون ونما الحقد بين الحزبين ثم اقترن بإمّا ابنة رتشاردر دوق نورمانديا وقد سعى بهذا الاقتران تعززًا

لجانبه اذ اوجس شراً من النورمنديين لان اعداءه الدانيمركيين كانوا منهم ايضاً فسبق هو واكتسب قرابتهم حتى خيِّل له انه حصل بذلك على مايتمنى من السؤدد والقوة فامر السكسون بقتل الدانمركيين في مؤامرة سرية فقتلوا منهم عدداً عظيما بفظاعة لم يسمع بمثلها حتى انهم كانوا يطمرون نسائهم عاريات في حفر الى اوساطهنَّ ويطلقون عليهن الكلاب فتمزق اجسادهنَّ وتميتهنَّ موتة تتمزق لها كبد الانسانية حناناً وكانت بينهنَّ اخت ملك الدانيمرك سوين فلما طار الى الدانيمركيين خبر هذه الفظائع هاجوا وماجوا واندفعوا على البلاد بقيادة ملكهم سوين طالبين الانتقام فاقاموا الحرب على قدم وساق واستظهروا على اثلريد وضايقوه حتى اضطرَّ ان يفر الى نورمنديا بزوجته وابنيه ادورد والفرد . فاستولى على عرش الملك سوين وتوفى بعد ثلاثة اسابيع تاركاً فتوحاته لابنه كانون .

بيد أنَّ السكسون ابوا قبوله ملكاً عليهم وارسلوا يطلبون اثلرد فرجع مع زوجته الى ملكه الغابر وعاد الى طغيانه واستبداده فانتقم من الدانمركيين اشد انتقام ثم توفى في غضون اضطراب عظيم وتولى بعده ابنه ادموند من زوجته الاولى ومات هذا بعد عقده معاهدة سلم مع كانون على تقسيم البلاد بينهما وبموته انتقل الملك الى كانوت وهو اول من ملك من العائلة الدانمركية وكان حازقاً فهيماً وغايةً في الشجاعة والاقدام حاز شهرة عظيمه بين ملوك انكلترا وقد بذل جهده في توسيع نطاق ملكه وحكم الساكسون والدانمركيين بوجه السداد والانصاف وتعمَّد في سائر الاحوال صيانة حقوق الطرفين فانتشر الأمن في انحاء البلاد واستتب الهدو والسلام وانعكف الشعب في

ايامه على تحصيل الفائدة والمكاسب فاستطاع السفر الى زيارة البابا في روميه وقدكتب منها الى عمّاله يوصيهم بانه لا يبغي بان يحكم بلاده سوى بالعدل ويطلب منهم ان يسووا بين الاشراف وغيرهم على مقتضى الشرائع التي يجب حفظها وقد حذر كثيراً من ان اولاد اثلريد يترقبان الفرص في نورمنديا فيعملان على منازعته في الملك فطلب الاقتران من إمّا زوجة اثلريد فاجابت هذه طلبه بلا ترددطمعاً في استرجاع مقام عظمتها السابق كملكة انكلترا وهكذا فقد احتفل بزفافها عليه بغاية الاحتفاء والتجلة ثم وضعت منه ولداً دعي باسمه كانوت ويعرف في التاريخ هارديكنوت بزيادة كلمة سكسونيه عليها ومعناها قوي وتوفى كانوت بعد ان حكم تسعة عشر سنة فاوصى بالملك من بعده لاكبر اولاده هارولد فاغتاظت إمّا من اهمال كانوت لابنه هرديكنوت المولود منها وطفقت تسعى سراً بين السكسون لترشيح احد اولادها للملك انكلترا فاستدعتهما من نورمنديا الفريد الاصغر مع جيش من النورمان فثار عليه اعوان هارولد واسروه مع من كان معه ثم حكم عليه بقلع عينيه لكنه ماعتم ان مات من تأثير هذا الحكم . وبعد موته خلفه اخوه هارديكنوت وتوفى بعد ان حكم سنة واحدة وبموته انقرضت الاسرة الدانمركية التي قام منها ثلاثة ملوك

ثم عاد الملك للسكسون واحتفل الاهالي احتفالاً عظيما بتتويج ادورد ابن اثلريد عليهم فوفد من نورمنديا بعدد عظيم من اهلها الذين امضى معهم ٢٧ سنة فعزّز شأنهم واعلا مقامهم وقلّدهم زمام الاحكام فسخط الشعب لذلك وشقّ عليه هذا التميز وتألف ضده حزب برئاسة غودوين الذي كان

ادورد متزوجاً بابنته ثم توفى سنة ١٠٦٦ ولم يترك له ولداً يخلفه في الملك وهو آخر ملوك الاسرة السكسونية فانتخب الشعب من بعده هارولد اخ زوجته وابن الامير غودوين فثار عليه في بدء حكمه اخوه وطلب مساعدة النورماندين الذين كانوا يترقبون الفرص لافتتاح انجلترا واستيطانها فدارت الدائرة على الاخوين بسبب ما كان يقع بينهما من النزاع واستولى النورمان على البلاد وانقرض حكم الدولة السكسونية بعد ان قام منها ١٧ ملكاً ٠



— ٣ —

الاسره النورمنديه

من — ١٠٦٦ الى ١١٥٤ ق ٠م٠

« The House of Normandy »

نورماندیا مقاطعه خصبة من شمال فرنسا على ملاصقة المضيق الانجليزي تنسب اليها الدوله التي حكمت انجلترا بعد انقراض الدوله السكسونيه واول ملوكها وليم الاول الملقب بالظافر كانت إنجلترا اذ ذاك اقوى جانباً واوسع اطرافاً من امارة نوورمانديا المذكورة فكأنها ضاقت على هذا البطل حتى نزع الى التوسع بغيرها فوجَّه اماله الى تدويخ انكلترا وافتتاحها فجمع جيشاً جراراً قويا واتاها مدعياً انه هو الوارث الشرعى لتخت ملكها وان حقه يفوق حق هارولد اخ زوجة ادورد لان إماً ام ادورد كانت عمة ابيه فدخل لوندرا وهو ناشر علماً كان قد باركه البابا فقابله هارولد بجيشه وبعد موقعه هائلة في هاستين لقى فيها هارولد حتفه واضاع ملكه تقدم وليم فدوّخ البلاد ودانت له الرقاب فدخلت الاساقفة في طاعته واقبلت اليه القضاة بالتاج فتوّجوه ملكا في كنيسة وستمنستر سنة ١٠٦٦ ولما استولى على سرير الملك اذل الدانيزين والسكسون والقى مقاليد القوه العسكريه والملكيه الى النورمنديين فعظم ذلك على سكان الجزيره وكادوا يتميزون غيظاً٠ ولذا كانت كثيرا ماتجري بين الطرفين معارك تسيل فيها الدماء انهاراً ثم تلافى وليم الامور وازال ما كان امامه من الموانع واضطرّ النورمنديين والسكسون الى الخضوع له

وقبل خروجه من نورمنديا ترك ابنه روبرت نائباً عنه عليها فعضده فليب ملك فرنسا وشدَّد عزيمته حتى اضطرَّه ان يشق عصا الطاعة على ابيه ويستقل بتلك الاماره . فلما طار هذا الخبر الى وليم بادر الى محاربة ابنه العاصي الثائر فوقعت بينهما عدة حروب استطالت زمناً وقد بارز في احدها الابن اباه اذ كانا مدججين بالسلاح فطعنه طعنةً كادت تصرعه حتى اذا عرفه خجل من فعله وخرَّ بجانبه على الارض مستغيثاً فرفض الاب قبول ادنى مساعدة منه

وكان وليم مقترناً بمتليده وهي اميره من اجمل وافضل اميرات اوروبا في ذالك الزمن ينتهي نسبها بالفرد الاكبر فاثَّرت فيها وطأة المخاصمة بين زوجها وولدها حتى كادت تذوب حزناً وقهرا فاضطرت زوجها على حسم النزاع والخصام فدعى ابنه وعقد معه صلات الصلح والسلام ثم استصحبه معه لانكلترا كاحد قواد جيشه الكبار . وفي مدة غيابه عن انكلترا اصلى السكسون والدانماركيين نار الثورة لما رأوا من تعدي النورمندين عليهم فقتلوا منهم عدداً عظيما فلما عاد وليم اعمل في المتعصبين السيف وانتقم منهم اشدَّ انتقام وضبط اموال الكثيرين وفرَّقها على عساكره وعلى الذين ثبتوا من النورمانديين . ثمَّ مهد الامور بهمةٍ ونشاط واخذ يسعى للتوفيق بين النورمان والانجليز وان يصوغ من لغتيهما لغة واحدة حتى يجعل انجلترا كنورمندى في كل شيء تقريباً فاخذ يمد نطاق اللغة النورمندية ويشيع استعمالها في لسان جميع السكان ويحتم بتعميم التعامل بها في سائر الاشغال فسنَّ بها الشرائع وسجَّل الاحصآت بحروفها وكانت تلك اللغة فرنساوية

مختلطة بالدانمرية بعيدة عن الفصاحة والبيان وقد بقيت مستعملة الى عهد ادور الثالث على ان اسم الانكليز اصبح مكروهاً ممقوتاً لدى النورمان كما كان اسم النورمان مغلقاً على كثير من الانجليز حتى ظنّ بعضهم ان تغلب وليم قاضٍ عليهم بالذل والانخذال الى الابد . ولم يمتزج الشعبان ببعضهما الا بعد جيل من الزمن وقد اتى وليم باعمال عظيمة لا تزال مأثورة عنه الى الآن بيدأنّ كثيراً من مؤرخي الانجليز ذمّوه تحاملاً عليه مع ان له الفضل في تأييد دولة انجلترا وجعل لها المركز الخطير بين الدول العظام وكان جميل الطلعة عظيم الشان حاذقاً بصيراً بعواقب الامور طائر الصيت في الشجاعة والاقدام والظفر في مواقع الحروب مات اثر وقوعه عن ظهر جواده وقد كان يتهادى عليه نشواناً بثورة النصر والظفر في بعض اراضي نورمنديا وذلك في سنة ١٠٨٧

وليم الثاني — وكان يدعى روفوس اي الاحمر لاحمرار شعره خلف اباه بعد موته وترك اخاه روبرت يستأثر بامارة نورماندي فوقعت الحرب بين الفريقين زماناً طويلاً . ولما ظهرت الحروب الصليبية رهن روبرت مملكته عند اخيه واخذ منه مقداراً وافراً من المال وانطلق للجهاد فسر وليم لذلك اذ رأى انه تمهد له سبيل الاستيلاء على نورماندبا التي كان يتمناها غير ان المنون عاجلته قبل ان يدرك مراده فمات وهو في الصيد يطارد الوحوش ويقال ان قوساً افلتت من يد فارس نورماندي قصداً او عمداً اصابت منه مقتلاً فخرّ صريعاً ولم يهتم احد من المملكة بالبحث عن راميها نظراً لبغض الامة له لانه كان ظالماً مستبداً

هنري الاول - وهو اصغر اولاد وليم الظافر تبوأ اريكة الملك سنة ١١٠٠ بعد موت اخيه فاحسن السياسة واستمال اليه الرعيه وبعد تملكه بزمن قليل رجع اخوه روبرتس من الاراضي المقدسة وكاد يقع بينهما الخصام لو لم يسرع رئيس اساقفة كنتربوري بفض الخلاف وعقد الصلح بينهما فتنازل روبرت لاخيه عن حقوقه واكتفى بأمارة نورمنديا بعد ان اخذ عليه شروطاً كثيرة نكث بها هنري فهجم على اخيه واحضره اسيراً الى انجلترا وضمّ اليها نورمنديا سنة ١١٠٦ وساعده .

وسنة ١١١٩ قام ابن روبرت لويس السادس ملك فرنسا على الطالب بثار ابيه ففاز لهما هنري . ثم نازع البابا بروميا في حق منح الوظائف الدينية وتكفل هو بها مثل سائر الوظائف ولم يكن له سوى ولد وابنة تدعى متيلدا مات الولد غريقاً وتزوجت الابنة اولا بهنري الخامس امبراطور جرمانيا ثم اقترنت (بجوفروا بلا نتاجنت) وهو كنت انجو (مقاطعة في فرنسا) فولدت منه هنري الثاني وتوفى هنري الاول بعد ان اوصى لها بالملك في حياته فاعترف لها اكابر المملكة وعظماؤها وعمّت المظالم اطرافها فقام احد اشراف نورمنديا ويدعي اسطفان ابن ابنة وليم الظافر يطالب بالملك وتواطأ الانكليز والنورمانديون على توليته لاستهجانهم تملك امرأة عليهم واشترطوا عليه ان يكون طوع ارادتهم فرضي بذلك حتى اذا ارتقى منصة الملك استبدّ بالاحكام ونشر المظالم فثاروا عليه وثارت الحروب الاهلية فاغتنمت متيلدا سنوح تلك الفرصة وهبّت باعوانها لمحاربته فانخذلت اولا ولكنها ثابرت على الحروب حتى استظهرت عليه وطرحته السجن وعادت لملكها الغابر

فطغت واستبدت وانتقمت من الاهالي شر انتقام حتى ثاروا عليها فهربت وخرج اسطفان من سجنه واستمال اليه رضا الرأي العام وقبض على ازمة الاحكام حتي توفى سنة ١١٥٤ بعد ان اقر بالخلافة من بعده لهنري الثاني بن متيلدا

الاسرة البلانتاجينية

من سنة ١١٥٤ الى ١٣٩٩

The House of Plantagenet

سميت ملوك هذه العائلة بالبلانتاجينية نسبةً الى حشيشة كان يضعونها في قلانيسهم واول من تولى منهم « هنري الثاني » كان ميَّالا الى السلم فسعى جهده كي يزيل كل ما يسبب الحروب الاهلية وقسَّم البلاد الى مقاطعات اقام لها لاول مرة القضاة ونشر الآمان في اطرافها وتعمَّد الحكم بالعدل في كافة الاحوال وازال ما كان للاعيان من السطوة والاستبداد واشتهر بالحلم والحزم فاحبته الرعية ثم ضمَّ ايرلاندا الى انكلترا بعد ان كانت منفصلة عنها وسنَّ للاكليروس نظاماً جديداً أبى الاقرار عليه رئيس اساقفة كنتربري « توما ببكيت » فوقع الخلاف بينهما وطال الشقاق حتى ظعن الاسقف الى فرنسا وتقرَّب من ملكها ولبث فيها حتى استدعاه هنري ثانيةً الى انكلترا فعاد الى اسقفيته ولم يرفع الحرم الذي وقَّعه على الاكليركيين الذين اذعنوا الى النظام الملوكي وخالفوه فرفعوا امرهم الى الملك الذي صاح وقتئذٍ متميزًا من الغيظ « أما من يدفع عني شرَّ عنيدٍ من رعيتي لقيت منه النكد فوق

ما لقيت من المعاندين اجمع » ثمّ هاج به الغضب حتى فاجأ الاسقف وهو في كنيسته وفتك به ثمّ اخذ منه الندم على مافعل كل مأخذ وقاسى من عذاب الضمير ما كاد يعدمه الراحه فارسل الى رومية يستغفر البابا على ما كان منه ويعده بالاذعان لما يأمره به اذا نال منه العفو فعرض عليه البابا ان يركع على قبر الاسقف ويصلي فاطاع فعفا عنه ولكنه ما كاد يتمتع براحة الضمير التي سعى لها حتىّ عصى عليه اولاده هنري ورتشارد وجوفروا باغراء ملك فرنسا الذي التجأوا اليه فتبعهم بالجيوش ثمّ عقد الصلح معهم على شروطٍ بخثت بحقوقه فكمن لهم الحقد حتى مرض فمات وهو يلعنهم بقلبه ولسانه نخلفه ابنه « رتشرد » ويعرف بريكاردوس« قلب الاسد » شبّ من صغره على حب استعمال السلاح ونظم الاشعار فنشأ شجاعاً نشيطاً وشاعراً مفلقاً وقد اخذ بناصر اليهود اذ تبوأ اريكة الملك وكان له شأن عظيم في الحروب الصليبيه التي ثارت بين المسلمين والنصارى في ارض فلسطين على الاماكن المقدسة

« وكان السبب في هذه الحروب ماحدث من ثورة التعصبات الدينية عن روايات الحجاج الذين كانوا يعودون من اورشليم وعن مواعظ بطرس الناسك وتحريضاته وكانت اوروبا قبل هذه الحروب مرسحاً لقتال مستمرين سكانها فصارت وقتئذ ساحتة اسيا. وقد تحركت وقتئذالامم الاوروبية بفكرواحد واشترك الملوك والاشراف والقسوس والاهلون والمزارعون في هذه التجريدات الصليبية التي كانت اشبه شيء بالحمية الجاهلية. ولهذه الحرب شهرة عظيمة في التاريخ لانها من الوقائع العظيمة التي من شأنها تغييراحوال الامم ولها الفضل على تمدن اوروبا »

اما ريكاردوس فانه تحرك ايضاً مع غيره على الجهاد وباع كل مايمكنه

بيعه من الاملاك والمقتنيات التي آلت اليه بالميراث عن ابيه وأعـدّ جيشاً جرارا من نخبة ابطال جيشه وسار به مع التجريدة الثالثة التي سارت الى الارض المقدسة فافتتح في طريقه جزيرة قبرص واقترن فيها بخطيبته برنغاريا وسار منها الى صور التي كانت في قبضة الصليبيين وكان فليب ملك فرنسا وباقي الطوائف الصليبية ينتظرونه بذاهب الصبر حتى اذا قدم عليهم قلدوه قيادة الحملة وزحفوا على عكا واقاموا عليها الحصار . واتّفق ان اصيب في تلك الغضون بالطاعون الذي كان فشا بين عساكر المسيحيين وروى بعض المؤرخين انه في اثناء مرضه كانت ترد عليه الرسائل الودية من عدوه صلاح الدين الذي كان نده في البسالة والاقدام وفي علو الهمة وحسن السياسـة وكرم الاخلاق والميل الى الشعر والقلم وفي قيادة جيوش المسلمين فجمعت بينهما هذه الصفات المتناظرة وتمكنت المودة والصداقة رغما عما كان يجرى بينهما من الحرب والكفاح

وقد قام فليب ملك فرنسا بالهجوم على عكا اثناء مرض ريكاردوس ولكنه صدّ بالفشل فلما تماثل قلب الاسد الى الشفاء تتبع الحصار ببسالة واقدام وقام القتال بين الصليبيين والمسلمين واستمر عامين فقد فيهما من الجيشين عدد عظيم وتحمل الاثنان اضراراً وخسائر جسيمة وكانت الدائرة اخـيرا على جيوش المسلمين فاضطروا الى تسليم عكا ورد خشبة الصليب فـدخل الافرنج المدينة ورفع كل من ملك فرنسا وقلب الاسد علمه على برج من ابراجها ورفع ايضاً دوك استريا علمه على احد الابراج قبلهما فرأى قلب الاسد ان في ذلك اهانة فاضحة لهما فاقتلع العلم وكسره وطرحه في الخندق فحنق الدوك على

ريكاردوس وقامت العداوة في نفسه ضده

اما فيليب ملك فرنسا فانه عاد الى بلاده وابقى مع قلب الاسد عشرة آلاف من جنوده زحف بها على عسقلان ولما اشرف عليها وافاه صلاح الدين بجيش جرار مؤلف من ثلثماية الف مقاتل وهنالك التقى الجيشان فماجت الارض بهما وارتوت من دمائهما وكان كل من ريكاردوس وصلاح الدين يديران رحا الحرب بكل شجاعة واقدام ففعلا فعالا تشيب الاطفال الا ان الفشل لحق بعساكر المسلمين وانهزم صلاح الدين شرَّ هزيمة بعد ان فقد عددا عظيماً من نخبة فرسانه وكان النصر لريكاردوس فاستولى على البلد وباقي مدن اليهودية ورام ان يتبع صلاح الدين ويستولى على مدينة اورشليم التي كانت منتهى اربه ومناه ومطمح انظار الافرنج ومركز قوة العرب فوافاها وحاصرها وكاد يستولي عليها لو لم يقع الفشل بين امراء النصارى وكانت جنوده قد فقدت الجلد والاصطبار رغماً عما نال من الظفر والانتصار تتشوف الى الرجوع لمواطنها وكانت الاخبار ترد اليه من انكلترا تستدعي حضوره اليها وتنذره بخراب المملكة وخروج اخيه يوحنا عليه وعزم ملك فرنسا على اغتيال ولاياته الجنوبية فلم يرَ بداً من المبادرة فرجع الى عكا حتى اذا بلغه ان صلاح الدين زحف على يافا بستين الف مقاتل وان البلد في خطر من استيلائه عليها اسرع اليها واستخلصها منه ثم عقدت معاهدة الصلح بين هذين البطلين فاجتمعا واظهر كل منهما للآخر مايليق به من المودة والاحترام وتصالحا على شروط معلومة وهكذا انتهت حملة الانكليز على تلك البلاد وعاد بعدها قلب الأسد بمن بقي من رجاله فاصاب سفينته نوءٌ شديد وفاز بنفسه مع من فاز

واختار الدخول لبلاده متنكراً كصليبي عائد من الجهاد ولكنه وقع في اسر ليوپولد دوك اوستريا الذي سبق ان اهانه امام اسوار عكا وقد طار الخبر بذلك الى امبراطور النمسا وكان من الد اعداء ريكاردوس فاشتراه بمال وافر وسجنه في قلعة حتى خفي امره على قومه فسار اعوانه يبحثون عنه وكان منهم احد اصدقائه المخلصين ويدعى بلوندل سار مع من سار وهو يعزف بالآلات طائفاً في البلاد سائلاً عنهُ الرائح والغادي حتى اهتدى لسجنه فشرع يغني من خارج القلعة المعتقل فيها ريكاردوس لحناً كان يغنيه كثيراً فعرفه من صوته ومن اللحن فاجابه بمثله من داخل القلعة وبذلك استطلع بلوندل امره واخبر عنه قومه الذين افتدوه بالمال الكثير . ولما اطلقت له الحرية وعاد الى وطنه خلع اخاه عن كرسي الملك الذي اغتصبه مدة غيابه وعفا عنه ثمَّ اعلن الحرب على فليب ملك فرنسا لانه سعى في افتتاح النورمندية التي هي قسم من ملكه وقد استمرَّت هذه الحرب بينهما اربعة اعوام فتتاركا مرات وتحاربا مرات دون ان يظفر احدهما بالآخر وحاز ريكاردوس في هذه الحروب كما حاز في الحروب الصليبية شهرة عظيمة خلَّدت ذكره في صفحات التاريخ الى الأبد ولما حاصر في سنة ١١٩٩ مدينة شالوس أصيب بسهم جرحه جرحاً بليغاً فاذاقه كأس المنون فدفن في روشفورت ووضع قلبه في كنيسة « روان » الكاتدرائية وهو اول من جعل على نقوده صورة اسدين فكانت من بعده علامة لملوك الانكليز

جان سان تير . — جلس على كرسي الملك بعد موت اخيه ريكاردوس الذي لم يخلف له اولاداً شرعيين ويعرف في التاريخ (جان سان

تير) اي لا ارض له لان اباه هنري الثاني لم يورث له ارضاً فاغتصب الملك سنة ١١٩٩ من ارتور ابن اخيه حتى اذا ثار عليه مطالباً بملكه وقع في أسره فاعتقله في قلعة روان وقيل انه قتله فيما بعد بيده فاستجارت ام المقتول بملك فرنسا وطلبت منه ان يأخذ لها بثار ابنها فسعى لها لدى مجلس الاشراف الذي حكم بنزع امارة نورمنديا منه . ثمّ قام في سنة ١٢١٣ خلاف جسيم بينه وبين البابا اغناتيوس الثالث بسبب تعيينه اسقفاً على كنتربري لم يكن راضيا فيه ولكن هذا النزاع لم يطل حتى خفض جناحه للبابا ثم تحالف مع ارثور الرابع والكونت دوفلاندر فانخذل في موقعة بوفين سنة ١٢١٤ وتضافر عليه في تلك السنة اشراف الانكليز وطلبوا منه ان يجري على قانون شارت الذي وضعه هنري الاول فسلّم لهم بمطالبهم ونقح لهم قانوناً رضوا به على أنه ما لبث ان نقض ما ابرم فنهض الاشراف لمناوأته واتخبوا لهم زعيماً سموه قائد جيش الله والكنيسة ودخلوا مدينة لوندرا عنوةً وحاصروا الملك فى حصنه واكرهوه على وضع قانون يضمن حريتهم وقانون آخر للاحراش فاجاب طلبهم ووضع القانونين وكانا ركناً واساساً لحرية الانكليز ومبدأً لظهور الحرية في جميع ممالك اوروبا وسبباً في تغلب مبدأ الالفة والاشتراك بين الاشراف وتعودهم على الآراء السياسة الحقة فشرعت منذ ذاك العهد العناصر المختلفة من الشعب ان تتقرّب من بعضها وان تنضمّ الى جسم سياسي واحد على أن الملك ما لبث ان ندم على ما كان منه فاستجار بالبابا ليعضده على ابطال هذين القانونين فاجابه الى طلبه بان حله من يمينه وحرم معارضيه من اعيان البلاد فنهض اكثرهم ضده وتواطئوا على تولية ابن ملك فرنسا عليهم وقدّموا له

الرهائن على ذلك فوافاهم الى لوندرا واقسموا له يمين الطاعة وفي تلك الاثناء وقع جان سان تير مريضاً وتوفي في الرابع والخمسين من العمر بعد ان اوصى بالملك لابنه البكر هنري الثالث الذي رضي به الانكليز ودام حكمه ٥٥ سنة كانت كلها ثورات اهلية وقلاقل داخلية التأم في اثنائها المجلس الاعلى « البرلمنت » على النسق الذي يلتئم عليه الآن . ولما توفي كان ابنه « ادورد الاول » بعيدا عن انكلترا في الحروب الصليبية فعاد من فلسطين ومرَّ بروميا وزار البابا غريغوريوس العاشر ثم مرَّ بفرنسا فاستقبله ملكها بالحفاوة والاكرام ودخل بلاده وتوّج عليها ملكا في سنة ١٢٧٤ فبدت منه المهارة في الاحكام ثم حمل بجيشه على امير بلاد الغال واستظهر عليه واذله وضم ولايته الى انكلترا فولدت له في اثناء هذا الفتح زوجته ايزابلا ولداً ذكرا دعاه : « برنس اوف ويلس » تخليدا لفتح هذه البلاد وقد سار هذا اللقب من بعده الى الآن على الابكار من ملوك انكلترا . وقد حاول ايضاً ادوارد الاستيلاء على اسكوتلاندا فردَّ بالخيبة ونظَّم اكثر دوائر الحكومة وادخل مجلس النواب في المجلس الاعلى.

ولما توفي خلفه على كرسي المملكة ابنه « ادورد الثاني » وذلك في سنة ١٣٠٧ وكان ضعيف الجنان فاسد الاخلاق اعاد الكره على الاسكوتلانديين فانخذل فتواطأت امرأته على هلاكه مع بعض كبار المملكة وألقوه في السجن ثم قتلوه. فبايع الشعب ابنه ادوارد الثالث في سنة ١٣٢٧ بكفالة امه وتدبير مورتيمير خليلها وكانت تبغض ابنها فسعت والخليل للاستيلاء على زمام الاحكام وقتل الولد والحاقه بابيه على ان القاصر ما بلغ اشده حتى اظهر الحزم واستبد بالسلطة وظن الظنون السيئة ووقع في نفسه ان قاتل ابيه انما هو مورتيمير بالتواطي

مع امه فاعتقله وامر بقطع رأسه ثم القى القبض على امه واودعها السجن حتى ماتت . فصفا له اذ ذاك الجو ولم يعد له من منازع فاستقلَّ في احكامه وزها ملكه وتقدمت انجلترا في ايامه وقد جرى له ايضاً مع الاسكوتسيين عدة وقائع لم يكن له فيها الفوز تاماً . ثم طمع بملك فرنسا بناء على ان امه كانت ابنة فليب الرابع احد ملوكها . فاعد المعدات وجنَّد الجنود وركب البحر من انكلترا وتقدم اليها سنة ١٣٣٨ بخمسين الف مقاتل فلاقاه ملكها باضعاف هذا العدد فعاد ولم يحدث بينهما وقتئذ قتال . ثم حاربه بعد سنتين وانتصر انتصارا بحرياً عظيما في سلويس وفي سنة ١٣٤٦ حصلت معركة هائلة في كريسي انهزم فيها ايضاً الفرنساويون شرَّ هزيمة وغنم الانكليز حصوناً كثيرة وقلاعاواماكن منيعة منها مدينة كالي التي استمرت في قبضة انجلترا مائتي سنة ولما كان ادورد يحارب فرنسا كانت الملكة زوجته تقاوم الاسكوتلانديين بالجيوش الجرارة فهزمتهم شرَّ هزيمة وأسرت ملكهم .

وفي سنة ١٣٥٦ حصلت واقعة « بواتيه » المشهورة بين ادوارد برنس اوف ويلس ابن ادوارد الثالث الملقب « بالامير الاسود » لسواد درعه وبين يوحنا الصالح ملك فرنسا فانكسرت الجنود الافرنسيه وولَّت مدبرةً امام الجنود الانكليزية وأُخذ ملكهم اسير حرب ومات مرهوناً في انكلترا . ومن ذاك العهد اخذ شأن فرنسا ينحط بسبب نزاع امراء المملكة والثورات الداخليه التي اهرقت فيها دماء كثيرة فزحف عليها ادورد في سنة ١٣٥٩ وعاث في ارضها وحاصر ريمس اذ كان مطمح انظاره ان يتوَّج فيها ولم يعد عنها الا وقد امتلك ارضاً واسعة الاطراف ومقداراً من المال وافرا .

على ان الحروب قد امتدَّت بين الانكليز والفرنساويين من سنة ١٣٣٧ الى سنة ١٤٥٣ كانت تشبُّ نيرانها من وقت لآخر فسفكت فيها سيول من الدماء وتأسست بسببها العداوة بين الأُمتين ولها في التاريخ شهرة عظيمة وتعرف بحروب « المائة سنة » اكتسبت منها انكلترا مجداً عظيماً . وقد وقعت في عهد حكم فيليب السادس دوڤالوا وجان الثاني وشارل الخامس وشارل السادس وشارل السابع من ملوك فرنسا وادوارد الثالث ورتشرد الثاني وهنري الرابع وهنري الخامس وهنري السادس من ملوك انكلترا

وكانت لغة انكلترا الرسمية قبل ادورد اللغة الفرنساوية فاستبدلها ادورد بالانكليزية وساعد الفنون الجميلة كالشعر والنظم والرسم الخ وبذل الجد في ترقية الصناعة . واشتهر في حكمه « يوحنا ويكلف » بمبادئه البروتستانية وبارائه ضد الباباوية حتى اضطرتهم ثورة الخواطر التي ثار شرارها في كافة الانحاء الى عقد مجمع في مدينة لندن والحكم على هرطقة تعاليمه وقد عظم هذا المذهب وامتدَّ في البلاد بينما كانت الحرب قائمة على قدم وساق في فرنسا . وفي سنة ١٣٦٧ توفي الامير الاسود وتبعه ابوه بعد سنة وخلفه « رتشرد الثالث » ابن الامير الاسود وكان كثير الانهماك في اللذات مبذراً للاموال علا اريكة الملك وله من العمر احدى عشرة سنة فلم يعارضه معارض ولا تصدَّى لهُ احد من اخواله واعمامه وهم الدوك اوف لانكاستر والدوك اوف يورك والدوك اوف كلوستر . على أنهم ولو لم يحملوا عليه جهاراً فقد دسوا الدسائس ووجهوا التفات الشعب الى ما كان عليه من محاضرته لندماء فاسدي الاخلاق فاضطربت المملكة في بدء حكمه واستاء الجمهور من سيرته وفي سنة ١٣٩٧ فتك

بالدوك اوف كلوستر وضبط املاك الدوك اوف لانكاستر ونهض بجنوده في سنة ١٣٩٩ لاخضاع الثائرين من الايرلنديين وولى نائباً عنه الدوك اوف يورك فاغتنم اعداؤه في غيابه الفرصة واقاموا ملكاً عليهم الدوك هرفوردر ابن الدوك اوف كلوستر فاستولى هذا على لوندرا وقويت شوكته وغالب رتشارد حتى سلمّ نفسه اليه وتنازل له عن الملك أما الدوك هرفورد فلم يطلق سبيله بل سجنه في حصن لوندرا الحصين ثم نقله الى سجن بونفراك حيث اقام فيه زمناً ثم انتزع من الحراس سيفاً قاتلهم به وقتل اربعة منهم ثم قتل نفسه وكانت به نهاية العائلة البلانتاجينية

٥

« اسرة لانكاستر ويورك وحرب الوردتين »

«The House of Lancaster & York & the War of the Roses»

« من سنة ١٣٩٩ الى ١٤٨٥ »

فاز الدوك اوف لانكاستر بملك انكلترا بعد ان قتل رتشرد الثالث سنة ١٣٩١ ولقب بهنري الرابع فعلا اريكة الملك في حياة الدوك اوف يورك وهو احق بالملك منه فكان ذلك منشأً للفتن الاهلية . وفي يوم تتويجه نشر يقول بأنه قبض على زمام الملك بحق الفتح من بعد تنازل رتشرد له وبحق كونه اقرب وارث ذكر لادوارد الثالث وصادق البرلمان على منشوره وأيدّه بصك يثبت التملك في خلفه وحرمان الدوك اوف يورك .

وكانت ايامه كلها ثورات وحروب مع العصاة الاسكوتلانديين انتصر عليهم مراراً وتوفى سنة ١٤١٢ وقد اوصى قبل وفاته بشهرين بالملك من بعده لابنه « هنري الخامس » وكان شجاعاً جسوراً اشهر الحرب على فرنسا سنة ١٤١٥ فافتتحها وظفر باكثر ثغورها البحرية وتوغل في اواسط البلاد واقام عليها الحكام من قومه فانتشرت الجنود الانكليزية في انحائها وقد نال ما نال من هذا الفوز السريع أثر الهرج والاختلاف بين الفرنساويين وانقسامهم احزاباً . ثم تزوج بكاترين ابنة شارل الرابع ملك فرنسا . وجمع بذلك تاجي انكلترا وفرنسا على أنه لم تطل مدة حكمه ولم يهنأ بثمرة فوزه حتى توفي سنة ١٤٢٢ فى ابان عزه وشرخ صباه وعمره ٣٤ سنة . فخلفه ابنه

« هنري السادس » وقد أقيم على المملكتين وتوج بالتاجين وهو لا يزال في حضن مرضعته في الشهر التاسع من عمره فكان كفيله في نيابة فرنسا الدوك دوبدفورت وكفيله في ملك انكلترا الدوك اوف كلوستر . وكان بدء حكمه مقروناً بالسعد . اما فرنسا فانها صارت مملكة انكليزية في كل احكامها وبقيت على ذلك حتى ظهرت فيها الفتاة الباسلة « جان دارك » التي لم تكن تتجاوز الثامنة عشر من عمرها فقادت جيشاً فرنساويا قليل العدد طاردت به الجيوش الانكليزية وفعلت فعالا ادهشتهم بها وانتصر الفرنساويون انتصاراً عظيماً وانهزمت الجنود الانكليزية شر هزيمة وانجلت عن اكثر البلاد التي فتحوها ولم يعد لهم سوى كالي ومدينتين صغيرتين . وفي سنة ١٤٤٥ عقد الصلح بين الفرنساويين والانكليز وتزوج هنري باحدى بنات امراء فرنسا واسمها مرغريت رانجو . ولم يكد يتم الصلح مع فرنسا حتى قامت الحرب الاهلية في انجلترا وهي الحرب المشهورة « بحرب الوردتين » استمرت نحواً من ثلاثين سنة واسبابها ان عائلة يورك نازعت في الملك عائلة لانكاستر . فانقسمت انكلترا الى حزبين كبيرين واتخذ الاهالي شعاراً دالاً على التبعية يمتاز رجال الواحد عن الآخر بوردة يضعونها على صدورهم فكان حزب اليوركيين اي التابعين للدوك اوف يورك شعارهم الوردة البيضاء وحزب الانكستريين التابعين للملك شعارهم الوردة الحمراء . ومن ذلك سميت هذه الحرب بحرب الوردتين

فلما عقد الصلح مع فرنسا وتزوج ملك انكلترا بامرأة فرنساويه . تذمر الشعب فقام رتشارد اوف يورك بانصاره محارباً فكانت له الغلبه وانتصر فى

موقعة سنت البان سنة ١٤٥٥ وأسر الملك واتخذ لنفسه لقب حامي الملك فهبت وقتئذٍ زوجة الملك الاسير وهيَّجت كونتيات الشمال على عائلة يورك فانكسرت اولاً ثم حشدت جيشاً آخر غلبته به شرَّ غلبة بالقرب من وكفلد وقبضت عليه وقطعت رأسه وتوَّجته بتاج من ورق مقصوص ورفعته على اسوار المدينة وقبضت على ابنه روتلاند وهو يعجل بالفرار فلما مثل امامها ركع على قدميه يطلب منها الحياة بعفوها عنه فابتدره احد القواد بقوله « ان اباك قتل ابي فلا بُدَّ من قتلك وانصارك » قال هذا وطعنه بخنجر القاه صريعاً يختبط بدمه . فكان موت هذا الفتى علةً لفظائع تقشعرُّ منها الابدان اذ تأصَّل الحقد في الصدور ونصبت المشانق يشنق فيها كل قبيل أسراه بلا شفقة ولا مرحمة .

وقام وقتئذٍ « وادويك » احد انصار بيت يورك وفتن رعاع لوندرا فنادوا بابن الدوك اوف يورك ملكاً باسم « ادوارد الرابع » في سنة ١٤٦١ وكان هذا الشاب جميل الطلعة محباً للهو سفَّاكاً للدماء لم يحكم كثيراً حتى قامت الملكة مرغريت زوجة الملك الاسير تسعى في خلاص زوجها واظهرت من الهمة والنشاط ما تقصر عنه همم الرجال العظام فالقت الفتن بين رؤساء حزب اليوركيين حتى وقع الخصام بين وادويك قائد الحزب وبين الملك الجديد فانتصر الاول للملك الاسير واخرجه من السجن واعاده لملكه الغابر فعادت الحرب بين الحزبين وكانت الدائرة على اليوركيين ففاز الدوك يورك بنفسه وولَّى الى مدينة كالي في فرنسا يتأهب لاستئناف الحرب فاعاد الكرة في سنة ١٤٧١ وانتصر في واقعة بارنت وقتل وادويك في تلك المعركة ثم أسر

الملكة مرغريت وابنها والقاها في السجن حيث قتلت نفسها وقتل بعدها زوجها ولم يعد بعد ذلك من ينازعه في الملك الا انه استبدّ في الاحكام فسام السكان أشدّ القساوة ثم انتقم من اخيه افظع انتقام فأماته في برميل من الخمر وتوفي سنة ١٤٨٣ بعد ان ترك ولدين وست بنات تزوّجت اكبرهن بهنري السابع .

وكان رتشرد الثالث دوك جلوستر وصياً على الولدين فطمع بالملك لنفسه وأباد مقاوميه من الحزب الملوكي وأمرَ بخنق الاخوين وألّف له حزباً بايعه بالملك فاضطرّ ايضاً المجلس الاعلى الى مبايعته على انه استبدّ كغيره في الاحكام واساء الى اليوركيين واللنكستريين معاً ولم يستمل اليه من الحزبين أحداً وأساء ايضاً الى الدوك بوكنهام وكان اخلص الناس اليه . فقام هنري تيودور دوك رونشموند ابن مرغريت من نسل اللنكستريين وتقرب من اليوركيين باقترانه باليصابات اكبر بنات ادوارد الرابع فاستمال اليه بسبب هذا الاقتران ميل الحزبين وجمع حق الاثنين ولما كثرت انصاره قام بهمة واقدام مطالباً بالملك واشهر الحرب على الدوك جلوستر فكسره والقى القبض عليه ثم قتله فانقرضت بذلك العائلة اليوركية وانتهت حرب الوردتين التي دامت ثلاثين سنة أهرقت فيها الدماء كالسيول وراج سوق الهلاك والاعدام رواجاً لم يكن له مثيل فسلب الامن العام وصارت القوة للكبير والعظيم وعدل الفلاحون عن الزرع مخافة الا تحرق الحرب مزروعاتهم بنيرانها وتدمرها الخيل بحوافرها وعمّ الفقر البلاد حتى صار الاهلون لا يورثون الا الملابس وجملة القول إن الجيل الخامس عشر كانت نهايته على انكلترا وفرنسا واوستريا وجرمانيا من اسوإ الايام التي مرت على الانسان .

٦

« اسرة تيودور »

من ١٤٨٥ الى ١٦٠٣

The House of Tudors

ما انتهت حرب الوردتين بين عائلتي لانكاستر ويورك وانقرضت الاولى فآل الملك للثانية حتى كثرت المؤامرات وطمع بعض المغتصبين بالملك وكان من اخصهم دجّالان ادعى احدهما وهو ابن خباز انه ابن اخ الملك ادورد الرابع لما كان بينهما من اوجه الشبه فعضده الايرلانديون وبعض اكابر المملكة في طلبه فسار على انكلترا بجيش جرّار لم يمدّ له الانكليز ادنى مساعدة فانخذل وقتل وهو يولي الفرار . اما الثاني فكان ابن جزّار ادّعى انه احد الاميرين الصغيرين اللذين قتلهما رتشرد الثالث فالقي القبض عليه وأُلحق بخدم المطبخ الملوكي .

وكان هنري السابع رئيس هذه العائلة ميّالاً الى السلم فنشر الامان في انحاء البلاد وسنّ مشروعاً عظيماً قاضٍ بان لا تشهر احدى الدول الحرب الا بعد توسط غيرها وتعذر اطفاء نارها وقد سعى جهده في محو ما بقي للاشراف من النفوذ والسطوة . وكان دأبه حشد المال فباع الى كارلوس الثامن ملك فرنسا مقاطعة بريتاني باربعمائة الف ليرة . ثم فرض على رعيته الضرائب الفادحة حتى خلف في خزائنه نحو العشرة ملايين من الجنيهات .

وخلفه ابنه « هنري الثامن » توّج ملكاً على انكلترا وهو ابن ثماني

عشرة سنة . وقد جمع بين العلم والظلم والشجاعة والاستبداد وكان سريع الغضب كثيرا ما أمر بقتل رعاياه وهو في حدة خلقه . اصلح حال الاساطيل الانكليزية ونظَّمها وسنّ القوانين للجنود وامر بزرع الاشجار لبناء السفن وقد بنيت في ايامه بعض المراكب الكبيرة التي سميت باسمه . وضمّ مقاطعة ويلس الى انكلترا ومنحها حق ارسال مندوبين من قبلها يحضرون في مجالسها. واهتم في ايامه المجلس الاعلى لتقرير وراثة الملك وعضد الاصلاح وأمر بترجمة الكتب المقدسة الى اللغة الانكليزية وقد اكثر من التداخل في شؤون الممالك الاوروبية . واتحد مع عمه ملك اسبانيا لمحاربة فرنسا وفي سنة ١٥١٢ حدثت واقعة هائلة بين العمارتين الانكليزية والفرنساوية قرب برست وهناك استعملت المدافع اول مرة في البحر .

ومما يروي عنه انه اقترن بست نساء عاملهن الواحدة بعد الاخرى بالتوحش والقسوة . كانت اولهن كاترين دراجون زوجة اخيه ولد له منها عدة اولاد ماتوا صغاراً ما عدا ابنة تدعى ماري فتمنى ذكراً يخلفه في الملك ومال عن الملكة الى وصيفتها حنه بولين راقت هذه في عينيه لما بدا له من بهاءها وذكاءها فعلقها وطلب من البابا طلاقه من كاترين واتخاذها بدلاً عنها فأبى عليه ذلك فشقّ عصا طاعته الدينية واعتنق المذهب البروتستانتي وتعصب له حتى امر بقتل من لم يعتنقه ودعا نفسه رئيسا للكنيسة الانكليزية واقترن بحنه بعد خصام خمسة اعوام انجلى عن حكم رئيس اساقفة كنتربري بفساد اقترانه بكاترين من اوله وان حنه هي امرأته الشرعية وهكذا توجت ملكة على انكلترا باحتفال عظيم وولدت منه الملكة اليصابات . ولما ابتدأ يكرهها ويميل

عنها الى جان سيمور اتهمها بامور كثيرة واعدّ للفحص عن سيرها لجنة تألفت من بعض اللوردات كان منهم والدها فقرّرت انها اتت المنكر مع الموسيقي وبعض الحشم الخاص فامر الملك بخنق بعض المتهمين وقطع رؤوس البعض وحوكمت حنه بولين امام لجنة اخرى تحت رئاسة عمها فحكم عليها بقطع رأسها وقد اظهرت من العظمة والسيف مشهر فوق رأسها ما يفوق تصوره الوهم . اما هنري فانه شغف بحب ابنة فقيرة تدعى كاترين هوار كان عالقاً بها احد لوردات المملكة مالت عنه الى الملك ثم اجتمعت به في مقصورتها وكان اخيرا من حظهما ان قتلا في برج لوندرا ومات هنري في سنة ١٥٤٢ وله من العمر ٥٦ سنة

(وقد مثلت هـذه الواقعة بقلم شقيق واضع هذا الكتاب في رواية تشخيصية تعرف برواية مطامع النساء)

وخلف هنري ابنه ادوارد السادس ما حكم غير مدة قصيرة حتى توفى في زهرة صباه فتولت بعده ماري شقيقته اكبر بنات هنري وهى المعروفة بسفاكة الدماء لانها كانت شديدة التمسك بالمذهب الكاثوليكي فاتخذت سلطانها واسطة لنشر المظالم الفظيعة ضد البروتستانت حتى كانت تأمر بزج من لم يكن كاثوليكيا حياً في اتون النار ثم اقترنت بفليب الثاني ملك اسبانيا تحمساً لمذهبها واشهرت الحرب على فرنسا انتصاراً لزوجها وما عادت تلك الحرب على انكلترا سوى بفقد مدينة كالي آخر مابقى لها في فرنسا وماتت ماري وهى في اتعس حالة بعد ان حكمت خمسة سنوات .

وخلفتها اليصابات اختها . وقد تفردت هذه الملكة عن الجنس اللطيف

وتميزت بمزايا نادرة المثال فكانت زكية الفؤاد سريعة الخاطر جمعت بين سمو مدارك الرجال العظام وشدة الميل الى الغضب والاستبداد في الاحكام وازدانت ايضاً بمحاسن النساء وشدة انفعالهن وكبرياءهن فكانت تتزين وتتبرج وتغار من الحسان حتى لم تطق ان ترى احسن منها وجها في عصرها. تعلّمت اللغات اللاتينيه والفرنسوية والايطاليانيه والاسبانيوليه والفلمنكيه وترجمت مؤلفاً من اللغة الايطاليانية الى الانكليزية وكانت تقضي اكثر اوقات الفراغ في مطالعة التاريخ .

اما الانكليز فقد اقبلوا خبر تبوأها اريكة الملك بالاحتفاء والسرور وأملوا منها الخير لما قاسوه من المظالم في حكم اختها ماري السفّاكة فحققت بذلك آمالهم ولاحظت القسط والعدل بينهم وشملتهم بفضائل كثيرة واختارت لان يكون وزيرها الاول وليم سَسل الشهير فخدمها خدمة صادقة وتهالك في السهر على مصالح البلاد حتى شغل مكانة سامية بين رجال عصره

وقد اخذت بناصر الحزب البروتستانتي فانتشر بحمايتها في انحاء اوروبا انتشاراً عظيماً وحاول كثيراً البابابيوس الرابع ان يردها الى المذهب الكاثوليكي فذهبت مساعيه ادراج الرياح

وفي سنة ١٥٦٣ طلب اليها البرلمنت ان تتأهل لان إرث الملك كان من صالح المملكة فتقدّم لها الراغبون من اشراف البلاد واعيانها افراداً وازواجاً وطلبها ايضاً شارل التاسع ملك فرنسا ثم كارلوس ابن امبراطور المانيا وفليب الثاني ملك اسبانيا زوج اختها فامتنعت ورفضتهم جميعاً واظهرت انها تكره الزواج وتفضل ان تبقى حرةً على جسدها كما هي على مملكتها ولكنها كانت

علقة بحب احد كبار مملكتها ويدعى « إرل لستر » شغل فى جنانها المنزلة العليا فملقت عواطفها عليه وازدادت له يوماً فيوماً تعطفاً وتودداً فلعبت به المطامع حتى خيّل له انه لم يبق عليه إلا ان يمدّ يده ويضع تاج المملكة على رأسه ويصير فخر الامة ورأس المملكة الانكليزية ولذلك فتك بزوجته ظلما وعدواناً غير ان الملكة لم تحقق احلامه فكانت في حبها شديدة الانفة والعزّة

وقد تداخلت كثيراً فى شؤون اسكوتلاندا وانتصرت للبروتستانت فيها فعظم شأنهم حتى ابغضوا ملكتهم « ماري استوارت » التي كان ينظر لها كاثوليكيو انكلترا واسكوتلاندا كمنقذة مذهبهم من المذهب البروتستانتى ومن اليصابات زعيمته وزاد بغض الاسكوتلانديين لها قتلها لزوجها واهاجهم فعلها هذا فزجوها في معقل حصين وساموها جحد مذهبها علناً فأبت ولبثت سجينةً حيثما تخضت عن ولدها جيمس الاول الذي وحّد مملكتي اسكوتلاندا وانكلترا فيما بعد ثم ارسلت تستجير بحمى ابنة خالتها اليصابات فكانت كالمستجير من الرمضاء بالنار فان اليصابات استقدمتها اليها بأمان ثم امرت بزجها في السجن وبقيت فيه مدة ١٨ سنة اتخذت في اثنائها وسائل جمة للخلاص فلم تفلح حتى اوجست اليصابات خيفةً على نفسها اذ قام حزب يدس الدسائس فعقدت مجلساً حكم على ماري بالقتل في سنة ١٥٧٧ ثم قتلت معها ايضاً كثيراً من المتآمرين

وفي مدة حكمها حصلت في فرنسا مذبحة مارى برثلماوس الشهيرة سنة ١٥٧٢ وقد نشأت عن النزاع بين البروتستانت والكاثوليك وكان ملك فرنسا وقتئذ بالاسم فقط شارل الملقب بالضعيف واما المالكة فعلاً فكانت

امه « كاترين » وهي التي اضطرته الى اصدار الاوامر بذبح البروتستانت فاصدرها وجرت الدماء سيولاً في كل مدن فرنسا وقراها وقدر عدد من قتلوا بخمسين الفاً تقريباً .

هذا وان العقائد الدينية كانت قاسمة وقتئذٍ دول اوروبا الى شطرين الدول الكاتوليكية والدول البروتستانية ودامت نيران الحروب والفتن مشتعلة بينهما تارة تحوز النصر فئة وطوراً تفوز به أخرى وكان ذلك منذ بداية القرن السادس عشر الى منتصف القرن السابع عشر ولم تعقد شروط الصلح النهائية الا في سنة ١٦٤٨ وهي شروط وستيفالي الشهيرة وكان سكان اوروبا واكثرهم من الفرنساويين والهولانديين والجرمانيين يتركون بلادهم ويطوفون البلاد طالبين حرية الدين فأمَّ اكثرهم انكلترا واستجاروا بحمى اليصابات ونشروا ما يلمون به من الصنائع والفنون فادخل الهولانديون الشاي والجرمانيون الساعات وعلَّم الفرنساويون الاهلين اشياء اخرى كثيرة مما كان مجهولا او غير متقن وعرفت زراعة البطاطا والتبغ كل هذا ساعد على تقدم البلاد ونجاحها .

وكان البابا سكستس الخامس وفليب الثاني ملك اسبانيا من الد اعداء اليصابات فجاوزا الطور بعناوأتها ومخاصمتها اما هي فتأهبت للكفاح بهمة الابطال . وكان فليب قد ارسل جيوشه الى هولاندا لنشر المذهب الكاثوليكي فيها فشنت عليها الغارة ودمرت مساكن الاهلين واتت من الفظائع والمنكرات ما تقشعر له الابدان وتتمزق منه كبد الانسانية فارسلت جنودها لخلاصهم وبادئتهم بالجميل والمعروف فظفروا بالحرية

الدينية والمدنية معاً حتى تعلقت قلوبهم بحبها وطلبوا منها ان تكون ملكتهم فامتنعت

ولما انتشبت نيران الحرب بين فرنسا واسبانيا أمدت ايضاً الفرنساويين بالمال والرجال واصدرت اوامرها الى عماراتها البحرية بان تناويء اسبانيا في شواطيء مملكتها فعادت لها ظافرة غانمة وهكذا فقد كانت على تلك البلاد صاعقة سخط ونقمة . حينئذٍ اشهر عليها البابا حرباً صليبية وادَّعى فليب أنه الوارث الشرعي لعائلة لانكاستر بعد زوجته ماري فجهزا عمارة بحرية عظيمة وهي « الارمادا » الشهيرة وكانت مؤلفة من عدد وافر من بوارج حربيه وبوارج اخرى كثيرة لنقل المهمات وارسلها تحت رئاسة القواد المجربين لافتتاح انكلترا واخماد سطوة اليصابات ولكن السفن بسيرها اتتها من الارياح مالا تشتهيه فهاجت عليها انواء شديدة اعدمت جانباً عظيماً منها وما بقي بعد صبر عليه قواد البوارج الانكليزية حتى قربت منهم فاطلقوا عليها المقذوفات النارية فدمرتها عن آخرها ومن ذلك العهد انحطَّ شأن اسبانيا بعد ان كان لها المقام الاول بين ممالك اوروبا والسيادة العظمى على البحار والامصار

ولمَّا كثرت الشركات التجارية التي كانت تذهب الى الاقطار السحيقه بقصد التجاره واستكشاف البلدان امرتها الملكة اليصابات بتسليح مراكبها واستخدمت بعضاً من ظباط هذه المراكب في العمارة الملوكية وقام في ذلك الحين كثير من القواد الذين احلوا العمارة الانكليزية المحل الاول نظير دراك ورالي وهوكنس وهورو وغيرهم

ولبثت هذه الملكة تحبي ملكها البهاء والفخر وحبها لاول لستر يزداد

يوماً فيوماً وكثيراً ما كان يخونها وكانت تسامحه حتى لم تعد تطق صبراً على فراقه فعرضت على وزرائها بان تجعله ثانياً لها في المملكة فعارضوها اولاً ثم طلبوا مدة لفحص طلبها توفى في غضونها فابكته طويلا حتى سطا على قسوة قلبها شاب في مقتبل العمر وزهرة الحياة فرقّته الى أعلى المناصب وغمرته بالانعام ثمّ خانها ومال عنها الى غيرها واقترن بها فخيّمت عليه ظلمات غيظها وزجته في السجن ثم لم تلبث ان انقلبت عنه من الجفاء الى الرضا فاخرجته من السجن وأمّنته بوادر غضبها ثم ارسلته في مهمة الى ايرلاندا لم يفلح بها فعاد رضاها عليه الى السخط وجاهر هو ايضاً بالعصيان فامرت بمحاكمته وقتله ولكنها لم تستطع التجلد والصبر على فراقه فبكته بدموع سخينه رغماً عما اشتهرت به من تغلبها على عواطفها ثم استسلمت للحزن والقهر نادمةً على ما فرط منها وأثرّ الهزال في جسمها فلحقت به بعد سنين وتوفيت وهي في السبعين من عمرها وبوفاتها انقرضت الاسرة التودريه وحكم هذا الملكة في التاريخ الانكليزي من ازهي الايام وازهرها فقد كان عهد الاختراع والاكتشاف والتقدم والنجاح فعملت المركبات وازدادت الاساطيل البحريه ودار الانكليز حول الكرة الارضية وتأسست لاول مرة الشركات التجارية في الهند واميريكا ونشأ في الانكليز حب الاستعمار والاسفار واتسع نطاق التجارة وتوفرّت اسباب العمارة وضرب الامن اطنابه في اطراف البلاد ونبغ عدد وافر من العلماء والشعراء والفلاسفة ورجال الحرب والسياسيين والمؤرخين منهم اللورد باكون الذي حوّل مجرى المقول عن السبل اللاهوتيه الى السبل الطبيعية بتآليفه الفلسفية ومنهم وليم سسل الشهير والسر

ولتر رالي المؤرخ وشاكسبير الشاعر وغيرهم من مشاهير الرجال الذين نبغوا في مطالب مختلفة فجعلوا لانكلترا مقاماً عظيماً حتى صارت فى حكم اليصابات محتد المدنية ومعدن الثروة وقطب دائرة العلوم والمعارف



٧

« أسرة ستوارت »

« The House of Stuarts »

رأس هذه العائله « جمس الاول » ابن ماري ستوارت دُعي ملكاً على سكوتلاندا حين ولادته بوكالة عمه وحماية اليصابات التي اقرت له في حياتها بالخلافة من بعدها . ولما توفيت توّج ملكاً على انكلترا وضمّ اليها سكوتلاندا فاتحدت وقتئذٍ المملكتان وصارتا مملكةً واحدةً .وكان جمس خشن الطباع ضعيف الرأي فاسد الاخلاق قبيح المنظر نهج على سياسة عوجاء في كل أعماله واعاد المظالم على الكاثوليك مما حمل الشعب وخدمة الدين الى بغضه واحتقاره فتألب عليه بعضهم واتفقوا على وضع لغماً من البارود اسفل قاعة البرلمان واخذوا يترقبون وقت التئامه وكان بينهم ابن اخي اللورد مونتجلو من اعضاء البرلمان فكتب الى عمه يحذره من حضور تلك الجلسة في اليوم الموعود واوضح له السبب في ذلك فأخذ هذا الكتاب واطلع الملك عليه الذى امر بالقبض على المتآمرين وشدّد الوطأة على الكاثوليك وحرمهم من التمتع بأكثر الحقوق وقضي عليهم بالبعد مسافة خمسة عشر كيلومتراً عن عاصمة المملكة

ورام ان يستبدّ في الاحكام بلا منازع فجاهر في البرلمان بأنّ للملوك امثاله حقاً الاهياً فاذا عدلوا او ظلموا واذا فعلوا ما شاؤا فلا نقض ولا ابرام فسآء هذا التصريح اعضاء البرلمان وسعوا في وضع حد لحقوق الملوك على الرعايا وفي مدته اشتهر الدوك بكنهام وحكم اثنين وعشرين سنة انحطّ فيها شأن انكلترا وصار دون ما كان عليه في عهد الملكة اليصابات ٠

وقام بعده ابنه « تشارلز الاول » سُرَّ الشعب لدي تبوأه اريكة الملك واملوا منه الخير لما اشتهر عنه من الاخلاق الحسنة وقد اقترن في عهد ابيه بهنريت ابنة هنري الرابع ملك فرنسا وكانت كاثوليكية المذهب فعضدت الكاثوليك حتى كاد المذهب الكاثوليكي والمذهب البروتستانتي ان يكونا على على قدم المساواة بيد انه اخاف خان الشعب فيه واثار الاضطهاد على الكاثوليك ورام ان يستبدّ كابيه في سلطته معتقداً مثله بان عامة الناس ما خلقوا إلاّ لتسلط الملوك عليهم تسلطاً مطلقاً فشرع في حل البرلمنت الممثل لهيئة الامة إلاّ ان اعضاءه تصدوا له معارضين فعزلهم واستبدلهم بغيرهم كانوا اشدّ مقاومةً من المتقدمين حتى اذا اضاق ذرعاً عن اذعانهم لرغائبه ابطل مجالسهم واستقلّ بالاحكام احدى عشرة سنة يعضده اثنان من اخص مستشاريه وهما « لود » وإرل سترافورد » فختم على القسوس بان لا يعظوا في الكنائس وعلى الاهلين بان ينقطعوا عن التعبد فيها واضطهد بعضهم حتى اضطرهم ان يهجروا مواطنهم افواجاً افواجاً ويستوطنوا الجهات الشماليه من الولايات المتحدة وقد استمرت هذه المهاجرة سبعة اعوام متتالية نخشى الملك من عواقبها واصدر الاوامر بمنعها وكان بعض الاشراف ككرمويل و يم

وهمپدين وغيرهم عازمين على الرحيل فصدّهم عنه فحقدوا عليه وصاروا من اشد اعدائهِ وانضمَّ اليهم كثيرون غيرهم وطلبوا منه قتل مستشاريه وتنازله عما يدعيه من السلطان المطلق وان لا يكون له ادنى حق في حل البرلمان بدون مصادقة اكثر اعضاءه فرفض الملك ذلك بتاتاً

فقام النزاع على قدم وساق وانقسمت البلاد الى حزبين حزب الملك وتألف من اعاظم المملكة وشبانها واساقفتها وحزب البرلمان وتألف من عامة الشعب الذي ثارت فيه روح الحرية فهبَّ لاول مرة يطالب بحقوقه المهضومة وكان المؤلف لشمل هذا الحزب على نفقته الخاصة اوليفر كرمويل كان من اكابر المملكة وعلى جانب عظيم من الذكاء والدهاء تألب حوله عصابة من الرجال الاشداء مالوا اليه لما آنسوا فيه من شدة البأس وعلو الهمة وتكوّن منهم جيش عظيم كان رئيسه ورئيس تلك الثورة ولما شبت نيران تلك الحرب الاهلية اظهر من الشجاعة ما لا مزيد عليه واستظهر بجيشه على جيش الملك في موقعتين عظيمتين فاسره وسجنه واقام الحجة عليه امام البرلمان وطلب من الاعضاء الحكم باعدامه فهال بعضهم هذا الطلب وأبوا المصادقة عليه وكان الجيش الذي يقوده وقتئذٍ مصدر القوة فظهر به على مقاوميه واعمل في رقاب بعضهم السيف واستبدلهم بمن جاروه على طلبه وحكموا بقتل الملك وقد نُفِّذَ هذا الحكم بقطع رأسه امام قصر « ويت هول » غير أن بعض العظماء عدوا ذلك الحادث مصاباً عظيماً على المملكة فألفوا حزباً ضده الاّ انه انتصر عليهم انتصاراً عظيماً اوهن قواهم وزحف على ايرلاندا ففتحها ودوّخ قسماً كبيراً من سكوتلاندا ثم وجّه جهده الى اخماد الثورات

وتغيير هيئة الحكومة من ملكيه الى جمهورية فمهّد الامور بما كان عليه من الدهاء والذكاء حتى عاد عظماء المملكة واعيانهم وتألبوا حوله وسلموه زمام الاحكام كما كان متقلداً قيادة الجيوش ودعوه في سنة ١٦٥٤ « حامي حمى جمهورية انكلترا »

« وقد وصف جيزو المؤرخ الفرنساوي الشهير هذه الثورة بقوله : ان الثورة الانكليزية كانت سياسية في طبيعتها وقد تمت في عصر ديني ووسط شعب ديني وكانت تخدمها التصورات والتعصبات الدينية غير ان النية الأصلية والغاية النهائية كانتا سياسيتين فكان القصد منهما نسخ السلطة المطلقة وتأييد مبادئ الحرية التامة »

وقد قام كرمويل بمهام رئاسة الجمهورية بحزم وحسن تدبير مدة خمسة اعوام سنّ فيها شرائع جاءت مطابقةً لمقتضيات الامة في ذلك العهد ولما صفت له الايام ولم يعد من يزاحمه في سلطته طمحت انظاره الى الاستئثار بالملك بيد انه لم يعلن رغبته هذه لعلمه بميل الجند الى الجمهورية التي أخمدت في مدتها الثورات والحروب الاهلية وعظم شأن انكلترا فهابتها الممالك العظيمة

وبعد وفاة كرمويل خلفه ابنه رتشرد لم يلبث قليلا في المنصب الذي ورثه عن ابيه حتى استقال منه اذ رأى نفسه غير كفوء له فوقع النزاع بين رجال الادارة وقوّاد الجيش حتى آل الحال الى قلب نظام الحكومة من جمهورية الى ملكية .

وأول من سعى في تغيير هذا النظام الجنرال « منك » كان شهماً شجاعا تولّى قيادة الجيش بعد موت كرمويل فاستدعي تشارلز الثاني وهو بكر تشارلز الاول هرب بعد قتل ابيه واخذ يطوف البلاد دون ان يقر له قرار وقد

وقد لبّى طالب منك ليخلص من شظف العيش ودخل لوندرا باستقبال عظيم وتوّج ملكا بلقب تشارلز الثاني فآثر ان يعيش على عرش ملكه الجديد مرتاح البال وعكف على معاقرة بنت الحان والانغماس في الملذات ثم انتقم ممن كان لهم يد في قتل ابيه . وفي مدة حكمه كان الهولانديون يسابقون غيرهم في التجارة حتى اوصلوها الى الهند والصين واطراف اميريكا فوقع الخصام بينهم وبين الانكليز واشتبك القتال في عدة مواقع ثم عقد بينهما الصلح واشتركت معهما مملكة «اسوج ونروج» فاتحدت الثلاث دول اتحاداً ثلاثياً تنازلت فيه هولاندا لانكلترا عن املاكها الاميركانية على انه لم يمض قليل على هذا الاتحاد حتى انحازت انكلترا لفرنسا واتفقت معها على محاربة حليفتها هذه فاصطلت نار الحرب بحراً بين الاسطول الهولاندي والاسطول الانكليزي فتمكن بذلك الفرنسيس من شن الغارة براً على هولاندا والفتك بها وقد اساءت سياسة هذا الملك اعضاء البرلمان فطلبوا منه مطالب عدة سلم لهم بها وكثرت في مدته القلاقل وعاد تعصب المذاهب الدينية يفرق الاهلين واصيبت البلاد بوباء عظيم تلاه حريق اعظم كل هذا وهو في غيه المعهود . ثم جدد عهود الصلح مع هولاندا وازوج ابنته مريم بالبرنس وليم اورانج الهولاندي تعزيزا لدعائم هذا الاتحاد وتوفي فجأة سنة ١٦٥٨ فخلفه اخوه «جمس الثاني» وكان كاثوليكي المذهب اتخذ سلطته الملوكية واسطة لتعميمه بين الانكليز ولم يعد يستخدم لادارة مهام الحكومه سوى الكاثوليك او البروتستانت الذين كانوا يرضون بعمل الكاثوليك . وفي مدة حكمه جهز ملك فرنسا اسطولا كبيراً لافتتاح انكلترا فالتقت به اساطيل

الانكليز تحت قيادة الاميرال رسـل ودامت نيران الحرب مستعرة نحو اربعة ايام فانكسر الاسطول الفرنساوي وبنى الانكليز مستشفى «كرينوتش» تذكاراً لهذه الواقعة ثم جعل هذا المستشفى مدرسة لتعليم العلوم الحربية

وقد نهج جمس هذا سياسة عوجاء فجعل سياسة بلاده الخارجية تابعة لسياسة فرنسا لان سياسة تلك المملكة كانت ضرورية لتأييد سياسته في بلاده وكان البابا وحكومة اسبانيا وجرمانيا مقاومين لاعماله وسياسته كذلك عظماء المملكة واعيانها الذين بغضوه فكان النزاع بينه وبينهم مستمراً ولذا كان يوقف البرلمان حيناً ويرضى عنه احيانا . ولما اشيع انه ولد له صبي يرثه اطبق رأي الامة ان الولد ليس ولده فاتى هذا الحادث باعثاً على الثورة واطبق الانكليز وقتئذ على خلعه وطلبوا الى وليم برنس اورانج ان يوافي بلادهم ليملكوه عليهم فسافر بحراً من هولاندا بجيش تألف من خمسة عشر الف مقاتل ففتحت له ابواب البلاد بلا نزاع وركن جمس الى الفرار واحتمى بلويس الرابع عشر ملك فرنسا وبايع الاشراف والاعيان وليم وتوجوه وزوجته سنة ١٦٨٩ تحت لقب الملك « وليم الثالث » والملكة ماري .

ويعرف هذا التغيير في التاريخ الانكليزي بثورة سنة ١٦٨٨ المجيده فان وليم عضد الاصلاح وجدّد ما اندثر من قوانين البلاد واطلق الحرية التامة للديانات والمطبوعات وكان من جملة ما وضعه من القوانين التي لا تزال متبعة الى الآن أن لا يتولى ملك على انكلترا الا اذا كان بروتستانتي المذهب وفي مدته أمّ انكلترا خمسون الفاً من بروتستانت الفرنسيس هربوا من لويس الرابع عشر اذ حرمهم ما منحهم جده هنري الرابع من حرية الدين وكان

اكثرهم من ذوي المعارف وارباب الفنون والصنائع فنشروا بين الانكليز ما يعلمون ويعرفون فاتسع بهم نطاق الاعمال فخنق من ذلك لويس الرابع عشر واعترف بابن جمس الثاني ملكاً على انكلترا بعد وفاة ابيه فهاج وقتئذٍ الانكليز وتأهب وليم لمحاربته إلاّ ان المنون عاجلته فوقع عن جواده وهو في الصيد وتوفي سنة ١٧٠٢ فخلفته الملكة حنه وهي ثانية بنات جمس الثاني نشأت على مبادىء كنيسة انكلتره الاسقفية واقترنت سنة ١٦٨٣ بالبرنس جورج اخي كريستيان الخامس ملك الدانمرك ولدت منه سبعة عشر ولداً ماتوا كلهم اطفالاً واشتبكت في مدة حكمها انكلترا بالحروب المعروفة بحروب الوراثة الاسبانيولية انتصرت فيها مع مملكتي بروسيا وهولاندا للنمسا وكانت الدائرة فيها على فرنسا واسبانيا وقد اشتهر فيها ايضاً البطل العظيم الدوك ملبورولك من عائلة تشرشل بانتصاره على الفرنساويين في وقائع معدوة وقد اتحدت انكلترا واسكوتلاندا اتحاداً تاماً في سنة ١٧٠٧ ثم جددت المعاهدة الثلاثية مع هولاندا والمانيا واستولت على مضيق جبل طارق بعد وقائع مشهورة مع فرنسا واسبانيا .

ويطلق على حكم هذه الملكة البالغ قدره اثنتي عشرة سنه اسم « العصر الاوغسطي للاداب » فان الجرائد انتشرت في ايامها كثيراً وازهرت الآداب بما نبغ من مشاهير العلماء والفلاسفة والكتاب كنيوتون ولوك ودريدن وغيرهم من مشاهير كل فن ومطلب وتوفيت حنه فجأة سنة ١٧١٤ وبموتها انتقل الملك الى اسرة هانوفر .

٧

أسرة هانوفر

« The House of Hanover »

هي العائلة المالكة في انكلترا الآن اصلها من المانيا آل امر الملك اليها بعد نزاع قام بين الانكليز لتقرير وريث للملكة فقد رام بعضهم ان تكون صوفيا اكبر بنات جمس الاول وحاول غيرهم ان يكون ابن جمس الثاني واستمرت الآراء متفرقة حتى توفيت الملكة ولا وريث لها فاتألب عظاء المملكة واستدعوا اميراً المانياً من آل هانوفر (مملكة من المانيا) ليملكوه عليهم . فكان اول ملوك هذه الأسرة توِّج سنة ١٧١٤ بلقب جورج الاول إلاَّ ان اهالى سكوتلاندا وشمالي انكلترا عدوه غريباً عنهم لجهله لغتهم وعوائدهم وميله الى سكن هانوفر بلاده اكثر من ميله الى سكن بلادهم فنشأ عن ذلك النزاع وحصلت بعض المناوشات لاعادة الملك الى اسرة ستوارت إلاَّ انها لم تأتِ بطائل فقبض على العصاة ونالوا اشد عقاب .

وقد ناوأ الاسبانيول في عهد حكم هذا الملك مراكب الانكليز فى مستعمراتهم الاميركية وحاولوا اعادة جبل طارق لهم فحاربهم الانكليز مراراً وانتصروا عليهم . وتوفي جورج سنة ١٧٢٧ ولم يكن لحكمه شأن يذكر في التاريخ الانكليزي

وخلفه جورج الثاني فاستأنفت انكلترا في بدء حكمه محاربة اسبانيا ووقع لها مع فرنسا حروب كثيرة في اميركا نشأت عن الخصام المستمر الذي

كان بين مهاجري المملكتين على تلك الاصقاع السحيقة . وقد ظفرت انكلترا في اكثر هذه المواقع واستولت على مدينتي لويز بورك وكوبك وهما من امنع المستعمرات الفرنساوية سيما كوبك فانها كانت مفتاح ولاية كنادا . وكان يقود الجنود الانكليزية الجنرال وُلف وهو من نوابغ عصره في الشجاعة والاقدام .

وتوفي جورج الثاني فجأةً فخلفه ابنه «جورج الثالث سنة ١٧٦٠ وهو في الثالثة والعشرين من سنيّ الحياة فاقترن بشارلوت صوفيا شقيقة الدوك مكلنبرج فولدت منه خمسة عشر ولداً مات منهم اثنان وشاركته في الملك سبعاً وخمسين سنة حدث خلالها في المملكة الانكليزية اهم الحوادث الخطيرة فقد عقدت مع فرنسا معاهدة الصلح سنة ١٧٦٣ وبمقتضاها تنازلت لها هذه المملكة عن ولايات كنادا وعن جميع املاكها الشمالية فاضافتها الى مالها من المستعمرات الكثيرة المتشتتة في تلك الاقطار .

وبدأت منذ سنة ١٧٧٤ الى سنة ١٧٨٣ بالحرب مع الولايات المتحدة ولا يخفى ان سكان هذه الولايات تكوّن معظمهم من الانكليز الذين نزحوا من انكلترا افواجاً افواجاً خصوصاً في القرن السابع عشر هرباً من اضطهاد عائلة استوارت الكاثوليكية . وقد مدّت انكلترا سلطانها عليهم ووزعت الحكام على كل الولايات فاساءوا الى الاهلين حتى اضطروهم الى التظلم والشكوى فلم ترَ انكلترا بدّاً من تلبية طلبهم واستبدال الحكام بمن يقع عليهم انتخاب الاهلين بحيث يكون المرجع اليها في كل الاحوال .

ولما رأت خيرات البلاد ضربت الاموال على الاهلين وقررت الضرائب

وقضت بوجوب استعمال ورق التمغه في صكوك المبايعات والمعاهدات وامتلاك الاراضي فعقد الاميركان الاجتماعات الكبيرة في نيويورك وقرروا رفض ما فرضته ثم قررت دفع الجمرك على الشاي الوارد لبلادهم فأبوا ايضا الاذعان لهذا القرار فتبين لها من ذلك أنها لم تعد قادرة على بسط نفوذها على تلك البلاد . وكانت بعض الدول من المعاديات لها كفرنسا واسبانيا وهولاندا تحرك الاميركان على العصيان وتعدهم بالمساعدة عند الحاجة . فاثارت ايضاً هذه الاسباب شرر الحرب بين الطرفين وجرى بينهم مواقع كثيرة يطول شرحها كان النصر والفوز في اكثرها للانكليز ماعدا واقعتين عظيمتين احداهما في ساراتوكا سنة ١٧٧٧ فازفيها الاميركان فوزاً عظيماً والثانية في مدينة يورك التابعة ولاية ڤيرجينيا وقد نال في هذه الواقعة الجنرال واشنتون قائد الجيوش الاميركانيــة الامداد من العمارة الفرنساوية التي امسكت على العمارة الانكليزية فم نهر يورك لتحول دون المساعدة التي كانت تنتظرها وقد بذل اللورد كورنواليس قائد العمارة الانكليزية جهده في المدافعة والمصادمة الا انه اضطرّ الى التسليم

وبعد هذه الوقائع العظيمة رأت انكلترا ان مثابرتها على الحرب تضطرها الى تحويل قواها عن مقـاومة بعض الممالك الاروبية كفرنسا وهولاندا واسبانيا التي اتحدت ضدها فكفت عن الحرب واخلت الولايات المتحدة من جنودها في سنة ١٧٨٣ واقرت في باريس باستقلالها استقلالاً تامـاً ثم عقدت معها المعاهدات التجارية وجميع الشروط التي تبطل الخصام والنزاع

وكانت اسبانيا تحاول في اثناء تلك الحرب اعادة جبل طارق اليها فلم

تجدها تلك المحاولة نفعاً كذلك ايرلاندا فانها بعد ان حصلت في سنة ١٧٨٢ على برلمان مستقل اغرتها فرنسا وحملتها على العصيان في ١٧٩٨ الا انها لم تحصل على مساعدة فعالة من الجمهورية بل خابت وتيسر لانكلترا قمع الثورة حالاً ومعاقبة الثائرين ثم قرر البرلمان الانكليزي في سنة ١٨٠٠ انضمام المملكتين نهائياً والغاء نظام البرلمان الارلندي ومنح الارلنديين حق ارسال النواب عنهم الى البرلمان الانكليزي

وفي حكم جورج الثالث اشتهر نوابغ من رجال السياسة كفوكس وشريدان وبورك وغيرهم الا ان اعظمهم كان وليم بيت الشهير تولى رئاسة الوزارة الانكليزية من سنة ١٧٨٤ الى سنة ١٨٠١ اي مدة سبعة عشرة سنة تهالك فيها على خدمة وطنه بهمة واخلاص حتى خيل للعالم انه ما خلق الا ليكون دعامة تقدم الامة الانكليزية وركن سعادتها . وقد كان شديد الوطاءة على فرانسا فناوأها مناوأة عظيمه وحمل اولاً انكلترا على اتحادها مع بروسيا ومساعدتها في الحروب التي كانت وقتئذ بينها وبين اوستريا بسبب بولونيا وبعض املاك جرمانيا ولما كانت فرنسا من المتحالفين على بروسيا اضطرت عند ما رأت عداوة انكلترا لها ان توجه جهدها وتحصر قوتها في اوروبا لمقاومة خصومها فنجم عن ذلك ضعفها في الخارج وبذا اغتنم الانكليز سنوح تلك الفرصة فامتلكوا بعض مستعمراتها واستعمروا غيرها

وفي حكم جورج الثالث ظهرت الثورة الفرنساوية فلما ثمات الحكومة الجمهورية الجديدة بالفوز الذي نالته سعت في اثارة روح الثورة في العالم اجمع ونشرت تعرض مساعدتها لكل امة ترغب في ان تنتهج خطتها لتنال حريتها

وكاد روح هـذه المبادئ يعم بين عامة الشعب في انكلترا فحذر بيت من غوائلها وسعت الحكومة على منعها واستئصالها ثم حولت قواها الى محاربة فرنسا .

وكانت حكومة الديركتوار قد جهّزت لنابليون بونابرت اربعة وثلاثين الف جندي مع السفن الحربية والبحرية ووجّهته لفتح الديار المصرية فاستولى على الاسكندرية والاساكل البحرية وتقدّم بجنودهِ الي داخل البلاد فخافت انكلترا على مستعمراتها في الهند وغيرها وارسلت الاميرال نيلسون بعمارة بحرية عظيمة حطّم بها العمارة الفرنسوية في ابي قير وذلك في سنة ١٧٩٨

وفي سنة ١٨٠١ اشارت فرنسا وروسيا على مملكتي الدانمرك واسوج ونروج بمحاربة انكلترا فاشتبك القتال بحراً في كوبنهاجن وكان السير هيد باركر رئيس العمارة الانكليزية فولج بها الاميرال نيلسون الذي شرع فرتبها على نظام عجيب ثم هجم بها على الاعداء فحطّم بوارجهم وضعضع احوالهم وعقد في النهاية الصلح على شروط كثيرة .

وعادت بعد ذلك انكلترا تناوئ نابوليون باغراء بيت رئيس وزارتها فانه كان يهتف دائماً بين قومه في البرلمان بان نابوليون لا يروق في عينيه الا سفك الدماء انهاراً في اواسط اوروبا وان الطمع هو المحرّك الاول لكل اعماله وان انكترا تربح بمحاربته حتى النهاية اكثر مما تخسر . فلما توّج امبراطوراً على فرنسا وملكاً على ايطاليا ودان له السعد وصار في يده عنان اعظم الممالك الاوروبية يديرها كيف يشاء اعترف له الكل بالسيادة ما عدا انكلترا فانها أبت ان تعترف له بشيء من ذلك ورفضت مخابرته بشأن الصلح فحوّل

نابوليون بعد هذه الاهانة جهده للانتقام واخذ يهيأ الجيوش ويعد المعدات لقطع بحر المانش وغزو الجزائر البريطانية . اما انكلترا فانها هيجت عليه دولتي النمسا والروسيا إلا انه انتصر عليهما ودخل فينا عاصمة النمسا

ثم اتحد مع اسبانيا على محاربتها وكانت عمارتهما تبلغ الاربعين بارجة فالتقاها الاميرال نيلسون بسبع وعشرين بارجة حربية واشتبك القتال بين الفريقين في طرافلغار (او طرف الاغر) وبعد موقعة عظيمة أسر اميرال الفرنسيس وتُلِفَ من بوارج الانكليز ١٩ بارجة وفي هذه الحرب أُصيب الاميرال نيلسون برصاصة اصابت ظهره وكسرت العظم فاسلم الروح وهو مسرور بذلك النصر الذي امتلكت انكلترا على إثره ناصية البحر حتى لم تعد تنازعها في سيادتها مملكة من الممالك ومن ثمَّ تلاشت قوة نابوليون البحرية ولم يعد لها قائمة

ولما كانت انكلترا تكتسب هذا الفوز العظيم آصيب ملكها جورج الثالث بضرب من الجنون فاقيم بالنيابة عنه ولي عهده وفي زمن نيابته استأنفت انكلترا مناوأة نابوليون وسعت مع الدول المتحدة وهي الروسيا والنمسا وبروسيا واكثر ولايات الالمان على محاربته وابادة ما بقي من سطوته وقد وصلت الى غايتها في واقعة واطرللو .

وواطرللو هذه بلد في بلجيكا حصلت الواقعة في سهل فيها يبلغ طوله نحو الميلين فاقبل ولنتون قائد الجيوش الانكليزية بجيش عدده ٧٢ الف مقاتل مختلط من انكليز وبلجيكيين والمان ومعهم ١٨٠ مدفعا بينما كان نابوليون يقود جيشاً من الفرنساويين عدته ٨٠ الفاً ومعهم ٢٥٠ مدفعاً وكانت هذه

الواقعة من اشهر الوقائع وتلك الحرب من اغرب الحروب لانها كانت بقيادة بطلين عظيمين كان النصر يسير بركاب كل واحدٍ منهما اينما سار فألقا من جيوشهما خطوطاً وصفوفاً في ذلك السهل وكان نابوليون وقتئذٍ فرحاً مسروراً من ترتيب عسكره حتى قال لمن حوله من القواد ان النصر سيكون له . وما جاءت الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم حتى اطلقت الجيوش الفرنساوية مدفعاً من وسطها ثم اعقبته باطلاق البنادق وهجمت على ميمنة الجيوش الانكليزية فقاومتها ما امكن واشتبك القتال بين الفريقين فملأ الجو من رعود المدافع ودوي البنادق . وكان كل من نابوليون وولنتون يديران رحى الحرب بملء الشجاعة والاقدام ويشددان عزائم جيوشهما ويحضانهما وهي تطلق الموت الاحمر وقد تفننت الجيوش ذلك اليوم في ضروب القتال فكانت تنساب تارة على الجبال والآكام كالثعابين وطوراً تنطرح على الارض اتقاء النار وبعد قتال ثماني ساعات قسم نابوليون الحرس الملوكي الذي كان يعتمد عليه في كل مواقعه الى فرقتين وامرهما بالهجوم من جهتين متضادتين فهجمت الفرقة الاولى هجمة الاسود الكواسر فالتقتها المدافع الانكليزية بمقذوفاتها الجهنمية فارتدَّت مذعورةً ثمَّ هجمت الفرقة الثانية فأمر نابوليون جيوشه ان تنطرح على الارض حتى يصير اعداءهم بالقرب منهم فصبروا عليهم حتى قربوا منهم فهبوا كالنسيم واطلقوا عليهم من البنادق ناراً دونها نار جهنم ردوهم بها على الاعقاب مخذولين . وهكذا لحق الفشل بالجنود الفرنساوية فاخذت تنثني وتهرب باضطراب وخوف حاملة اخبار الانكسار وكانت الجنود البروسيانيه قد وصلت وقتئذٍ فخففت عن

الجنود الانكليزية وهي على آخر رمق من التعب والكلال تمب مطاردة الجنود الفرنساوية ولمَّا رأى نابوليون هذا الانكسار الذي لحق به امتقع لونه ووجم فوأده وادار العنان لجواده يغالب اليأس بالجلد ولا يلوى على أحد وقد بلغت خسائر الانكليز ١٠٦٨٦ رجلاً منهم ٢٠٤٨ قتيلا والباقون بين جرحى واسرى اما الفرنساوين فقفدوا نيفاً واربعين الف رجل ٠

وعاد نابوليون بعد هذا الواقعة لباريس وتنازل عن الملك لابنه نابوليون الثاني غير ان الدول المتحدة لم تقبل ان يتبوأ تخت فرنسا احد من سلالته فمضى الى رشفورت ورغب الى الانكليز ان يحل بلادهم فلبوه حتى وصلت به الباخرة الى بليموث حيث حُظر عليه النزول الى البحر وابلغته الحكومة أنه اسير حرب ثم شيِّع اخيراً الى جزيرة القديسه هيلانه حيث عاش كظيماً الى ان حانت منيته ودفن في الانفاليد ٠

وكان في واقعة واطرللو فصل الخطاب في كل المسائل التي ظل الحكم يتنازع في امرها مدة عشرين عاما ٠ وعلى إثرها خرجت انكلترا ظافرةً منتصرةً فصار لها الصول والطول على سياسة الاقطار والسيادة على البحار فوسعت نطاق مستعمراتها الامريكية واحتلت النقط المهمة من غرب افريقيا وجنوبها وعمَّرت في الهند مملكة واسعة الاطراف شاسعة الارجاء وامتلكت اوستراليا ومدّت سلطانها على جزر الاقيانوسية السحيقة التي اكتشفها كوك وغيره من السياح ٠ إلا انها كادت تنوء تحت اثقال الديون الباهظة لان تلك الحروب الطويلة كلفتها الاموال الجسيمة فلما عقد الصلح اخذت في اصلاح شؤونها فانبثت في البلاد روح التقدم والارتقاء وانشأت الترع

الحديدة لسهوله المواصلات وعمت اطراف المملكة الصنائع والسكك الحديدية وصارت اسبق الدول في مضمار التجارة

وفي سنة ١٨٢٠ توّج ابن جورج الثالث ملكاً بلقب جورج الرابع واشتهر حكمه باخضاع المراثيين ومملكة بورما في الهند وفتح طريق المتجر في الصين ووضع قانون يضمن حرية الديانات وثورة اليونان وطلبهم الاستقلال ثم تداخل انكلترا وفرنسا والروسيا بشأن الصلح وتوفي سنة ١٨٣٠ فخلفه اخوه دوك كلارنس الملقب بوليم الرابع وكانت مدة حكمه قصيرة الا انها كانت عظيمة مجيدة فادخل فيها الاصلاح على البرلمان سنة ١٨٣٤ وأبطلت العبودية في الهند العربي وعوض على ملاك العبيد بمكافئة عشرين مليون جنيه وانشئت السكه الحديد بين ليفربول ومنشستر واستطردت المملكة سيرها في التقدم والنجاح حتى توفي هذا الملك سنة ١٨٣٧ وخلفته الملكة فيكتوريا

(الباب الرابع)

المستعمرات الانكليزية

CHAPTER IV.

« British Colonies »

يعني علماء الجغرافيه بالمستعمرات البلاد التي تمتلكها دولة مستقلة اما عنوة بالحرب • واما برضاء حاكمها شراءً اوهبة • وإمّا بوضع اليد عليها بان لم يكن لها مالك من قبل • فعنوةً بالحرب كبلاد الجزائر مثلاً فانها من مستعمرات فرنسا قد امتلكتها اثر حرب شبت بينها وبين الامير السيد عبد القادر الحسيني الجزائرلي حاكم تلك الديار اذ ذاك او شراء كجزيرة سنجابور التي اشتراها الانكليز من امير جاهور بستمائة الف فرنك وكالبلاد الافريقية التي اشتراها الفرنساوي برازا لحكومته • اوهبة كجزيرة بمباى التي وهبها امير دلهى الى الحكومة الانجليزية •

ولا يخفى على القارىء ان المستعمرات انما هي اكبر الاسواق التي تتجر فيها الدولة الفاتحة او المالكة فيها تبيع تجار تلك الدولة مصنوعاتهم على اختلاف اجناسها من انسجة وحرائر واقطان واوراق ومؤلفات واوان خزفية وفخارية ونحاسية وحديدية وآلات معدنية ورصاصية ومصنوعات من ذهب وفضة وماس وغير ذلك وبالعكس فكثيرا ما تستمد الدولة المالكة من مستعمراتها محصولاتها وحيواناتها فمثلا تستمد انكلترا كثيراً من التيران والنعاج والصوف من استراليا وزيلانده وكذا تستمد من بلاد الهندستان كثيرا من غلالها

واقطانها وشابها واملاحها وماسها ومصنوعاتها كالكشمير وتستمد مقداراً عظيماً من الاخشاب من بلاد كندا واسقوسيا الجديدة وغير ذلك مما يطول شرحه وكفى شاهدا على ذلك ما ثبته احصائية سنة ٩٢ فقد دل ان تجارة انكلترا مع املاكها وصلت ٤٤٧٥ مليوناً من الفرنكات . وكلما كثرت مستعمرات اية دولة عظمت قوتها البحرية لان فتح تلك البلاد يستلزم شدة العناية بحفظها ولا يتيسر ذلك الا اذا كانت بينها وبين مستعمراتها علاقات متواصلة دائما حتى لا يعتورها فتور يعقبه انصرام كل ذلك انما يستدعي وفرة في عداد سفنها وبوارجها التجارية والحربيه وقد شمرت انجلترا بهذه الحاجة فعززت اساطيلها حتى ملكت ناصية البحر هذا ولا يخفى ان المستعمرات ضرورية ايضاً لمد تلك السفن والبوارج بالمؤن اللازمة لها من فحم وماء وذخائر لانه ان اضطرت تلك السفن والبوارج الى الذهاب الى وطنها للبحث عنها لربما نفذت مؤنتها قبل ان تصل لا سيما وقت انتشاب الحروب البحرية بين الدول عند ما تكون السفن مفتقرة الى ميناء تخفرها لتامن مفاجأة العدو ولذلك ترى ان الدول في اغلب مستعمراتها تخصص بعض جهات منها لمصالح قوتها البحرية فتجعلها كمحاط لها وملجأ تاوى اليها عند مسيس الحاجة .

(قال احد علماء الفرنسيس ما معناه) « ان اول الشعوب رتبة اكثرهم استعمارا في الحال والاستقبال »

وليس يخاف على احد ان انكلترا هي اكثر الدول مستعمرات لان لها قسما يوازي مستعمرات العالم باسره ومجموع مساحات مستعمراتها تزيد بستين

مرة عن مساحة انكلترا وحدها والشمس لا تغيب عنها وقد دل الاحصاء انها تزيد عن خمس اقطار المسكونه وهي اكبر من قارة اوروبا ثلاث مرات وتكاد توازي مساحة افريقيا وهاك جدا ولا صغيرا بمساحات وعدد سكان مستعمرات الدول الاورويه العظيمة

اسماء	المساحه بالكيلو متر المربع	عدد السكان
انكلترا	٢٣و٩٣٦ر٠٠٠	٣٧٠ مليون
فرنسا	٣ر١٠٠ر٠٠٠	٤٥ مليون
هولانده	١ر٢٦٠ر٠٠٠	٣٠ مليون
بورتغال	١ر٨٧٠ر٠٠٠	٦ مليون
اسبانيا	٥٠٠ر٠٠٠	١٠ مليون
المانيا	١ر٥٠٠ر٠٠٠	٨ مليون

هذا وان الامة الانكليزية لم تكتسب هذه السيطرة البحرية الا منذ عهد قريب لان سفنها في القرن السادس عشر كانت لا تتجاوز في الابحار فرضة بايون وقلما كان بعضها يصل الى لزبون عاصمة البرتغال وفي عهد هنري الثامن دفعت جراءة اقتحام الاهوال البحرية ربانا انكليزيا فابحر باسطوله الى مصب نهر الوادي الكبير ولكن لم يستطع ان يتوغل في بحر الروم كملاحي باقي الامم .

وكان البرتغاليون في ذلك العهد عهد قصور الامة الانجليزية قد فتحوا جزائر كناريا وجزائر الرأس الاخضر وطافوا حول رأس الرجاء الصالح واسسوا نزلا عديدة في بحر الهند وكذلك كان الاسبانيول اكتشفوا العالم الجديد او قارة امريكا واستولوا على الاقاليم الوسطى منها وعلى شواطئ المحيط الهادي

وقد قال احد فلاسفة العصر ان انكلترا لم تحز الدرجة الاولى في الاستعمار لكونها سبقت الدول الاخرى في استكشاف البلاد وفتحها بل لعدم تداخلها في الارتباكات الاوروبية والحروب الدولية فلم يكن لها شوكة تؤيدها مثل شوكة فرنسا وسيطرة اسبانيا في عهد لويس الرابع عشر وعن شارلكان او املاك تدافع عنها كما كان لهولاندة والبرتغال في سالف الازمان فبينما كانت الحرب مستعرة تارة بين فرنسا واسبانيا وطوراً بين فرنسا والنمسا وآونة بين النمسا وتركيا واخرى بين فرنسا وجرمانيا او الروسيا كانت انجلترا تنتهز فرصة شبوب هذه الحروب بين الدول بعضها مع بعض لتمتلك هي بلدا او تحتل جزيرة وتعقد معها المعاهدات التجارية وتنشأ فيها المراكز الحربية فتشيد فيها القلاع والحصون وتعمرها وتبنيها على اساس متين فلا تزعزعها اهوال الزمان وانقلاب الاحوال .

وما تكاد انجلترا تفتح بلدا او تستولى على ارض حتى يهرع اليها الانكليز للاستئثار بتجارتها وصناعتها فيجمعون بعد قليل من الزمن الاموال الطائلة فمنهم من يؤب الى بلاده قانعا بما ناله منها ومنهم من يطيب له المقام فيستوطن بها وقد دل الاحصاء ان مقدار من هاجر من سنة ١٨٥٣ الى سنة ١٨٩٣ من انكلترا وصل الى سبعة ملايين نفس وذلك بقصد الاستيطان في الاملاك الانكليزية وغيرها ولا يخفى ان اهم الاسباب الداعية للشعب الانكليزي على الاستعمار انما هو نموهم وتكاثر عددهم وضعف الثروة على هذه النسبة بازدياد السكان يوما فيوما وفي المستعمرات الانجليزية من الانكليز نحو الاربعة عشر مليونا عدا الذين في الهند ولهم ثروة كبرى .

وتنقسم المستعمرات الانكليزية قضائيا الى قسمين اولهما ما امتلكته انجلترا بمجرد وضع اليد عليه وثانيهما ما امتلكته بحرب او شراء او هبة ففي القسم الاول ادخلت انكلترا قوانينها وهيئة الحكومة التي قررها برلمان لوندره لان عدم وجود قوانين هنالك يوجب تطبيق القوانين الانكليزية بمجرد مجيء اي فرد من افراد الامة البريطانية الى تلك البلاد . قال بلاكستون احد مشاهير متشرعي الانكليز :

« القانون الانكليزي مال يتأثله كل انكليزي لمجرد ولادته ويتبعه اينما حل وذهب فاذا اتى ارضا خالية من السكان اصبحت تلك الارض خاضعة للقوانين الانكليزية »

ولكن انكلترا حافظت في المستعمرات التي من القبيل الثاني على القوانين التي كانت متبعة بها من قبل وجوزت للحاكم ان يشكل حكومته كيف شاء مثال ذلك جزيرة سانت لوسى التي استولت عليها بعد ان طردت الفرنسيس منها بقي القانون الفرنساوي مرعيا بها حتى الآن وكذلك مازال القانون الاسبانيولي مرعيا للآن بجزيرة التثليث (ترينتي) التي استولى عليها الانجليز بعد طرد الاسبانيين منها .

ثم ان حكام المستعمرات الانكليزية ليس لهم حق في رئاسة الجنود التي بها فلا يستطيعون تحريكها او قيادتها بعمل من الاعمال الحربية لان تلك القوة الحربية يرأسها ضابط عظيم يعينه المجلس العالي بانكلترا مباشرة لهذه الوظيفة خاصة وهو المكلف باحاطة دولته علما بحالة الجنود والذخائر والحصون والقلاع التي يقيمها كي تكون على معرفة تامة بما يعمله

اما سلطة الحاكم فتنحصر في حل المجالس الاهلية وملاحظة الانتخابات وله وحده دون غيره الاذن بصرف المصاريف اللازمة من مالية المستعمرة وله ايضا حق العفو عن الجناة وحقوق اخرى لا فائدة في ذكرها هنا اما اعضاء المجالس الشورية الخاصة بالمستعمرات فيكون تعيينهم بمعرفة الحكومة الانكليزية ايضا وينتخبون من اعيان ووجوه سكان المستعمرات واما المستعمرات التي ليس بها مجلس انتخابات فالحاكم نفسه هو الذي يسن القوانين واللوائح الواجب اتباعها لانه هو المسؤول امام البرلمان الانكليزي .

ومما هو جدير بالذكر ان انكلترا لا تأخذ مالا من املاكها الواسعة ولا تضرب عليها الجزية وكل ما تجمعه في كل بلد تنفقه على حكومتها وكذلك لا تحدث ادنى تغيير في عوائد اهل البلاد التي تحتلها وتبيح لهم اديانهم بلا معارضة ولا نزاع ولا تتصدى لشيء منها مباشرة مالم يكن هنالك داع يوجب اختلال النظام بل وتساعدهم على ادائها فتصرف المرتبات الباهظة لاصنام الهند وفي مواسمهم واعيادهم تحتفل معهم كما لو كان العيد عيدها وتعزف الموسيقي امام الاصنام اكراما للاهلين واحتراماً لعوائدهم

ومما هو حرى بالذكر ايضا ان كل من يدخل ارضا تحت حماية الانكليز يصير حرا وتجري عليه احكامهم واعظم شاهد على ذلك وفود كثيرين من سكان البلاد الاجنبية على المستعمرات الانكليزية للاستظلال بحمايتها والتمتع من خيرات ارضها لثقتهم بعدالة مالكيها

« ولنشرع الآن بذكر المستعمرات الانكليزية مبتدئين بما يوجد منها باوروبا ثم باسيا وامريكا فالاقيانوسيه فافريقيا »

« مستعمرات انكلترا باوروبا »

British Colonies in Europe

لانكلترا باوروبا مستعمرتان جبل طارق وجزيرة مالطة وكان لها مستعمرة ثالثة في شمال المانيا تسمى بجزيرة هيلجولاند فاعطتها لالمانيا واخذت بدلا عنها مقايضة جزيرة زنجبار وذلك من عهد غير بعيد

« جبل طارق »

Gibraltar

فجبل طارق مدينة حصينة كائنة على لسان داخل في البحر وواقعة على البوغاز الذي يسمى باسمها نسبة لطارق بن زياد العربي الذي اجتاز هذا البوغاز عند ماعبر الى اسبانيا عند احتلال العرب لها في خلافة الوليد بن عبد الملك الاموي وهذا البوغاز يفصل اوروبا عن افريقيا وبعبارة اخرى يفصل اسبانيا عن مراكش وهي مفتاح البحر الابيض المتوسط . استولت الانكليز عليها سنة ١٧٠٤ وهي الى الآن ملكا لهم

ولهذه المدينة اهمية كبرى لانها على طريق الهند ولان بوغاز جبل طارق هو الباب الوحيد الموصل بين المحيط الاطلانطيقي والبحر الابيض المتوسط لجميع الممالك التي ليس لها ساحل على ذلك البحر لا يتسنى لسفنها ان تأتيه الا بمرورها من ذلك البوغاز ويبلغ عدد سكان المدينة نحو ٢٠ الف نفس وهي واقعة على صخرة عظيمة قد اقام الانكليز عليها القلاع وحصنوها

حتى صارت منيعة جداً .

مالطة Malte

اما مالطة فهي كلمة تطلق على احدى الثلاث جزر المكونه لهذا الارخبيل الصغير الكائن في البحر الابيض المتوسط بين جزيرة صقليه وسواحل طرابلس ويبلغ عدد سكانها ١٦٥ الف نسمة وعاصمتها فاليته وقد كانت هذه الجزيرة ملكا لشارلكان الامبراطور المشهور ثم تنازل عنها في سنة ١٥٠٣ لاشراف جزيرة رودس الذين اشتهروا في قتالهم مع الترك سلاطين البحر اذ ذاك وبقيت لهم حتى اخذها بونابارت القائد الفرنساوي الشهير حين جاء لفتح الديار المصريه سنة ١٧٩٨ ولكنها لم تلبث في قبضة الفرنساويين طويلا لانهم هتكوا بعض السنن القديمة وانتهكوا حرمة الكنائس فأثار ذلك سخط السكان عليهم فاخذها منهم الانكليز عنوة باتحادهم مع الاهالين بعد استيلاء بونابارت عليها بسنة واحدة وايدوا ملكهم بها فى معاهدة باريس التي عقدت بين الدول المتحالفه ضد فرنسا اذ ذاك بعد واقعة واترلو التي انهزم فيها الامبراطور نابوليون سنة ١٨١٥ وقد حصن الانجليز تلك الجزيرة وبنوا بها القلاع لوقوعها على طريق الهند واتوا باعمال عظيمة من يوم دخولهم فيها عادت على مالطة بالنفع العميم وجميع موظفي الحكومة من المالطيين وهم لا يمسون شيئاً من دخل الجزيرة ولا يضربون على الاهلين ادنى ضريبة الاما كان على المسكرات ومصاريف العسكر تؤخذ من خزينة الحكومة لا منها ومرتب العسكري فيها شلين يومياً ولهم فيها عدة سفن حربيه اقل سفينة منها تصرف اكثر مما يصرفه الاهلون عموما

واول من استوطن هذه الجزيرة هم الفنيقيون سكان صور وصيدا ثم تداولتها ايدي الرومان فالعرب حتى اختلطت لغة البلاد بلغتهم واصبحت موءلفة من العربيه والفنيقيه ولذا تراهم يتكلمون الآن بالعربيه الفاسده ومما يستحق الذكر هنا ان في مالطة كنائس كثيرة حسنة الاتقان والزخرفة والتماثيل يتباهى بها الاهلون لتحمسهم الشديد في الدين الكاثوليكي ولكل قديس عندهم عيد مخصوص في مكان مخصوص وقد تمازج المالطيون بالانكليز وهم مع ذلك لا يبلغون في الآداب شأوهم.

مستعمرات أنكلترا باسيا »

الهندستان »

« British Colonies in Asia »

HINDOUSTAN

يطلق اسم الهندستان على مجموع البلاد الواقعه بين جبال هماليا ونهر الاندوس وبين المحيط الهندي وخليج بنغال وبلاد الافغانستان ويسكنها زهاء ٢٨٠ مليوناً من النفوس وهي اعظم دول الارض في عدد السكان بعد بلاد الصين البالغ مجموع سكانها نيف و٣٥٠ مليوناً من النفوس.

والهند بلاد ذات ثروة عظيمة شديدة الحرارة غزيرة الامطار تستمد تربتها خصوبة عجيبة من طمي انهارها وطقسها يختلف باختلاف اصقاعها واشهر جبالها جبال همالايا ومعناها باللغة الهندية محل الثلوج هيما ثلج.

ولا يا محل . وبها قمم كثيرة يزيد ارتفاع ثلاثة منها عن ثمانية آلاف متر وهي اعلى نقط الارض عن مياه البحر وقد توصل احد رجال الانكليز الى الصعود عليها فسميت القمة العليا فيها باسمه وهي قمة افرست

وتنقسم السنة في بلاد الهند الى ثلاثه فصول فصل البرد والجفاف من شهر نوفمبر الى شهر فبراير وفيه يكون الهواء جافاً فتخلع الجنان بردة نضارتها وازدهائها وتكتسى بثياب عاطل لا تحلو رؤيتها للناظرين ويليه فصل الامطار من شهر يونيه الى شهر سبتمبر وفيه تسقط الامطاركالسيول الجوارف تغشى الحقول والمراعي فتكتسي حلة تسر كل راء وناظر ثم فصل الحر ويتقدمه حين من الدهر كثير العواصف والزعازع اذا هبت القت الرعب في القلوب وهشمت الصخر الجلمود .

ويخرج من بعض جهات الهند امراض وبائية كالكوليرا والطاعون وقانا الله شرهما . وفي فصل البرد قد ينخفض الترمومتر احياناً الى درجة الصفر ولو ان معدل الحرارة في يناير ١٥ ومعدلها في فصل الحر يبلغ ٣٣ وقد تصل في بعض الايام الى ٤٥ تحت ظلال الاشجار وتتخلل سلاسل جبال هيماليا اجمات واسعة كثيفة تستمد منها الهنود خشباً كثيراً نخص بالذكر منها الابنوس وتربتها خصبة جداً تنبت فيها بعض النباتات الاوروبيه كالفريز والكريز وبها كثير من الغاب الجيد المعروف بالغاب الهندي ومن محصولاتها الوافرة الارز والقمح وابو النوم والافيون والقطن والجوز المعروف بالجوز الهندي والفيلة وكثير من الفواكه اللذيذة وينبت على الجبال الشاهقة هنالك كثير من شجر التين والشاى .

معادنها — ومن المعادن الكثيرة الوجود ببلاد الهند الحديد والفحم الحجري وببلاد البندجات كثير من مناجم ملح الطعام وبوادي نهر الكنج ودلتا نهر الاندوس كثير من ملح البارود ولا يوجد في العالم كله اقليم يستخرج منه ملح البارود اكثر مما يستخرج منها وبها ايضاً مناجم من النحاس والعقيق .

تجارتها وصناعتها — ولو ان بالهند كثير من المعامل تصنع الاقمشة القطنيه والحريريه والاواني النحاسيه الا ان الاهلين يعتنون بالفلاحة اكثر من اعتنائهم بغيرها . وتجلب الهند من البلاد الاوروبية مقداراً عظيماً من المعادن والاقمشة والمنسوجات المتنوعة وتصدر اليها كثيرا من ارزها وقمحها وافيونها واقطانها وحريرها وبنها وشايها ونيلتها وقد بلغ ثمن ما تصدره الى اوروبا سنوياً مليارين من الفرنكات (اي الفي الف الف فرنك)

وتجارة بلاد الهند محصورة بين ايدي تجار الانكليز وقد سهلوا تجارتهم فيها بانشاء سكك حديديه عديدة في جميع انحائها فاخذت تجارتها في التقدم يوماً فيوماً ثم انشأوا بها ايضاً مصانع ومعامل عدة حتى اصبحت صناعتها تقرب من صناعة البلاد الاورو بيه الشهيرة واول مصنع للاقطان والانسجة انشأ بها في سنة ١٨٥٤ ثم ازداد عدد هذه المصانع الى ان صار اليوم عديدا وقد بلغ عدد العملة الذين يستخدمون فيها مائة وعشرين الفاً

دياناتها — الديانة ليست واحدة في بلاد الهند نخمس اهلها مسلمون ويقطنون في الشمال الغربي من بحيثجزيرة الهندستان وجل الهنود من البراهمة الذين يعتقدون ان برهمة خلق الكون وان له اخاً يدعى ڤيتشو يسعى بحفظه واخر يسمونه سيوا يسعى بخرابه وفي بلاد الهندستان ما ينوف عن

المليونين من النصارى اغلبهم انكليز . وبعضهم يعتقد بتناسخ الارواح اي انتقالها بعد الوفاة الى جسم حيوان اخر والحلول فيه ولذا يحرمون اكل اللحوم . وللبقر والافاعي عند بعض الهنود مقام مقدس

حيواناتها — من حيواناتها الضارية النمر والفيل فنمر بلاد الهند يماثل الاسد قداً طولاً وعرضاً وهيئة الا انه اشد بأساً واعظم قوة واكثر توحشاً فحيثما وجد استولى الرعب والجزع على الاهلين لانه قتّال للحيوانات الاهلية دمّار للقرى التي يحل فيها يختطف الخيل والبغال كانها نعاج فيقطع الانهر العظيمة المتلاطمة الامواج وهي في فيه لا تستطيع ان تبدي حراكاً حتى يلتهمها التهاماً ولا يقصر اعتداؤه على الحيوانات الصامتة فقط بل كثيراً ما يعتدي على الانسان نفسه فيصول عليه كالبرق الخاطف لا ترهبه العيارات النارية ولا البيض الصفاح اما الفيل فطبعه الهدء يميل الى السكون والدعة والبعد عن الاذى وله قوة غريبة تجعله قادراً على ان يقطع ٨٠ كيلو متراً في اليوم الواحد حالة كونه محملاً باثقال وزنها ١٠٠٠ كيلو جرام وجلده سميك جداً يبيض بتمادي الايام وله خرطوم يساعده على تناول الاشياء وسن غليظ لصد هجمات اعدائه ويقتات من الجذور والحشايش والاوراق ويسكن غالباً الاجمات والمواقع الحارة وكثيراً ما يستعمل الهنود الفيلة في الحروب فقد دلنا التاريخ ان الملك پوروس حارب الاسكندر وهو ممتط صهوة فيله ومن الغريب انه بينما كانت تلك الحرب مستعرة بين الطرفين كان فيل الملك پوروس يدافع عنه بكل حمية وجراءة حينما كان سليما ولما اصيب بالحراب ولم يستطع مداومة القتال ركع الفيل على ركبتيه بكل هدء وشرع يخرج الحراب

بخرطومه من جسم سيده بكل تأنٍ حتى لا يؤلمه

وللملوك سيام احترام زائد للفيلة البيض ولذا لا يسكنوها الا في سراي غاية في الابهة آية في الزخرف ولا يقدمون لها الطعام الا في اوان من الذهب ولا ينزهونها الا اذا كان فوقها مظلة فاخرة مزركشة وسبب ذلك انهم يعتقدون ان روح الفيلسوف كيكيا حلّت في فيل ابيض

الدور ببلاد الهند — دورها متخذة من الاخشاب مبنية على أسس متينة مكونة عادة من طابق واحد واحياناً من طابقين او ثلاثة ولا تخلو دور الاغنياء منهم من الجنان الواسعة ذات الاشجار الفناء والرياض الغناء والزهور ذات الاريج العاطر واللون الزاهي الزاهر ومنهم من يبني داخل بساتينه اضرحة ومبان للعبادة على شكل الاهرام غالباً ويغشون الدور بالطين احياناً فتنبت فيها الحشايش والازهار وبهذه المثابة تمثل القرى والبلدان للسائح منظراً بهيجاً .

ومن اجمل بقاع بلاد الهند اقليم كشمير الواقع في شمالها فقد اشتهر بحسن مناظره وبهاء مفاخره ولذا سمي بجنة الهند واهل بلاد كشمير اكثر السكان مهارة وعقلاً وحذقاً وجلداً على العمل ومما اشتهروا به عمل الشيلان التي تعرف بالكشمير نسبةً اليها وقد بلغ تصدير هذه الشيلان درجة عظيمة جداً ويكاد يكون جل الاهلين في هذه البلاد من الصناع وارض بلاد الكشمير مشهورة عند الهنود بكونها مقدسة ولها ايضاً عند المسلمين مزيد الاحترام ولكل طائفة في هذه الارض محل للحج غير ان جميع ما فيها من الآثار القديمة الدينية يعزى الى الهنود . والقصور التي شادها ملك كشمير منذ عهد غير بعيد في غاية من

الضخامة لا سيما البساتين التي بها وهي على صورة مدرج يشتمل على ابنية كبيرة وفي الوسط عين ماء يتكون منها وهي جارية شلالات وبرك وفساقي ذوات فوارات وتحت الشلالات حفر صغيرة معدة لان تظهر فيها الاضواء المنعكسة مياه تلك العين ذات البريق واللمعان ويبيح اهل تلك البلاد للنساء الراقصات ان يغتلسن فى تلك الحياض فيظهرن فيها بمظهر التيه والدلال كانهن عرائس بحريه برزن من خدورهن يسبحن فوق لجين الماء فيرشقن العاشقين الناظرين بسهام ليس لآلامها دواء -

وبيع الصائين من الهنود التي يقيمون فيها الشعائر الدينية تشبه المساجد شكلاً من الخارج ومن الداخل بكثرة الاعمدة. واليك وصف احدى بيعهم المشهورة. • ترى في المقدمة محراباً عليه ثلاث او اربع تماثيل من الذهب الخالص يعادل ارتفاع كل منها قامة الانسان بعضها واقف والاخر متربع ووراءها تمثال اخر اكبر منها باسق جسيم يبلغ ارتفاعه اربعة وخمسين قدماً تقريباً وكله من الذهب الخالص •

وترى ايضاً من الداخل مصابيح كثيرة تتلالأ بما عليها من الاحجار الكريمة كانها كواكب تضيء ساحة البيعة الفيحاء كلما سرح الناظر طرفه فيها زاد شغفه الى الاجتلاء والتمتع برؤية ماحوته من ثمين الجواهر •

تاريخ استيلاء الانكليز على الديار الهندية

ان بلاد الهند خاضعة كلها الى سيطرة انكلترا ولذا تسمى جلالة ملكة الانكليز بامبراطورة الهند الا ان تلك البلاد منها ما هو ملك انكلترا ملكاً تاماً ومنها ماهو داخل تحت حمايتها ومعترف بسلطانها

واليك الآن تفصيل الحوادث التي توالت عليها من ابتداء القرن السادس عشر الى يومنا هذا .

في سنة ١٥٠٥ ميلاديه اسس « بابور » من سلالة تيمورلنك مملكة واسعة في بلاد الهند عاصمتها دلهي وكانت منقسمة الى عدة ايالات وكل ايالة منقسمة الى اقسام صغيرة خاضعة كلها له ولما رأى الاوروبيون في القرن السادس عشر ان تلك البلاد ذات ثروة عظيمة صالحة لرواج تجارتهم اشخصت اليها ابصارهم وحولت اليها سفائنهم فابتدأ البورتغاليون بالرحيل فاحتلوا جزيرة جوا ثم جزيرة سيلان وصاروا ينشأون المتاجر الجمة بها ثم اغار عليها الهولانديون وحلوا محلهم ولكنهم لم يتمتعوا ببغيتهم امداً مديداً لان الانكليز اتوا اليها فطردوهم منها وحلوا محلهم سنة (١٥٩٩)

وفي سنة ١٦٢٤ انشأ الانكليز في تلك الديار وبمدينة مدراس وكالات عدة لتكون واسطة في الهند بين الشركات الانكليزية الاصليه في انكلترا وبين التجار المقيمين في الهند .

وفي سنة ١٦٤٠ وهب لهم احد امراء الهند قطعة ارض تبلغ مساحتها خمسة اميال طولا وعرضاً فاقاموا بها مراكزا لهم ثم اشتروا من والٍ هندي بعض اراضٍ اخرى فعمروها بعد خرابها وافعموها بوكالاتهم ومراكزهم لوضع سلعهم وبضائعهم وذخائرهم الحربيه لانهم كانوا يتحفظون دائماً على انفسهم واملاكهم حذرا من غدر الاهالين واعتداء الاجانب

وقد قيض الله لهم ان احترقت ابنة الشاه جهان بمدينة دلهي في القرن السابع عشر فارسل الشاه يستدعي احد اطباء الانكليز فارسلوا له

جراحاً ماهراً فعالجها وبعون الله شفيت فطاب ابوها نفساً وسر من ذلك سروراً عظيما فطلب من الجراح ان يسأله ما يريده جزاء حسن صنيعه فسأله ان يرخص للشركة الانكليزية بتوصيل علاقاتها التجارية الى جميع ولايات سلطنته لتتجر معهم وذلك بدون دفع رسوم عليها وان يأذن لها بانشاء مراكز جديدة فصادف طلبه قبولا وصدرت الاوامر بتنفيذها

وفي سنة ١٦٦٨ وهب الشاه جهان المذكور كارلوس الثاني ملك الانكليز جزيرة بومباي فتنازل عنها للشركة الانكليزية في مقابل مبلغ من النقود . الا ان الانكليز لم يكونوا وحدهم ذوي هذه الامتيازات العديدة فقد كان لامة الفرنسيس حظ مثلها . وكان للشركة الفرنساوية الهنديه التي اسسها كولبير احد وزراء لويس الرابع عشر مدينة شندر ناجور التى اشترتها الشركة من احد امراء الهند

وكذلك كان لها كاليكوت في قسم ما لابار (وهي غير مدينة كلكوتا الانكليزيه) وكذلك اسست مدينة بونديشيري وكان لهم على طريق الهند جزائر بوربون وارخبيل سيشل وبعض جهات من جزيرة مدغسكر والجزيرة المسماة الآن بجزيرة موريس وكانت تسمى قبلاً بجزيرة فرنسا وبظهور هاتين الشركتين على ارض الهند ابتدأت المناوشات وكثر الجدال وعظم التنافس وسعت كل منهما في تعزيز شأنها واماتة سلطة الاخرى فابتدأت الشركة الفرنساوية بشراء مدينة كاريكال (وهي ميناء عظيمة على بحر بنغال) وجميع الاراضي التي حولها واسست عدة محال تجارية مهمة خصوصاً في ميناء ماهي وفي ذلك العصر كان مدير الشركة الفرنساويه رجلا مشهورا

بمهارته في الادارة وبذكائه الغريب يسمى ماهي دي لا بوردوني وهو الذي احيي جزيرتي بوربون وفرنسا (الان جزيرة موريس) بعد انكانت تجارتهما كاسدة وصناعتهما معدومة فقد ادخل بهما زراعة قصب السكر والقطن والنيله وانشأ المعامل والمخازن والترسانات والحصون والقلاع . وخلفه في ادارة شؤون الشركة الفرنساوية شخص يدعى جوزيف دوبلكس وفي عهده توفى احد امراء الهند الحاكمين فرام اتباع طرق السياسة لتعزيز شأنه وسلطانه في البلاد الهندية بان يستميل اليه بعض امراء الهند ويعززهم بقوته وجاهه كي يبددوا الاقوام الثائرين عليهم وبذلك يكون له الحق في التداخل واعلاء كلمته والاستيلاء على مايروم الاستيلاء عليه ولبث مدة من الزمن متبعاً هذه الخطة حتى ازهرت في عهده المستعمرات الفرنساوية وربح التجار الفرنساويون عشرة اضعاف رؤوس اموالهم الا ان الامة الانكليزية لم تغادر الامة الفرنساوية تسعى في الاستيلاء على الهند فعزمت من ذلك الحين على امانة سلطتها ودحض شوكتها لتفوز هي بالنصر والظفر ولذلك اتحدت مع اعداء الامراء الذين تحالفوا مع الفرنساويين فصارت تعضدهم وتمدهم بالاسلحة والمؤونة وفي ذلك الوقت كان دوبلكس ساعياً في حشد الكتائب وضم الجنود الهندية اليه فتوصل الى الاستيلاء على جميع ساحل كورومندول واوريسا وهي ارض اكثر اتساعاً من ارض فرنسا باسرها وقد طلب من الدولة الفرنساوية ان تمده بعسكره لتوطيد هذا الملك الهائل وبنائه على اساس متين الا ان حكومته خشيت ان تمده بعساكرها لئلا تهيج الخواطر الانكليزية ضدها بخلاف الحكومة البريطانية فكانت ترسل النجدات المتواصلة المتوالية

لمدير الشركة الانكليزية اذ ذاك المسمى سوندرس فسهل ذلك للورد كليف ان يكره الفرنساويين على رفع حصار « مادوره »

وقد كان لصدى هذه الهزيمة باوروبا وقع عظيم حمل الحكومة الفرنساوية على عزل دوبلكس من منصبه واسترجاعه الى وطنه على الفور ولما وصل دوبلكس هذا الخبر غادر الهند باكيا وآب الى بلاده كئيبا كظيما ومن شدة اسفه مات بعد قليل من الزمن وهو في أشد الفاقه .

ثم ولت الحكومة الفرنساوية بعده « جوذهو » الذي امضى معاهدة « مدراس » وبهذه المعاهدة اضطرت الحكومة الفرنساوية مغادرة جميع الاملاك التي استولى عليها دوبلكس ولم تقتصر خسائر الفرنسيس على هذه الاملاك فقط بل كان الانكليز يسعون في تدبير املاكهم اينما وجدوا ففي بلاد السنجال مثلا بينما كان الفرنسويون يقيمون قلعة اذ ارسل الانكليز لهم بارجة اطلقت عليهم قنابلها فدمرتها تدميرا وكذلك حاكم الفرنسيس في جزائر الانتيل كان قد اقام عموداً عليه هذه الجملة « تابع املاك لويس الخامس عشر ملك فرنسا » فارسل الانكليز في الحال سفينةً حربية قذفته بنيرانها واوقعته واعظم من ذلك ما حصل باملاك فرنسا في امريكا الشمالية فان الفرنساويين كانوا قد ارسلوا لجيرانهم الانكليز مندوباً فرنساوياً ليتداول معهم في شأن مسألة فقبضوا عليه وساموه عذاباً غليظاً ثم ذبحوه وفي هذه الاثناء كان الملاحون من الانكليز يعتدون على المراكب الفرنساوية الحاملة للبضائع والسلع والخيرات حتى استولوا في ظرف شهر واحد على (٣٠٠) سفينة تجارية بها ٨٠٠٠ نوتي وينوف ثمن ما فيها من الخيرات عن ١٠٠

مليون فرنك

وفي سنة ١٧٥٦ وهي السنة التي اشتهرت فيها الحرب بين فرنسا وانكلترا تصادف وفاة حاكم الهند فبويع من بعده حفيده المسمى سراج الدولة وكان للانكليز عدواً مبيناً ولم يمض زمن مديد على ولايته حتى شن الغارة على املاك الانكليز ببلاد الهند فاستولى على قلعة وليم واستمر يقاتلهم حتى كاد يزعزع ملكهم الا انه لم يساعده الحظ على اتمام بغيته لان اللورد كليف هجم عليه وحاربه حتى اكرهه على طلب الصلح منه ثم استولى اللورد المذكور على مينا شندرناجور التابعة للشركة الفرنساوية وطرد الفرنسيس من قسم البنغال ولم يكتفِ بذلك بل اصرَّ على ابادة ملك سراج الدولة كي لا تقوم له قائمة بعد فامَّ ملكه قاصداً محاربته فالتقى الجيشان عند بلاسي دارت فيها الدائرة على سراج الدولة ومن ذلك الحين صارت للانكليز الكلمة النافذة في بلاد البنغال كله فعزلوا سراج الدولة وولوا مكانه الامير جعفر وجعلوه تحت حماية الشركة الانكليزية

وفي ذلك العهد ولَّت الحكومة الفرنساوية لادارة املاكها الهندية رجلاً ايرلاندي الاصل كان بطلاً صنديداً الا انه كان قاسي القلب جباراً عنيداً جلب لنفسه كراهة الاهلين ونفورهم منه وقد حارب الانكليز فانتصر عليهم واستولى على جوندولور وقلعة سان داوود ولما ثمل من خمرة ذلك النصر دفعه طمعه الى اخضاع مدينة مدراس التي كانت من مراكز الشركة الانكليزية فقصدها وحاول الاستيلاء عليها الا انه فقد جزأً عظيماً من نخبة جنده وآل امره الى الفرار لمدينة بونديشيري فحوصر بها زمناً ثم وقع

في قبضة اعدائه نحو كم وشنق

وفي سنة ١٧٦٢ بينما كانت الحروب تطحن الامم وتسحق الاقوام اذ علا الى السماء صوت الانسان منادياً بالراحة وكف القتال فالتأمت لذلك المؤتمرات وعقدت اذ ذاك الدول معاهدتين الاولى وهي معاهدة باريس عقدت بين انكلترا وفرنسا واسبانيا والبورتغال تنازلت فيها فرنسا لانكلترا عن بلاد كادا وجزائر سان لوران ولم تحفظ لنفسها هناك الا حق صيد الاسماك وملكتها ايضاً جزيرتي ماري بطرس وميكلون وجزيرة غرناطه بارخبيل الانتيل وجزيرة ماري فنسان ودومينيك وتاباجو وسانت لوسيه وتنازلت لها ايضاً من املاكها الافريقية عن بلاد السنغال عدا جزيرة جوره (وهي جزيرة صغيرة على ساحل السنغال) وكذا تنازلت عن املاكها الهندية عدا مدن شندرناجور وبونديشيري وكاريكال وماهيه (وقد حافظت فرنسا عليها للآن) مع تعهدها بعدم اقامة حصون او قلاع بها واخلائها من كل حامية وفقدت ايضاً جزيرة مينورك بجنوب اوروبا وفقدت اسبانيا بحيثجزيرة فلوريد الا ان فرنسا عوضتها تلك الخسارة باعطائها بدلا منها بلاد لويزيان

(اما المعاهدة الثانية فلا دخل لها في موضوع بحثنا)

ولم تكن معاهدة باريس خاتمة الحروب بين الامتين الفرنساوية والانكليزية لان الحكومة البريطانية خوّلت للورد كليف سلطة غير مقيدة في الاعمال السياسية وبذلك تيسر له اكراه امراء البنغال واوريسا على الخضوع لسلطانه ورتب لهم معلوماً يقبضونه مسانهةً وقد أيد المغول الكبير

السلطة المخوله للورد المذكور باعترافه بها اعترافاً رسميا وذلك في المعاهدة التي ابرمها معه في مدينة (الله آباد)

وما زالت تتسع املاك تلك الشركة الانكليزية ببلاد الهند حتى نزعت من وارث مملكة تيمور كل املاكه خلا عاصمته فلبث بها مدة لم يستطع بعدها الا الخضوع الى سلطة الامة الانكليزية . وقد سهلت الشركة معاملاتها وتجارتها في الهندستان بتقليدها ادارة شؤونها الى حاكم عام أقام في مدينة كلكوتا التي اتخذوها مركزاً لاعمالهم ونجم عن ذلك فوائد مادية كبيرة فسهل انجاز الاعمال بغاية السرعة وبلغ ربح الشركة دفعة واحدة ستماية مليون من الفرنكات هذا في البداية وما ادراك ما بلغ في النهاية

وكان من الد اعداء الامة الانكليزية ببلاد الهند امير يدعى تيبو صايب حاول مراراً ان يرفع عن عاتق بلاده نير حكم الاجنبي فلم تمكنه الظروف وقد ورث هذه الكراهة عن ابيه الامير حيدر علي الذي كان للانكليز عدواً عنيداً وقد توصل الامير تيبو الى حشد كتيبة من الجند هاجم بها المواقع الانكليزية فاستولى على جوندولور وهزم الجيش الانكليزي بواسطة احد قواده في خمس وقائع الا ان اللورد كرنواليس الذي كان مديراً للشركة الانكليزية الهندية في ذلك العصر تحالف مع قبائل المهرات واهل النظام والف منهم حزباً قوياً حركه على قتال عدوه تيبو وقد شبت الحرب سنتين سجالاً بين الطرفين ثمَّ انتهت بوقعة هائلة دارت فيها الدائرة على تيبو فاضطر لان يطلب الصلح فعقد معهم معاهدة في « سرنجابا تام » بها تنازل لاعدائه الظافرين عن نصف الولايات الخاضعة له ولكنه لم يلبث على العهد زمناً

طويلاً حتى شقّ عصا الطاعة وتألبَّ ضدهم فحاربوه في عاصمة بلاده فاستولى عليه الجزع واليأس وانتهى امره اخيراً بالانتحار وبموته امتدت فتوحات الانكليز بسرعة زائدة لانهم وزعوا بعضاً من ايالاته الى قبائل المهرات حلفائهم واحتلوا ما بقي .

وفي سنة ١٧٩٩ اكرهوا امير آوود على ان يتنازل لهم عن نصف املاكه وفي سنة ١٨٠٠ احتلوا قسم كرناتيك وفي سنة ١٨٠٣ احتلوا مدينة دلهي وكان مستقبل الهند متوقفاً عليها فاصبح بذلك المغول الاكبر خاضعاً لهم وما اقبلت سنة ١٨١٨ الا وكانت بلاد الهندستان باجمعها خاضعة للشركة الانكليزية واستمرّت كذلك حتى استلمت زمامها الحكومة سنة ١٨٦٠ فمدت سلطتها حيث ضربت بعض القبائل الحرة وضمت اليها جهات هيماليا وبلاد الشترال ووادي سوات وجهات الباجور وفي سنة ١٨٩٧ ثارت بعض القبائل على الحدود كان منها قبائل العفريتيين وقبائل وادي سوات ولكن انكلترا توفقت بعد الحملات المتتابعة ان تكبح جماح هذه الثورات التي كان يهب شرارها من وقت لآخر

وتنقسم الهندستان ادارياً الى اربعة اقسام عظيمة

القسم الاول تابع للانجليز مباشرة وبه مقر الحاكم العام للهند وقاعدته دلهي وهذا القسم يشمل عدة اقسام صغيرة منها ادجمير وبارودا والهند الوسطى وقسم برار وحيدر آباد ومملكة ميسور واسام

القسم الثاني : مملكة بنغال ويسمى بروضة الهند ويشمل اربع حكومات . بنغال . والاقليم الاوسط . واقليم الشمال الغربي . وبنجاب اي اقليم الخمس

نهيرات

القسم الثالث . امارة بمباي ويشمل قسم بومباي والسند والمواني التي تمتد جهة الشمال

القسم الرابع : مدراس ويشمل المركز المسمى باسمه وواحد وعشرين مركزاً غيره وخمس امارات اشهرها ترافنكور وكوس

واشهر مدن الهندستان مدينة : بمباي وهي اول مواني اسيا تجارة يبلغ عدد سكانها ٨٠٠ الف نفس وهي كائنة في جنوب جزيرة صغيرة مسماة باسمها ضمن ارخبيل واقع في الجهة الغربية من شبه جزيرة الهندستان وميناها من اعظم مواني العالم لوقاية السفن غوائل الرياح التي تهب على تلك الشواطىء وهي مدينة صناعية تجارية يصدر منها اغلب الغلال والاقطان لانجلترا ومنها يصل بريد الشرق الى برندزي ثم مدينة كلكتا وهي قاعدة الهند الحالية وكائنة في قسم بنغاله على نهير هوجلى احد تفرعات نهر الكنج في وسط وادي منخفض وهي شهيرة بتجارتها وصناعتها التي امتازت بهما على غيرها من من مدن الغرب الا ان الامراض تكثر بها ومدينة بنارس على الشاطىء الايسر لنهر الكنج وبها تدرس العلوم الدينيـة والعقلية ولذا تسمَّى بمدينـة فلاسفة الهند ومدينة لا كنوا وتسمى بستان الهند وكانت قاعدة آوود الكائنة بين ولاية ينبول ونهر الكنج وهي مدينة ذات مناظر بهيجة في وسط حقول تكتنفها الغابات الجميلة

ثم مدينة مدراس وهي كائنة على خليج بنغال لا تطرقها السفن الا قليلاً لوعورة ميناها ولم يتيسر للامم التي استولت عليها اصلاحها الا ان

الانجليز آخذين في بناء مينا حصينة لوقاية السفن ورواج التجارة ويبلغ عدد سكان هذه المدينة ٤٥٠ الف نفس

مدينة پونا وهي كائنة في وسط جبال الغات الغربية وعدد سكانها ١٧٠ الف نسمة . وهي مدينة صناعية بها كثير من الانجليز لا يبرحونها لحسن موقعها ويفد اليها الاغنياء من بمباي عند اشتداد الحرارة وتغير الجو في المدن الكائنة جهة الغرب

مدينة بانجا لور شهيرة بجودة هوائها

حيدر آباد وهي قاعدة قسم نظام عدد سكانها ٤٥٠ الف نسمه وقد اسس الانكليز بقربها بلدة صغيرة لسكناهم سموها الكسندر آباد وديانة اهل هذا القسم الاسلام

واما مدينة دلهي التي كانت قديماً عاصمة مملكة المغول فانها على فرع من فروع نهر جمنه تشتمل على كثير من الابنية العظيمة المبنية بالرخام وحجر المرمر منها دار مجلس الشورى والمجلس العام وكان به في القدم عرش الطاووس المشهور المصنوع من الذهب الخالص والجواهر قدر ثمنه بمائة وخمسين مليوناً فرنك وفيها للمسلمين الجامع العظيم ويسمي مسجد جمنة يعده المسلمون من غرائب الدنيا وعجائبها كما يدعون المدينة شاه جهان أباد اي مدينة ملك العالم وفي المدينة نحو اربعين جامعاً وبعض الهياكل الهنديه واضرحة اسلاطين الهنود واولياء المسلمين وكثير من المباني الاوروبية العظيمة منها دار الحكومة وكنيسة سنت جمس وعدة كنائس غيرها وفيها ايضاً معامل للمنسوجات القطنيه والتيل وتجارتها واسعة النطاق في اصناف الحرير والجواهر وسوقها

المعروفة بكادني شوك من احسن اسواق الهند واكثرها اتقاناً

تجارة الهندستان—ولو ان التجارة الداخلية في بلاد الهند عظيمة جداً الا انها ليست متناسبة مع عدد سكانها فالسواد الاعظم من الهنود يعيشون معيشة تقرب من الفقر واكثرهم قانع بمستخرجات البلاد ومحصولاتها . ولقلة النهيرات القابلة للملاحة فيها اضطرّ الاهلون لانشاء ترعة كبيرة محاذية لنهر الكنج تيسيراً للمعاملات التجارية في الداخل وانشأوا سككاً حديدية عدة تمر على اشهر المدن التجارية بها . منها السكك الحديدية التي تتفرّع من بومباي وتتجه الى الشمال فتمر على سورات وبارون فوادي نهر الاندوس ثمّ قسم لاهور والى الشرق على الله آباد وكلكوتا والى الجنوب الشرقي على مدارس وكاليكوت ومن اشهرها ايضاً السكك الحديدية التي تبتدأ من كلكوتا وتمر على باتنا والله آباد واجر ودلهي ولاهور .

وفي الهندستان كثير من الخطوط التلغرافية . يصلها بانكلترا خطان احدها يمتد تحت مياه البحر من بومباي الى السويس ثمّ بوغاز جبل طارق ثمّ فالموس (مدينة بانكلترا) والآخر يمر على البصره ثمّ القسطنطينية ومنها الى انكلترا وجميع المدن الاوروبية .

واما تجارة الهند مع الخارج فتبلغ الاربع مليارات من الفرنكات فهي تجلب من بلاد الانكليز كثيراً من الاقمشة القطنية والصوفيه ومن فرنسا كثيراً من الانسجة الحريرية ومنهما مقداراً كبيراً من المعادن النفيسة سيما الذهب والفضة ويدخل لها منهما ومن كافة الاقطار مقادير عظيمة من من الالات الحديدية وغيرها .

ومعاملاتها التجارية متصلة باوروبا اربعةاخماسها مع انكلترا والباقي مع اوسترالياوالصين واميريكا وهي تصدر كثيراً من الافيون والقطن والصوف والنيلة والارز وملح البارود .

ومن السفن التي ترد اليها للاتجار معها تسعة اعشارها رافعة اللواء البريطاني واخصها بالذكر السفن التابعة لبحيرة المستعمرات الهندية الانكليزية التي يبلغ وزن محمولها مليون طولوناته . وكل من ثغري كلكوتا وبومباي يتجروحده سنوياً بما ينوف عن مليار فرنك وتضاهي بومباي البلاد الاوروبية العظيمة حركةً وتجارةً

والهند مملكة عظيمة قوية تضاهي بقوتها اعظم الدول الاوروبية يحكمها بالنيابة عن جلالة الامبراطورة حاكم عام مع نخبة من رجال الانكليز واعيان الهنود ويسكن الهند مائة الف انكليزي ربعهم من عمال الحكومة ويبلغ عدد الجنود العاملين في الهند (٢٢٦٠٠٠) منهم ٧٤ الف انكليزي والآخرون من الهنود وعددهم ١٥٢ الفاً أي ان كل جندي انكليزي يقابله ثلاثة من الهنود وكذلك الضباط الذين يتولون قيادة الجيش فان كل ضابط انكليزي يقابله اثنان من الهنود . ويثق الانكليز بامانة وشجاعة الجنود الهندية وقد قال اللورد ولسلي في هذا الصدد « إنَّ نفراً واحداً هندياً يدافع عن تاج انكلترا اكثر من عشرة انكليز »

وايراد الهند السنوي يعادل ايراد انكلترا وتبلغ ادارة نفقتها ٢٤ مليوناً من الجنيهات وانكلترا لا تأخذ منها شيئاً ولكنها تدفع رواتب موظفيها وتقوم بسائر نفقات حكومتها مما يجمع منها وفائدة الانكليز من هذه البلاد لتجارهم

لا لحكومتهم فان الهند اكبر مستعمرات انكلترا بل هي بلاد فسيحة الارجاء فيها الاسواق الواسعة تصرف فيها البضاعة الوافرة التي يشتغل فيها الملايين من ابناء التاميز . وقد قال بعضهم : لولا الاسواق الهندية لوقفت حركة المعامل الانكليزية فيحق للهند ان تتباهى على انكلترا وتقول لها : اني احفظ ابناءك من الموت واقيهم شرّ المصائب والبلايا. فهذا ما يدعو انكلترا الى القلق المستمر والتيقظ التام لحفظ كيان هذه المستعمرة العظيمة ويوجد التنافس بينها وبين الروسيا على حدودها وفي الافغان الواقعة بين املاك الدولتين والموجودة تحت حماية انكلترا « وان تكن مستقلة تمام الاستقلال في شؤونها الداخليه »

ومن توابع الهندستان الانكليزيه جزائر لاكديف وجزائر ملديف في المحيط الهندي وكلها خاضعة لسلطة والى الهند

« جزيرة سيلان Cylon »

وتسمى ايضاً جزيرة سرنديب واقعة في الجنوب الشرقي من بحيشجزيرة الهند ويوصلهما بوغاز بلخ ويقطنها زهاء الثلاثة ملايين من النفوس وعاصمتها كولومبو وكان العرب في القرون الغابرة يعرجون عليها بسفرهم الى ملقا وجزائر الملوك ليتزودوا منها الماء لسفنهم ويحملون منها القرف والعطريات وخشب الصندل واللؤلؤ الى عدن والى جزيرة هرمس في الخليج الفارسي. وقد استولى عليها البورتغاليون سنة ١٥٠٦ واسسوا قلعة كولومبو التي هي الآن عاصمة لهذه الجزيرة . ويستخرج منها الاحجار الكريمة كالزمرد وهي كثيرة النباتات وشهيرة بتجارة الشاي .

وجزيرة سيلان هي التي نفي اليها عرابي باشا المشهور الذي كان قائد الجيوش المصرية في حادثة سنة ٨٢ . فانه بعد ان هزم في وقعة التل الكبير وأسر حكم عليه المجلس العالي بالاعدام فسألت الحكومة الانكليزية الجناب الخديوي المرحوم توفيق باشا باستبدال هذه العقوبة بالنفي المؤبد وكانت هذه الجزيرة محل نفيه مع حليفه الشاعر محمود باشا سامي الشهير بالبارودي .

« بلاد الهند الصيني الانكليزية »

« British Indo-Chine »

ويقطنها زهاء اربعة ملايين من النفوس وتنقسم ادارياً الى قسمين قسم برمانيا ويشمل مانيپور واراخان وتناسريم وعاصمته رنجون وهي اعظم مدن العالم في تصدير الارز ويكثر فيها حجر اليشب ومناجم الفحم الحجري والغاز .

ومن مدنه الشهيرة منـدلاى واقا . وبلاد برمانيا كثيرة الغابات والصحاري ومن محصولاتها الارز وقصب السكر والنيلة والتبغ والقطن ومن حيواناتها الفيل والنمر

وقسم مستعمرات البوغاز وهي تشمل جزائر اندمان ونيكوبار وجزيرة بولو پينيخ وسواحل ولنستون وتولوسجار وملقا وجزيرة سنجابور . وعاصمة هذا القسم مدينة سنجابور وهي مركز عظيم للتجارة لانها على طريق الهند والصين واوستراليا وينوف عدد سكانها على المائة الف نفس وهم من امم متفرقة ذات اخلاق ومذاهب شتى فيوجد فيها انكليز وهولانديون وعرب وهنود وصينيون وبنغاليون وغيرهم . وارضها جدبة قحلة يكاد لا ينبت فيها شيء إلاَّ ان العلم الانكليزي الذي يخفق فوقها قد جذب اليها محصولات

البلاد المجاورة لها فاصبحت معمورة آهلة كثيرة الحركة والتجارة بعد ان كانت خالية خاوية . وقد اشتراها الانكليز في سنة ١٨١٨ بمائة وستين الف فرنك من سلطان جاهور ورتبوا له فضلاً عن ذلك مرتباً يقبضه ما دام حياً وقد بلغ ايراد الحكومة من مرور السفن من بوغازها ٥٠ مليون فرنك سنة ١٨٥٠ وفي سنة ١٨٧٥ وصل الى ٦٠٠ مليون اي ٢٤ مليون جنيه .

ملقا Malaka

اما قسم ملقا فانه تحت حماية الحكومة الانكليزية وسكانه نصف مليون نفس ويحكمه امراء من العرب والماليزيين ويوجد فيه معدن القصدير بكثرة

عَدَن Aden

مدينة من بلاد اليمن واقعة في الجهة الجنوبية منها في شبه جزيرة جرداء خاليه من النبات والماء على مسافة مائة ميل شرقاً من بوغاز باب المندب وهي حصينة للغاية لكونها محاطة بسور طبيعي من تلال صخرية صلدة وقد بذل الانكليز الجهد في اصلاحها وتحسينها وتشييد القلاع والاستحكامات العظيمة في كل نقطة مهمة فيها بيد ان مناخها ردي وحرها شديد فلا يقدر الاجنبي ان يعيش فيها ولذلك كانت الحكومة الانكليزية لا تسمح لجنودها بأن تلبث فيها كثيراً بل تبدلهم كل سنة تقريباً وقاية لصحتهم

على أن فيها البنايات الجميلة ومحلات تجارية عديدة للاوربيين والهنود والفرس ويحكمها وال انكليزي تابع لولاية بومباي في الهند . ويقطنها نحو ٤٠ الف نفس وهي مدينة تجارية مشهورة ومحطة مهمة لكل البواخر

الآتية من اوروبا والراجعة من الهند والصين واليابان واوستراليا وشرقي افريقيا ولكونها متوسطة بين اوروبا والاماكن المذكورة قد جعلت ميناها مستودعاً للفحم الحجري الذي تأخذ البواخر منه مؤونتها ذهاباً واياباً فهو موكوم هناك شبه التلال العظيمة اما تجارتها فذات اهمية عظمى واخصها في البن اليمني والحبشي والصمغ العربي وحب الهال والبهارات والعاج والذهب وريش النعام والجلود وغير ذلك .

جزيرة بريم « Berim »

في وسط بوغاز باب المندب الذي يفصل افريقيا من آسيا وقدامتلكها الانكليز لكونها مفتاح البحر الاحمر وعلى طريق الهند .

(هنغ كنغ) Hong Kong وتسمى ايضاً بجزيرة الماء العذب ويقطنها نحو ٢٢٥ الف نفس وهي واقعة بقرب كانتون احدى مدن البلاد الصينية وقد امتلكها الانكليز في سنة ١٨٤٢ ثم بعد ذلك بثماني عشرة سنة اشتروا قطعة الارض التي حولها وبنوا فيها عاصمة سموها باسم فيكتوريا وهي من المراكز المهمة التجارية البحرية وقد اشتهرت بتجارة الافيون والشاي والكافور رغماً عن كون القوانين الصينية لا تبيح استعمال الافيون لما ينجم عنه من الضرر الجسيم الا ان انكلترا اكرهت امبراطور الصين على ان يرخص لتجارهم الاتجار به وتستهلك الامة الصينية منه سنوياً قدراً عظيماً ينيف ثمنه على ٣٠٠ مليون من الفرنكات

« قبرص » « Cyprus »

هذه الجزيرة موضوعة بالقرب من خليج اسكندرونه فى جنوب شبه جزيرة الاناضول ومخترقة بجبال شامخة اشهرها سلسلتي سرينة وررودس او اولمبه ويتخللها كثير من النهيرات التي تنحدر من اعالي الجبال واراضيها خصبة تكثر بها الفواكه والقطن والدخان والزيت الجيد والعسل وكان بها في سالف الازمان معدن الذهب الذي استخرجه القدماء ويوجد بها الآن معدن النحاس فقط وقد كانت ولم تزل مشهورة باثمارها المستطابة وبنبيذها وباللاذن وكثرة خيراتها كانت سبباً في انتشاب الحروب بين ملوك مصر والشام عليها حتى استولت عليها العرب في خلافة عثمان بن عفان ثم تداولها الافرنج مدة الحروب الصليبية حتى استولت عليها الدولة العثمانية في عهد الغازي السلطان سليم خان الثاني سنة ١٥٧٠ ميلادية وقد احتلها الانكليز منذ عهد غير بعيد محافظةً على حمايتها للدولة العلية ثم امتلكوها اخيرا امتلاكاً تاماً وهي مع ذلك تدفع خراجاً سنوياً للدولة وعاصمة هذه الجزيرة مدينة لوقوزيا وهي كائنة على الشاطئ الايمن لنهر بدياس الذي هو اكبر انهر الجزيرة ومن مدنها الشهيرة مينا فماجوست وهي مينا حصينه كائنة في شرق الجزيرة ثم مدينة كيلاذ فى الجنوب الغربي شهيرة بتربية نحل العسل ويقطن الجزيرة ٢٥٠ الف نفس اكثرهم يونان .

مستعمرات أنكلترا باميركا

« British Colonies in America »

بلاد الكنادا Canada

قد امتلكت الامة الانكليزية جميع الاقطار الواقعة في شمال الولايات المتحدة ومن ضمن تلك الاقطار بلاد واسعة خصبة تسمى بلاد الكنادا وقبل الخوض في الكلام عليها نذكر طرفاً عن كيفية استكشاف اميركا لان له مساساً بموضوعنا هذا :

منذ اربع قرون خلون من أيامنا هذه استكشف احد اهالي چينوا المدعو كريستوف كولوب قارة اميركا او العالم الجديد وقد فتحها باسم ملك اسبانيا لانه هو الذي امده بسفنه لاستكشافها ولذا كتب له حين رآها ما يأتي « قد رنّ اسمك بعون الله على هذه الارض الفيحاء فمنحت مفتاح باب الاوقيانوس الذي كان الى الآن موصوداً بمتين الاغلال » ولما طاف كريستوف المذكور حوالى الجزائر القريبة من قارة اميركا (وهي جزائر الانتيل) وجاب ارضها وسبر اخلاق اهلها الفاهم ذوي بشاشة يميلون الى الاجتماع ليس لهم نفور ممن يقرب منهم وقد ذكر ذلك في كتابه الذي ارسله الى ملكة وملك اسبانيا حيث قال « اني أؤكد لجلالتكما انه لا يوجد في العالم باسره قوم الين جانباً من اهل هاته الجزيرة ولا اكثر بشاشة ولا اهدأ طبعاً ولا اجمل اخلاقاً يلهجون بصوت رخيم يلتذ منه السامع ويبتسمون دائماً اذا فاهوا » وقد أيدّ قوله جميع السيّاح الذين جاءوا تلك البلاد وجاسوا خلالها واوغلوا

في انحائها فارشدوا اوطانهم الى طرق الاستيلاء والاتجار معها ومن ذلك الحين جاء الاوربيون اليها افواجاً وزمراً فحلوا بها وعمروها ومدنوها وادخلوا بها العلوم والمعارف والصنائع والفنون وصاروا يثقفون عقول اهلها فاستنارت بشموس الحضارة الحاليه وقتئذٍ واستفاقت من خمولها ونومها . ولما ابتدأت تلك البلاد في الظهور في عالم المدنيه تقاطر اليها الاوربيون من الانكليز والفرنسيس والالمان والهولانديين والاسبانيين حتى الهنديين والصينيين واليابانيين جاءوا اليها من الاقطار السحيقه ابتغاء نيل ثروة منها فنهم من استوطن بها ومنهم من بارحها وقد دلت الاحصاآت انه يفد اليها كل عام آلاف مؤلفة من اوروبا واقصى البلاد للاستيطان بها

وبين السائحين الذين اتوا سنة ١٥٣٤ الى امريكا الشماليه سائح فرنساوي يقال له جاك كارتيه ارسله فرنسوا الاول ملك فرنسا للاستيلاء على بلاد الكنادا باسمه فدخلتها اذ ذاك الامة الفرنساوية وهرع كثير منها اليها وبثوا في اهلها روح الحضارة وعمروا منها ما كان خرباً ولقنوا سكانها بعضاً من علومهم وعلوهم اللغة الفرنساوية وهي الآن اكثر اللغات انتشاراً بها وقد حفظ السكان الى وقتنا هذا عوائد الامة الفرنساوية واخلاقها وكان اهم معمر لهذه الديار الفرنساوي المعروف باسم شامبلين فهو الذي عمر بنيانها واقام اودها ونظم احوالها وروّج تجارتها وساعد المبعوثين الروحانيين على نشر الدين المسيحي بها وكانت التجارة الى ذلك العهد منحصرة في بيع الجلود وما ابتدأ الاهتمام بالفلاحة بها الا في سنة ١٦٣٨ ميلادية

وقد كانت الامة الانكليزية في ذلك الوقت مالكة كافة الاقاليم الواقعه

في جنوب الاملاك الفرنساوية ولا يخفى ان الانجليز يجنحون دائماً الى الانفراد بالسلطة فوقعت بينهم وبين الفرنسيس مناوشات طفيفة اولاً ثم اخذت تلك المناوشات تزداد يوماً فيوماً حتى شبت لظى الحرب بين الامتين في اواخر القرن الثامن عشر . فارسلت الحكومة الفرنسوية على الفور ١٨ بارجة حربية على الاملاك الفرنساوية بامريكا فلما وصل قائدها الى « يادوساك » بعث خطاباً ينذر به الحاكم الفرنسوي بتسليم البلد والخضوع له وهدده بتشديد الحصار عليه حتى يضطره نفاذ المؤونة الى الاستسلام ولما وصل الفرنساويين هذا الخطاب رموه ارضاً ولم يكترثوا به فشدد الانكليز الحصار واستمر المحاصرون يكابدون الم الحصار مدة مديدة كلما يأتيهم مدد من الخارج وقع في قبضة المحاصرين وقد اضطروا ان يقتاتوا من جذور النبات الا انهم آثروا المعيشة في الذل والفاقة على تسليم المدينة الى اعدائهم ولما تيقن المحاصرون ان مؤونة المحاصرين وذخائرهم قد نفذت صالوا عليهم كالاسود الضواري واخضعوهم ودخلوا مدينة يادوساك

ولم تكن هذه الا مدينة واحدة من الاملاك الفرنساوية التي وقعت في ملك الانكليز وما كانت بغيتهم الا الاستيلاء على الاملاك الفرنساوية الاميريكية كلها ولما جاء الوقت المضروب لذلك حشد اللورد شتام جيشاً جراراً مؤلفاً من ٦٠ الف مقاتل لمحاربة النزل الفرنساويه والاستيلاء عليها وكذا صوب نحوها البوارج الانكليزية لحصارها بحراً اما فرنسا فلم تستطع ان تمد نزلها ببلاد الكنادا بعسكر ولا بمؤونة لان الاضطرابات الداخلية كانت تشغلها كثيراً وكان قواد القوة الحربيه للنزل الفرنساوي اذ ذاك دوفودريل ودي

مونتكلم نحشدا جيشاً مؤلفاً من ستة آلاف مقاتل من العساكر النظامية وستة عشر الفاً من همج الوطنيين الامريكانيين وكانت الفرقة الثانية مؤلفة من اناس مختلفي الاجناس يجمعها ست وثلاثين قبيلة غير متجانسه صعب قيادتهم لايخضعون ولا يمتثلون الى الاوامر العسكرية لانهم لم يكونوا مدربين على المحاربة طبق نظاماتها وقد حصلت جملة مناوشات حربيه كان النصر فيها في البداية للنزل الفرنساوية .

وفي سنة ١٧٥٨ حاصرت القوة الانكليزية مدينة كيبك فصارت تطلق عليها قنابلها وتقذف اليها نيرانها حتى اشتعلت دورها وخرّبت ما كان منها عامراً ثم تحولت الى جهة اخرى وشرعت تسحق في عسكر النزل الفرنساوي حتى ابادتهم وكان من اشهر الرجال الذين قضي عليهم في تلك الواقعة الشهير مونتكلم وبمرته خضعت مدينة كيبك للدولة الانكليزية .

ولتأييد ذلك النصر ارسلت الدولة الانكليزيه ثلاث كتائب نحو مدينة مونتريال للاستيلاء عليها وبالنسبة لاضمحلال القوة الفرنساوية بها لم تستطع تلك المدينة ان تقاوم طريداً فاستسلمت بعد قليل من الزمن وعقد اذ ذاك الانكليز والفرنسيس عهدة بينهما مؤلفة من ٣٥ مادة اليك اشهرها

« يتعهد الفرنسيس بنزع السلاح وكف الحرب وتؤدى لهم عنداوبتهم
« الى مدينة كيبك المراسم الحربيه ويبقى المركيز دوڤودريل بداره حتى يؤب
« الى سفينة لائقه بمقامه »

« ويحافظ الكاثوليك على مذهبهم »

« ولا تمس حقوق الكهنة والمبعوثين الفرنساويين بأذى ويحفظون

« الامتيازات التي كانت مخوله لهم من قبل وكذا يحفظون املاكهم وحقوقهم المنقوله والثابته »

وقد حافظت الدولة الانكليزيه على هذه المعاهدة الى يومنا هذا ثمّ سعت في انماء ثروة تلك البلاد وتحسين احوالها وتنظيم ادارتها فاصبحت تجارتها اكثر رواجاً منه في ايام الفرنسيس وقد ادخلت بها ايضاً كثيرا من الاصلاحات التي عادت بالنفع العظيم على السكان

فهذا ملخص تاريخ استيلاء الامة الانكليزيه على تلك البلاد واليك الآن بعض كلمات عنها من وجه آخر

تبلغ مساحتها (٨٫٤٥٠٫٠٠٠ ك ٠ م) ويبلغ عدد سكانها خمسة ملايين نفس تقريباً ومع ان المواليد كثيرة جدًا هنالك فان عدد السكان لا يزداد الا قليلاً كل سنه وسبب ذلك مهاجرتهم منها للاستيطان بالاقاليم الغربيه للولايات المتحدة لانها في هواء معتدل مقبول ٠

اقسامها السياسية — تقسم بلاد الكنادا الى ثمانية اقسام سياسية ويوجد قسم تاسع في ادارة خاصة ويشمل جزيرة الارض الجديدة ومجمع جزائر برموده

اولا كولومبيه البريطانيه وهي كائنة على شاطئ المحيط الهندي ويتبعها فانكوفير ومجمع جزائر الملكة شارلوت وقاعدتها فكتوريا وهي من اعظم مدن اميركا على شاطئ المحيط الهادي وهي مبنية في جنوب جزيرة فانكوفير

واغلب اراضى هذا القسم جبلية تشتد فيها البرودة عدا الشواطئ فان الطقس بها معتدل قليلا وكان بها معادن الذهب بكثرة عند استيلاء الامة الفرنساوية عليها اما الآن فكادت ان تتلاشى بالنسبة لكثرة ما استخرج منها

ويوجد بهذا القسم ايضا غابات عظيمة مأهولة بانواع الحيوانات ذات الفروة الثمينة ويوجد فيها ايضا شجر الشوح ومراعي جميلة لتربية المواشي وسهول ووديان واسعة قد جمعت بين حسن المنظر وعظيم النفع ويوجد الفحم الحجري بكثرة في جزيرة فانكوفير وارخبيل الملكة شارلوت ثم ان هذه الاراضي وان تكن ملكا للدولة البريطانية الا ان الانجليز لا يقطنون الا السواحل والجزر واما داخل البلاد فمسكون بالهنود الذين لم يشرق عليهم نور المدنية للآن

ثانيا اراضي الشمال الغربي وتمتد بين خليج هودسون والمحيط المنجمد الشمالي ويتخلل هذا القسم كثير من الانهار والنهيرات والبحيرات اشهرها نهر ماكنزي الذي ينبع من بحيرة اتاباسكا وبحيرة العبيد والدب الاكبر ثم يصب في المحيط المنجمد ونهير ساسكاتشوانه الذي يروي سهول ووديان مانيتوبا ونهير نلسون وسفرن وهذه الانهر الثلاثة تنبع من بحيرة ونيبج وتروي سهولا من اخصب بلاد العالم ويتبعها شبه جزيرة لابرادور وهذا القسم اعظم الاقسام مساحة واقلها سكانا نظرا لاشتداد البرودة وعدم خصوبة ارضها لانها كثيرة المستنقعات ومع ذلك فقد يفد اليها الصيادون ويكثر سكانها يوما فيوما واما الجهات الباردة فمسكونة بامة الاسكيموس الذين يقتاتون بالاسماك ويلبسون جلود الحيوانات وهم على الحالة الهمجية

ثالثا جزيرة البرنس ادوار مساحتها ٥٥٠٠ كيلو متر وهى حسنة الموقع كائنة في شمال ايقوسيا الجديدة وعدد سكانها ١٢٠ الف نسمة وقاعدتها شارل تاون

وتتبعها جزيرة راس برتون التي قاعدتها سدنى

رابعا شبه جزيرة ايقوسيا الجديدة وكانت تسمى قديما أكاديه تبعت لفرنسا واستولت عليها الامة الانجليزية سنة ١٣١٣ وقاعدتها هاليفاكس وهى ميناحربيه صناعيه معتبرة كترسخانه للمستعمرات الامريكية واليها يصل الخط الحديدي من مونتريال وتبلغ مساحتها ٥٤ الف كيلو وسكانها ٤٠٠ الف نفس

خامسا برنسويج الجديدة وقاعدتها فريدريك تاون ومن مدنها الشهيرة سان جوهن على خليج فوندي وهي مينا حربيه حصينة تطرقها السفن من الولايات المتحدة

سادسا كندا السفلى تروى بنهر سان لوران وهى اعظم الاقسام سكانا وينفصل هذا القسم عن الولايات المتحدة بالبحيرات الكبيرة التي يخترقها نهر سان لوران ويكون بين اثنين منها شلال نياجارا الشهير وقد بنى الانجليز على هذا الشلال جسر من اعظم جسور العالم وقاعدتها كبك واشهر مدنها مونتريال

سابعا كندا العليا او اونتاريو وهى كائنة بين نهر سان لوران وبحيرات ايريا واونتاريا وهوردن والبحيرة العليا وهذا القسم خصب الاراضي كثير الغابات والمراعي والسهول والوديان ويوجد به معدن الحديد والنحاس وينابيع البترول اي الغاز الذي له الدرجة الاولى في تجارة هذه البلاد الشاسعة ومن مدنها الشهيرة كنجستون على نهر سان لوران ويتبع هذا القسم قسم تورنتو وقاعدة الحكومة في هذا القسم مدينة اوتاوا على النهير المسمى باسمها من مصبات نهر سان لوران وعدد سكانها (٤٠ الف نفس)

ثامنا اقليم مانيتوبا يشمل اراضي اخصب بلاد امريكا عموما يكثر فيها

زراعة القمح ومن مدنها الشهيرة ونيبيج وهي في ملتقى النهير الاحمر بنهير اسينبوان

القسم التاسع المنفصل على حدته قسم جزيرة الارض الجديدة وهى في مدخل خليج سان لوران قحلة لاينبت بها شيء يصلح للقوت الا ان انكباب الامم على السفر اليها في اوقات محددة من السنه ليس إلا لصيد الحوت والذي يكثرمنه على الرمال التي تحيط بهذه الجزيرة عند نزول التيار الآتي من القطب الشمالي وقاعدتها سان جان او القديس حنا وقد يتبع حكومة كندا مجمع جزائر برموده وقاعدتها هاملتون

الزراعه — يكثر في بعض الاقاليم التي ذكرناهاالقمح والجودار ويرسل منها مقداراً عظياً للندرة وكذا يزرع بها البطاطس وحشيشة الدنيار وهي تنبت على ضفاف سان لوران وكذا القنب والكتان والنيل

ويكثر بها ايضا حب الصنوبر والحور والسنديان والشوح والبلوط ويوجد بهـا مراعي يسرح فيها الملايين من المواشي التي هي ينبوع ثروة هـذه البلاد

اما المعادن فقديكثر منهـا الفحم الحجري في برنسويج الجديدة وايقوسيا الجديدة وجزيرة راس بريتون وجزيرة فانكوفير يوجد فيها مناجم تفوق عما سواها في الكثرة وجودة المعدن وكذا الحديد والنحاس في ايقوسيا الجديدة وقسم البحيرات والذهب بكولومبيا وزيت البترول في كندا الغربيه

محصولاتها — وبلاد الكنادا اعظم الولايات الامريكية حركةً وتجارةً بعد الولايات المتحدة واكثر محصولها الزراعي القمح والجودار ويرسل منهما

مقداراً عظيماً للوندرا وتزرع بها البطاطس وحشيشة الدينار وهي تنبت على ضفاف سان لوران وكذا القنب والكتان والتيل وفيها مراعٍ كثيرة تسرح فيها المواشي التي يعتني الاهلون بتربيتها لانها ينبوع ثروة البلاد . ويصطاد كثيراً من الاسماك من خليج سان لوران ويصدر منها مقداراً عظيماً للبلاد الاوروبية . وفيها غابات واسعة تؤخذ منها الاخشاب لصناعة السفن والبناء ويستخرج منها الجازبوفرة . وفي قسم كولوميا توجد معادن ذهبية كثيرة وفي كندا الغربية زيت البترول . وفي ايقوسيا الجديدة وقسم البحيرات الحديد والنحاس . وفي برونسويغ الجديدة وايقوسيا الجديدة وجزيرة رأس بريتون وجزيرة فانكوفير مناجم تفوق غيرها في وفرة المعادن وجودتها .

وقد اكتشف في المدة الاخيرة على بعد ماية ميل من الاسكا (وهي شبه جزيرة بحر بارنغ اشترتها انكلترا من روسيا سنة ١٨٧٦ وتعرف بكلونديك) بقعة فيها معادن ذهبية تبلغ ٢٥٠ الف ميل مربع . وقد جذب غنى هذه البقعة كثيرين من طلّاب الذهب ولكن دون السفر اليها قطع جبال واجتياز بحار ومشاق كثيرة

صناعتها — واما الصناعة فقد تقدّمت بكنادا تقدماً عظيماً وقد استعمل الانكليز تيارات المياه التي تنحدر من اعالي الشلالات لادارة فابريقات ومعامل لسبك المعادن ثم انه يوجد معامل كثيرة لعمل الآلات الميكانيكية في مدن جوهن وهاليفكس وفي تورنتو معامل للآلات الزراعية وفي كبك معمل عظيم للعربات على اختلاف انواعها وفي مدن سان موريس وكنجستون واوتاوا معامل لصب الحديد والصلب وفي منتريال معامل كثيرة لدبغ الجلود

تجارتها . إن اعظم طرق المواصلات التجاريه بها نهرسان لوران والبحيرات العظيمه الا ان نهرسان لوران يجمد ماؤه ويصير جليداً مدة خمسة اشهر في السنه وبها كثير من السكك الحديديه التي تربط اشهر مدنها وخطوط تلغرافيه عدة توصل مدنها بمدن اوروبا وكافة الاقطار

وتجارتها مع الخارج منحصرة في جلب المنسوجات القطنيه والصوفية والشاي والسكر والنبيذ من فرنسا وبعض اشياء اخرى للزينه وفي تصدير الاخشاب والحبوب والدقيق والاسماك والجلود والزيت . ولتجار الانكليز الحظ الاوفر من تجارة هذه البلاد

بعض معتقدات اهلها — يعتقد الاهلون بها ان كل ما يراه الانسان في منامه لا بُدَّ من وقوعه وقد اشبهوا بذلك الكثيرمن عوام مصر الذين يعتقدون هذا الاعتقاد ايضاً . فقد روي احد امراء هذه البلاد الاصليين اذ زار ذات يوم ظابطاً انكليزياً لعقد معاهدة معه . وفي اثناء المحاضرة قال له : اني رأيت في منامي هذه الليلة انك خلعت عليَّ الثوب الاحمر الذي تكتسى به في ايام المواسم والاعياد. فتحير اذ ذاك الضابط الانكليزي الا انه ما رضي ان يرفض طلب الامير فخلع عليه في الحال الثوب الذي تمنَّاه . وبعد تلك الحادثه بايام قلائل تقابل الضابط الانكليزي مع الامير نفسه وقال له . « اني رأيت في منامي انك وهبتني هذه الارض » واشار بيده الى ارض هنالك خصبة التربة حسنة الموقع فلم يستطع الامير وقتئذ الا ان يلبي طلبه فاجابه « هي لك بشرط ان لاتطلعني من الآن فصاعداً على رؤياك ولا اطلعك على رؤياي ... »

ويعتقدون ايضاً ان الانسان له روحان روح لا تفارقه البته حتى الوفاة

وروح تفارقه وقت منامه وهي التي تصدر عنها جميع الحركات والافعال التي راها الانسان في منامه ٠ اما الروح الثانيه فقالوا لاريب في وجودها وأيدوا ذلك بقولهم : ان جسم الانسان يبقى ساكناً وقت النوم لا حراك به الا انه لا بد ان يكون ذا روح لانها ان غادرته هلك ٠٠

واما الصناعة فقد تقدمت في تلك الاصقاع البعيدة تقدماً عظيما وقد استعمل الانكليز تيارات المياه التي تنحدر من اعالي الشلالات لادارة فابريقات ومعامل لسبك المعادن فيوجد معامل وترسخانات لعمل الآلات الميكانيكية في مدن سان جوهن وهاليفاكس وفي تورنتو معامل صناعية لعمل الآلات الزراعية وفي كبك معمل عظيم لصناعة العربات على اختلاف انواعها ويوجد معامل لصب الحديد والصلب بمدينة سان موريس وكنجستون واتاوا ومعامل لدبغ الجلود بمنتريال

املاك الانكليز الاخرى

تملك ارخبيل الانتيل ست دول اسبانيا وانكلترا وفرنسا ٠ وهولاندا ٠ والدنمرك ٠ وفنزويله ٠ اما املاك انكلترا منها فهي :

جامايك استولت انكلترا على هذه الجزيرة في اواسط القرن السابع عشر وسكانها ٦٠ الف نفس ربعهم من النوع الابيض واشهر محصولها الزنجبيل والكاكاو والسكر والدخان واشهر مدنها كنجستون (مدينة الملك) واقعة في جنوب الجزيرة ولها ميناء جميل ٠

ويليها جزائر الرياح ويقطنها ٥٣٠ الف نفس

ثم جزيرة « انتياجو » « وجزائر دومينك » « وبارباد » « وغرناطه »

« وتاباجو » ثم جزيرة « ترنيته » (اي التثليث) وهذه الجزيرة اكبر الجزائر المتقدمة ومركزها سبانشتون (اي مدينة الاسبانيين) ثم جزائر « باهاما » وهي جزائر عدة متقاربة من بعضها واشهر محصولاتها الفواكه والاناناس ومنها جزيرة « سان سلوادور اي جزيرة النجاه » وهي اول الجزائر التى نزل بها كريستوف كولومب مكتشف امريكا

وتبلغ تجارة جزائر الانتيل الانكليزية مع الخارج اكثر من ٣٠٠ مليون فرنك اما تجارتها العموميه فتبلغ مليارين من الفرنكات منها مليار لجزيرة كوبا وحدها التابعة لاسبانيا و ١٢٠ مليون لجزائر فرنسا :

جيوانة الانكليزية ــ تنقسم بلاد الجويانه الى قسمين كبيرين قسم مستقل واخر تابع لدول اوروبيه ثلاث انكلترا وفرنسا وهولانده فالجويانه الانكليزية اكثرها سكانا واحسنها موقعاً واخصبها تربةً وعاصمتها مدينة جورج تاون وهى مدينة تجارية تصدر كثيرا من السكر والاخشاب النفيسة

وتبلغ تجارة الجويانة الاوروبية ١٦٠ مليوناً من الفرنكات منها ١٢٥ مليوناً للجويانة الانكليزية وحدها

ولانكلترا جزائر اخرى منها كثير الاهمية ومنها ما هو قليلها اشهرهــا « مونسرات » « وسان كريستوف » « والانجيل » « وسان لوسى » « وتورتولا » « وجزائر بورمون » « وهوندراس » « وجزائر فاللان » « وجزائر الترك » « ولايك »

مستعمرات انكلترا في الاوقيانوسية

British Colonies in Ocean

« اوستراليا »

Australia

ان اوستراليا اكبر جزائر الاوقيانوسية بل هي اكبر جزائر العالم واوسعها واعظمها واشهرها ومساحتها تعادل ٤ ملايين و ٨٢٧ الف كيلومترا مربعا وعدد سكانها مليونان ونصف مليون وفي القرن السابع عشر عثر عليها الهولانديون وقد سموها يلاد هولاندا الجديدة ثم وفدها الاسبانيان الشهيران بدرو فرناندس ولوى دي تورس بعد ذلك بسنة اي سنة ١٦٠٧ وقد عبر الاخير منهما البوغاز الذي سمي باسمه ووصل الى راس يورك وفي سنة ١٦٢٨ عثر الهولانديون بطريق الصدفة عند ذهابهم من اوروبا الى باتافا (جزيرة جافا) على ارض وتس وخليج كارنتباري وفي سنة ١٦٤٢ استكشف تازمان الشهير ارض فان و يامان اما كوك الشهير فقد استكشف في رحلاته الثلاث سواحل اوستراليا الشرقية ومن بعده تواتر السياح والملاح اغلبهم من الامة الانكليزية مثل باس وجرانت على هذه الاراضي وشرعوا يوالون البحث والاستكشاف فرفعوا الغطاء على كثير من المعميات والمجهولات وقد حاول اكثرهم التوغل والتجوال في داخلها لدراسة وصف ارضها وما فيها فلم يتوصل احد منهم الى اختراقها من الشمال الى الجنوب حتى اقدم على هذا العمل البطل المقدام بورك وكشف النقاب عن مخبآتها

وكانت انكلترا في سنة ١٧٨٨ ترسل مجرميها وجناتها الى هذه الجزيرة فكثر الاشرار فيها وشرعوا يعيثون فساداً حتى اهلكوا وابادوا سكانها الاصليين .

وفي سنة ١٨٥١ أُستكشف بهذه الديار معادن ذهبية عظيمة فما كاد يطير هذا الخبر الى اوروبا حتى اقبل اليها الصنّاع والتجار وغيرهم زمراً زمراً ونزلوا بها وصاروا يستغلون هذه المعادن ويتجرون بمحصولها حتى جمعوا اموالاً طائلة منها فمكنوا من بعد ذلك على تربية المواشي لوفرتها بتلك الديار وهكذا فانهم استاثروا بثروة هاتيك المرابع والبلدان

ويقطن اوستراليا هذه كثير من الانكليز والايرلنديين وبلغ عددهم (المليونين تقريباً) والالمانيين والصينيين والاوستراليين الاصليين والفرنساويين والايطاليين وعدد عظيم من قبائل الماوريس وفيوجي

والديانة المنتشرة بها هي البروتستانتية وتليها الكاثوليكية ثم الاسرائيلية واقسام هذه البلاد السياسية سبعة كل قسم منها مستقل بادارة شؤونه ومهامه الداخلية استقلالاً يقرب من التمام .

اولها قسم اومستعمرة فيكتوريا وسكانها مليون نفس تقريباً وقاعدتها ملبورن فرضة تجارية شهيرة تأسست سنة ١٨٣٥ وهي الآن اعظم مدن الاقيانوسية واغنى فرضة بها فتصدر كثيرا من الذهب والصوف وتجلب كثيرا من الملابس والاقمشة والمشروبات الكؤولية

ثانيها قسم الغالة الجديدة الجنوبي وسكانه ٨٠٠ الف وعاصمته سيدناي وهي المركز السياسي لحاكم الاقيانوسيه المندوب من طرف الحكومة

الانكليزية المراقبة على الاعمال السياسية والمالية الداخلية والخارجية .

وصادراتها الصوف والجلود والفحم الحجري والجوخ والذهب

ثالثها كوينزلند اي ارض الملكة وسكانها ٣٠٠ الف نفس ومركزها بريزبان

وتصدر القصدير والنحاس والصوف

رابعها اوستراليا الجنوبية وسكانها ٢٨٠ الفاً وكرسيها السياسي ادلايد

وصادراتها الدقيق والصوف والنحاس

خامسها اوستراليا الغربيه وقاعدتها برث

سادسها ارض تزمانيا

سابعها زيلانده الجديده وعدد سكانها ينيف عن نصف مليون وعاصمتها ولنتون .

ولانكلترا مستعمرات اخرى ايضاً بالاوقيانوسيه مثل جزائر فيدجي ضمتها الى املاكها سنة ١٨٧٤ ويبلغ عدد هذه الجزر نحو ٣٠٠ اغلبها مشحون بالبراكين والجبال ولها جزء من غينا الجديدة ومن جزيرة بورنو

ونظراً لخصوبة ارض اوستراليا وكثرة المزارع والنباتات واتساع المعادن الذهبيه والنحاسيه والقصديريه وغيرها قد بلغت تجارتها مبلغاً عظيماً حتى انها عدت من أشهر متاجر العالم ويدلك على ذلك كمية الذهب المستخرجة من سنة ١٨٥١ الى سنة ١٨٧٧ واليك بيان اثمانها

من زيلانده الجديدة بلغ ثمن الذهب المبيع منها ٧٦٠ مليوناً من الفرنكات

كونيزلند « « « ٢٦٥ « « «

من بلاد الغاليه الجنوبيه « « « ٨٠٠ « « «

ومن فكتوريا خمسة ملايين من الفرنكات

فيكون ثمن مجموع ما بيع من الذهب المستخرج منها يعادل ٧ مليارات من الفرنكات تقريباً اي نحو ٢٨٠ مليوناً من الجنيهات فتأمل في هذا العدد الفاضح تعرف قدر تجارة هذه البلاد من صنف الذهب وحده

وتجارة المستعمرات الانكليزية الموجودة بالاقيانوسية مع الخارج يبلغ مليارين من الفرنكات في السنة الواحدة منها ٣٠٠ مليون لتجارة الذهب الغير المضروب و١٥٠ مليوناً للصوف والباقي للجلود والمواشي واللحوم والقمح وباقي الغلال واربعة اخماس تجارتها مع انكلترا ومستعمراتها

ويقال ان في سنة ١٧٩٧ لم يكن بها الا ثلاث خرفان وثمانية نعاج اتي بها من مستعمرة الكاب من افريقيا والآن بلغ عدد خرفانها ونعاجها اكثر من المهاجرين من كافة البلدان الاوروبية والاسيويه والامريكية ووصل عدد سكانها الآن الى قدر عظيم وقد شوهد انه ينمو نمواً عجيباً حتى اثبت احد العلماء من الابحاث التي عملها هنالك بعد دراسة احوالها دراسة جيدة ان عدد سكانها سيصل قبل انتهاء القرن العشرين الى ١٩٠ مليوناً ودرجة حضارة اوستراليا وصلت الى الغاية القصوى حتى انها اصبحت تضاهي الممالك الاورويه العظيمة تمدناً وتقدماً وقد قال في هذا الصدد احد علماء الفرنسيس ان « اوستراليا احدى غرائب مصنوعات الامة الانكليزية » لانهم هم الذين عمروها ومدنوها وفلحوها ونشروا بها العلوم والمعارف واوجدوا بها المصانع والمعامل وانشأوا بها المدارس والمتاجر والمصارف والمستشفيات ومحلات التجارة وغيرها واوجدوها الى عالم الظهور بعد الخفاء .

« المستعمرات الانكليزيه بافريقيا »

British Colonies in Africa

افريقيا ذات الاطراف الشاسعة والصحاري الواسعة التي كان جلها مجهولا منذ اربعين سنة برزت في هذه الايام من عالم الغيب الى عالم الظهور واصبحت مرسحا تتلاعب فيه مطامع الدول الاوروبية على الاراضي الخاليه منها فانتشرت الحروب وانتشبت من جرى هذا النزاع في كل جهاتها من اقصاها الى ادناها فثارت في الشمال الشرقي بين ايطاليا والحبشة وشمالاً بين الجنود المصريه والانكليزية والمهدي ودراويشه وفي الوسط سار الفرنسيس في الصحراء وبلاد سنغال والكونغو . على ان النزاع اشتد في القسم الجنوبي من هذه القارة وقامت الحروب على قدم وساق في الترنسوال وفي بلاد الماتبيل وعلى ضفاف نهر اورنجه والكونغو وزمبيزه في جزيرة مداغسكر .

وبالجملة فقد تشعبت المسائل الاستعماريه في افريقيا تشعباً لا مثيل لها حتى اصبحت من اهم المشكلات السياسيه فصار امر المحافظه على استعمارها من اهم المسائل الشاغله لدول العالم اجمع وصارت ارضها الغنيه بمناجم الفحم والمعادن جذابة للمستكشفين من الاوربيين الذين لا يكادون يحتلون ارضاً حتى يحددونها لمملكتهم ويعمرونها ويقسمونها ومع ذلك فان خارطة افريقيا لا تشمل كافة التفصيلات والتقسيمات السياسيه كما يجب

ولانكلترا بافريقيا اعظم الاراضي واغناها واحسنها للسكن والتجارة

وهى مع ذلك تجتهد في ضم هذه الاراضي الواسعة الى بعضها وقد سهلت الطرق لاستخراج كنوزها واستدرار خيراتها وتحسين ادارتها ومن هـذه الاملاك ما هو كائن ببلاد سنغال ومنها ما هو على سواحل غينا الشماليه ونهر النيجر ومنها السودان المصري الانكليزي ومنها القسم الاعظم والاهم الكائن في جنوب افريقيا وهى حكومة الراس او الكاب وجزء عظيم من بلاد زنجبار والاراضي الخصبه الكائنه بين بحيرات فكتوريا والبرت نيانزا والبرت ادوار وهى التي تسمى ببلاد اوغندا

وهناك الآن تليح على الجزء الكائن ببلاد سنغمبيا . هـذه المستعمرة الصغيرة كائنه بين الاملاك الفرنساويه والبرتغاليه وتسمى ببلاد غمبيا مساحتها ١٢ الف لـ وعدد سكانها (١٤) الف نفس وهى ذات اراضي خصبة جيدة الهواء وقاعدتها مدينة باتورست وحاصلات هذه البلاد هي الاخشاب العطريه وريش النعام وزيت النخيل

بلاد سيراليونا

كائنة في شمال بلاد ليبريا الحرة مساحتها ٧٠ الف لـ م وعدد سكانها ٨٠ الف نفس وقاعدتها مدينة فريتون او المدينة الحرة وهذه البلاد وان كان هواؤها لا يوافق الاوروبيين الا ان حسن موقعها في الشمال الغربي من افريقيا كان سبباً في استيلاء انكلترا على مافيها من السواحل لمد سفنها بما يلزم لها من الذخائر والمؤنة عند الحاجة

واما بلاد ساحل الذهب وما جاورها فيبلغ عدد سكانها المليون نفس

ومن ثغورها الشهيرة كاب كوست كاستل (راس شاطئ السراي) وهذه البلاد تصدر بكثرة الزيت ومعدن الذهب الى بلاد الانكليز ويتبعها بلاد اشانتي وقاعدتها قوماسيا واما مركز هذه المستعمرة السياسي نخرستيانبور

(ثم بلاد لاغوس .) وشركة النيجر السفلى وبلاد بنين (وكلبار الجديده) ومملكة يوربا ومن مدن هذه المملكة الاخيرة ايبقيونا وسكانها يتجاوز ٢٠٠ الف نسمه ثم مدينة ابادان الجامعه ١٠٠ الف نفس وقد كانت تحت الحمايه الانكليزية ولكن الآن رفضت حمايتها ولم تزل المنازعات قائمة بهذا الصدد وهذه المستعمرة ذات اراضي شاسعة قد اخذت الامة الانكليزية في نظامها على النسق الجديد وبث روح الزراعة والتجارة بين سكانها حتى تجني ثمرة اتعابها باستدرار طيبات الارض الواقعة على ضفاف نهر النيجر المظيم وبالجملة فان لهذه المستعمرات مستقبل سعيد

جزيرة سانت هيلانه

او القديسة هيلانه وهي التي نفى اليها نابليون الاول امبراطور فرنسا سنة ١٨١٥ ومات بها سنة ١٨٢١ ثم نقلت جثته بعد حين من الزمن الى فرنسا

وجزيرة الاسنسيون او الصعود وهاتان الجزيرتان في المحيط الاطلانطيقي كمحاط للسفن التي تجتاز هذا الاقيانوس واراضيهما صخرية ليست لهما اهميـة سوى موقعهما وقد نظم الآن سير البريد اليهما كباقي الجزائر الشهيرة

حكومة الكاب

Cape Colony

وهي اهم المستعمرات الانجليزية بقارة افريقيا واول من اسسها هم الهولانديون سنة ١٦٥٠ ثم استولت عليها انجلترا فيما بعد بين سنتي ١٧٩٥ وسنة ١٨٠٦ وقد رحل الهولانديون عند احتلال الانجليز لها فاستوطنوا بلاد ناتال وفي سنة ١٨٣٧ زحف عليهم الانكليز وسطوا على ما عمروه من البلدان فاضطروا ايضا ان يغادروا هذه المواطن وتوغلوا الى الداخل حيث نزلوا ارضاً كثيرة المزارع والنباتات فعمروها حتى صارت بمرور الزمن بلاداً عامرة واطلقوا عليها اسم جمهورية اورنجه على اسم النهر الذي يفصل بلادهم عن حكومة الكاب وقد تركوا وطنهم وخيراتها للمحتلين ولم يأخذوا سوى المواشي التي هي سبب قوام الحياة عندهم على زعمهم

ثم ان فريقاً آخر منهم استوطن البلاد الكائنة في جنوب نهر لمبوبو وسموها بجمهورية الترنسوال اي ما وراء وال وهو نهر صغير يصب في نهر اورنجه واخذوا من ذلك الوقت ينافسون الانجليز في تربية المواشي وحراثة الارض وزرعها وطاب لهم هواء تلك الاصقاع ثم تولد من لغاتهم ولغات القبائل المجاورة لهم لغة هولاندية خاصة بهم وصاروا يعرفون بالبورس

وفي سنة ١٨٧٧ ثارت قبائل الكفرة على البورس فطلبوا من انكلترا المساعدة فتداخلت في شؤونهم حرصاً على البلاد التي عمروها من هجمات القبائل المتوحشة وبذلك نالت انكلترا الغاية التي كانت تسعى لها وهي وضع الترنسوال تحت حكمها ثم تداخل الانكليز في شؤونهم فقاومهم البورس

بكل جهدهم وصمموا على عدم استعمال لغتهم مطلقاً وتفاقمت البغضاء بينهم ونقموا على الانكليز حتى ابادوا معسكرهم ونبذوا احكامهم وسنوا لانفسهم احكاماً وقوانين جديدة فصبرت انكلترا على عملهم لانها لم تر فائدة في ردعهم ولان اغلب سكان رأس الرجا منهم ثم عقدت معهم في سنة ١٨٨٤ معاهدة قاضية بادارة مهام امورهم الخارجيه

ولم يمض قليل من الزمن على تداخل الانكليز في تلك البلاد حتى اكتشفوا الماس كمبرلي وذهب وستواتر سند واطلعوا البورس على كنوز اراضيهم الخصبة وما في باطنها من المعادن وفي سنة ١٨٦٧ طار خبر اكتشاف المعادن الثمينة على سواحل نهر اورانجه وفي سنة ١٨٨٢ تأسست شركة انجليزية لاستكشاف المعادن واستخراجها تحت رياسة سسل رودس وراس مالها ماية مليون فرنك فابتاعت بمبلغ ماية وتسعين مليوناً فرنكا اراض مشحونة بالالماس وقد دل احصاء ٣٠ يونيو سنة ٨٩٢ انها استخرجت في خمسة عشر شهراً اكثر من ثلاثة آلاف قيراط قيمتها نحو ماية مليون فرنك .

ولما شاع في انحاء العالم خبر اكتشاف تلك المعادن الثمينة اصبحت الترانسوال كعبة القصاد وكثر الوافدون عليها من كافة الاقطار من ذوي العلوم والمعارف ممن ضاق بهم الرزق في بلادهم فقاموا فيها باعمال جليلة نخاف الاهلون من كثرة الوفود وضيقوا عليهم الوسائل فاستنجد هؤلاء المهاجرون برئيس الشركة الانجليزية في جنوب افريقيا ببلاد بتشوانه غرب الترنسوال فهجم برجاله على الترنسوال لمساعدة الوافدين بدون مشاورة حكومته (على ما يقال) وهنالك تظاهرت المانيا بعداوة انكلترا وانجدت

البويرس على الانكليز بما ارسلته لها من المهمات الحربيه والجنود التي انزلتها سرا من خليج دلاجوا التابع للبرتغال واستمدت انكلترا للقتال الشديد* لحرصها على ابقاء سيطرتها على تلك البلاد وعدم التفريط لما سواها من الدول وذلك بالنسبة لثروتها التي يبلغ دخلها نحو الثمانية ملايين من الجنيهات وكثرة مناجمها وجودة تربتها وهوائها. وقد انتشرت فيها اللغة الانكليزية كذلك قد نشرت انكلترا حمايتها عليها الا انها لم تعد راضية ببسط الحماية فقط فهي تضمر الاستيلاء عليها آجلاً او عاجلاً . (وكانت تتأهب لمحاربتها حين طبع هذه الاسطر)

فهذا ملخص ما حصل في الترنسفال اخيراً . ثم لنرجع الى وصف حكومة الراس فنقول انها كائنة في جنوب افريقيا وتحد شمالا ببلاد الهوتنتوت وجمهورية اورانجه وجنوبا وغربا بالمحيط الاطلانطيقي وشرقاً بالمحيط الهندي ويبلغ عدد سكانها ٢ مليون وخمس ومساحتها ٨٢٠ الف كيلو ثلث سكانها من البيض والثلثان الآخران من النسل الاسود اي من الكفرة والهوتنتوت

وقاعدة المستعمرات الانكليزية بهذه البلاد مدينة الراس اوكاب تاون ويبلغ عدد سكان هذه المدينة نحو ٥٠ الف نسمة كائنة على جون صغير وهي مدينة ذات تجارة عظيمة كانت تطرقها السفن عند ذهابها الى الهند قبل فتح قنال السويس الذي اهبط شهرتها ولكن الانكليز شرعوا في اصلاحها لاعادة رونقها الذي تقلص ظله عنها حتى صارت تضاهي اعظم المدن الاوروبية ولا ريب ان طريق حكومة الكاب هو الموصل الحقيقي لبلاد الهند اذا انتشبت الحرب بين الانكليز وغيرهم ممن يمكنهم طروق قنال السويس

وقدر ان منع الانكليز عن العبور منه فهي اذن الملجأ الوحيد وقت الحاجة فلذا تراهم يحافظون عليها محافظتهم على جزائرهم ومن الثغور الشهيرة مينا اليصابات وهي مينا تجارية شهيرة ببيع الصوف والاغنام

ويوجد في بلاد الكاب معادن الفحم الحجري والذهب والماس وريش النعام والاغنام والطيور والكرم وقصب السكر وهي تصدر اغلب هذه المحصولات الى انكلترا وجزيرة موريس وبلاد الهند وتجلب من الخارج كثيراً من الانسجة والاسلحة

وقد ضمت انكلترا الى هذه البلاد بلاد الكفرة ومیناها است لندن واهل هذه البلاد قوم رحل دأبهم الصيد والقنص ومشهورون بالجراءة وشدة البأس

ناتال Natal

واما جمهورية ناتال التي هجرها البورس للانكليز فصارت ايضا من املاك انكلترا تحد شرقابالمحيط الهندي وشمالابالكفرة الحرة وغربابالترنسوال وجمهورية اورانجه وجنوبا بالكفرة الانكليزية ويبلغ مساحتها ٥ مليون هكتو متر مربع وعدد سكانها ١٥٠ الف نفس من الجنس الابيض و٣٠٠ الف من الاسود وقاعدتها بيتير ما رتسبورج ولها ثغر ناتال اودربان وسميت بلاد ناتال لاكتشافها في يوم عيد الميلاد سنة ١٤٧٨

وقد اخذ الانجليز في تحسين حال هذه البلاد وادارة شؤونها وترقية الحضارة فيها حتى صارت على نسق البلاد الاوروبية فمدت فيها السكك الحديدية واقيمت بها المدارس العالية لتثقيف عقول سكانها ويبلغ دخل هذه

البلاد سنويا خمسة مليون جنيه وقيمة الوارد اليها ٩٥ مليونا والصادر منها ١٢ مليونا من الجنيهات

وقد وضعت انكلترا في هذه السنين الاخيرة حمايتها على البلاد الكائنة على ضفاف نهر زمبزة وعلى قبائل البتشوانه وسميت هذه البلاد بالبتشوانه الانجليزيه

ولها في المحيط الهندي عدة جزائر جيدة التربة تنتج محصولات عظيمة كقصب السكر وغيره ولها تجارة مستمرة مع السفن التجارية التي تطرق جميع ثغور العالم

وهذه الجزائر هي مجمع جزائر مسقرينيا اشهرها جزيرة موريس وجزيرة رودريغه وجزائر اميرانت وجزائر سيشل وجزيرة زنجبار وجزيرة الدبرا وجزيرة سقطرا وجزيرة بريم في مدخل بوغاز باب المندب

افريقيا الشرقيه الانكليزيه ـ هذه المستعمرة تشمل جزأ من بلاد زنجبار واوغندا والسودان الشرقي وجزء من بلاد السومال والاراضي الكائنة على شواطئ بحيرتي البرت نيانزا والبرت ادوار ومن مدنها الشهيرة ممبازه وميلانده وهما في زنجبار

الاوغندا Uganda

واما بلاد الاوغندا الكائنة بين بحيرة فيكتوريا والبرت نيانزا والبرت ادوار فهي من اعظم بلاد افريقيا خصوبة كثيرة الغابات والاجمات معمرة بالحيوانات على اختلاف انواعها سيما الفيلة وتنتج اراضيها محصولات وافرة منها الدخن والذرة والارز والحنطة والبطاطا والمانجه والموز وهذان الصنفان كثيران

فيها كثرة تفوق حد الوصف والمعيشة فيها سهلة جدا ومتوفرة والجنود المعسكرة بها ستة الف من الجنود السودانيه وهم بقايا القوات العسكرية التي كانت تحت تصرف امين باشا حاكم خط الاستواء وقد دخلوا في خدمة البلاد بتصديق الحكومة الانكليزيةوقد وفد الاوغندا الرحالة الشهير ستانلي ووصف اهلها وهم على الحالة الهمجية بوصف غريب واخذ يعلمهم على الحضارة واسباب المعاشرة وفوائدها ولما طرقها الانكليز شرعوا بترقيتها وتدبير شؤونها ومد الخطوط الحديدية في انحائها فلم يمض عليها خمس سنوات حتى ظهرت فيها آثار التقدم والارتقاء بما لم يخطر على بال احد من قبل ويعد الآن اهلها في مقدمة الامم المتمدنة بافريقيا بعد الديار المصرية .

وتبلغ مساحة الاوجندا ٩٠ الف ميل مربع وعدد سكانها نحو مليون من النفوس وعاصمتها (مانجو) وهي المركز العام للبعثات البرتستانتية

ومن املاك انكلترا بتلك الجهة (وادلاي) وهي عبارة عن مديرية خط الاستواء واول السودان المصري من جهة اوغندا . والانكليز شارعون في تحصينها وتشييد القلاع بها وقد قررت انكلترا (في اثناء وضع هذا الكتاب) مدّ الطريق الحديدية من الاوغندا الى البحر لايصالها بسكة حديد الخرطوم عند اتمامها فيمكن بهذه الواسطة السفر من سواحل افريقيا الشرقية الى مصر والعكس بالعكس

ثم ان احسن بقعة بين املاك انكلترا في شرقي افريقيا تصلح لاقامة الاوروبيين هي بلا شك الاراضي الممتدة بين كيكيو وبين ممباسيا وناندي على مسافة ٦٥٠ ميلاً من البحر وذلك لكونها هضبات عالية مرتفعة كثيراً

عن سطح البحر ومع ذلك فان حركة العمل كانت (حين وضع الكتاب) قليلة جداً وانكلترا شرعت لان تنشيء فيها شركات زراعية مع توفير وسائل المواصلة والنقل في انحائها ومتى تم ذلك وجدت تلك البلاد مستقبلاً سعيداً

ولانكلترا ايضاً بافريقيا على ساحل خليج عدن (بربره) و (زيلع) وهي موانى حربية كائنة على هذا الخليج في مدخل البحر الاحمر ولها ايضاً عدا عن ذلك البلاد الكائنة على شواطىء بحيرتي تنجانيكا ونياسا وقد اخذت في التقدم غرباً وجنوباً وفي كل جهة تجاور املاكها لاكتشاف اراضٍ مجهولة ووضع اليد على كل بقعة متروكة في قارة افريقيا العظيمة

« السودان » Soudan

السودان بلاد بعيدة المدى واسعة الارجاء تقرب من ثلث مساحة اوروبا واقعة بين وادي حلفا شمالاً واوغندا جنوباً وصحراء ليبيا وودّاى والكونغو غرباً والحبشة والصحراء الكائنه على ساحل البحر الاحمر شرقاً .

وارض السودان صحارٍ محرقة وسهول متسعة كثيرة الغابات قليلة النبات لا يكاد مزروعها (لحين وضع الكتاب) يفي بحاجة اهليها . ألاّ ان فيها ملايين من الافدنة على ضفاف النيل الذي يمر بها يمكن استثمار حاصلاتها كذلك فيها اراض كثيرة لم تستخرج للآن كنوزها ومعادنها وبها النيل الازرق الذي شبّههُ بعض الخبيرين باحسن انهار اوروبا لأن شواطئه جيدة التربة وغاباته اخصب الغابات .

ثمَّ ان الجهة الشرقية من السودان اراضٍ قابلة للزراعة تشمل الموانى العظيمة التي اشهرها الآن سواكن ومصوع والعقيق وكلها مشهورة بما يردِ اليها من داخل السودان من المحصولات

سكان السودان ـ ويبلغ عدد سكان السودان المصري الانكليزي ١٥ مليوناً من النفوس اكثرهم الزنوج ويليهم الدراويش فالعرب فالبرابرة وهم مختلفو الالوان بين سود وصفر وحمر وخضر كسكان اميركا . ويقدّر السكان من فشوده الى الاوغندا باثني عشر مليوناً بعضهم مسلمون وبعضهم وثنيون . اما السكان ما بين فشوده وحلفا فكلهم مسلمون لانهم من قبائل العرب التى استوطنت هذه الجهات من قديم الزمان ومن جملة هؤلاء سكان اهالي كردوفان ودارفور ويقدّر عددهم بنحو ثلاثة ملايين نفس . هذا وإنَّ لغات

السودانيين تختلف باختلاف البقاع الا ان اللغة العربية أكثر اللغات شيوعاً يتكلم بها الذين يقطنون بالقرب من ساحل البحر الاحمر والمدن العظيمة .

السودان قديماً . وقد تبعت السودان في سالف الازمان فراعنة مصر والاثيوبيين (سكان الحبشة) ودخلتها النصرانيه مابين القرن الرابع والخامس بعد الميلاد ثمّ تلتها الديانة الاسلامية بدخول العرب اليها في القرن الثامن واستيلائهم على حوض النيل . ثمّ عادت تتبع الحبشة تارة والحكومة المصرية أخرى الى أن شغلت الحروب الداخليه كلا من هاتين المملكتين فاستقلّت وانقسمت الى قبائل وشعوب تحكمها مشايخ يختارون باجماع الآراء ولكن البغضاء وقعت بينهم بتوالي الايام وعاد حكام مصر يشنون عليها الغارة من وقت لآخر حتىّ استولى عليها المغفور لهُ محمد علي باشا كبير العائلة الخديوية فنظّم احوالها وانشأ بها المصالح والنقط العسكرية واستخرج من جبالها بعض المعادن سيما من دارفور وسنار ثم قسمها الى حكمداريات ومديريات وارسل اليها الجنود المنظمة .

وكانت اهم هذه المديريات الخرطوم وسنار ودارفور وكردوفان وفيزغلي وبربر ودنقله ثمّ حكمدارية شرق السودان وكانت تشتمل على مديريات التاكه وسواكن ومصوع

وكانت مدينة الخرطوم عاصمة لهذه الملحقات العظيمة

وما زالت السودان تابعة الحكومة المصرية حتى ظهرت فيها الثورة المشهورة واشتعل نارها بمدينة الخرطوم حتى طار شرارها شرقاً الى سواحل البحر الاحمر وحدود الحبشة وغرباً الى كردوفان ودارفور وجنوباً الى قشوده

وما جاورها

وكان اهم اسبابها منع النخاسة والاتجار بالرقيق الذي كان عليه مدار كسب اكثر كبراء البلاد ثم اعتلال النظام بتثقيل الاهلين الضرائب الفادحة وجور الحكام واستبدادهم الى غير ذلك من الاسباب الداعية لرفع نير الحكومة الظالمة عن الرعية المظلومة فتمرّد السودانيون وقتئذٍ وصاروا يشنون الغارة على القبائل المجاورة لهم وخرج اكثر القبائل الموالية للحكومة عن طاعتها فرأت ان توجه لتلك الاقطار شهيد الخرطوم الجنرال تشارلس غوردون وكان هذا بطلاً مغواراً ومن اعظم الرجال عزماً واقتداراً . تعين حكمداراً عاماً للسودان في سنة ١٨٧٩ بعد ان تولى حكمدارية خط الاستواء فالفى البلاد في هذه المرة الاخيرة مختلة معتلة خالية من العساكر اللازمة لانها ارسلت مدداً لمساعدة الدولة العلية في حربها الاخير مع الروس .

فأخذ غوردون يسعى جهده لاطفاء لهب الثورة الذي اشتعل بدارفور حتى طار الى الخرطوم وكان الموقد لها يد الزبير فانه كان يراسل ابنه ورؤساء القبائل سراً ويحضهم على شق عصا الطاعة على الحكومة المصرية إلا ان غوردون تدارك ذلك في بدء الامر بحكمة وبدون سفك نقطة دم لكنه اضطر فيما بعد لارسال قوة لقتل ابن الزبير وحكم على والده بالاعدام الا ان الحكومة عفت عنه ثم استأنف غوردون جميع همته الى منع تجارة الرقيق بشدة وقسوة واستمرّ على ذلك الى ان آلت الخديويه المصريه الى المغفور له محمد توفيق باشا فارسلت الحكومة من قبلها غوردون الى الحبشة في مهمةٍ وعاد بعد قضائها الى انكلترا ثمّ سار منها الى الهند فرأس الرجاء الصالح فبلاد سوريه

وعين بعده حكمداراً عاماً على السودان محمد رؤف باشا إلا انه لم يوفق على السير في طريق الاحكام الواجب اتباعها في مثل تلك الظروف وفي مدته ثارت الثورة الكبرى في السودان بثورة عرابي مصر وتمرّد النخاسون فلم توفق وقتئذٍ الحكومة الى تدارك احد الشرين لما كانت عليه من الفوضى المشهورة في داخليتها

واستمر الحال على ذلك الاضطراب حتى استفحل امره بظهور المتمهدي محمد احمد واعلان دعوته وبث رسله في سنة ١٨٨١ ينذرون بانه أرسل من قبل المولى ليحكم بالعدل والانصاف ويقيم شعائر الدين فشايعه من شايع وساعدته الاقدار واجتمع حوله الجم الغفير ممن ارادوا خلع نير الحكومة حتى تكوّن عنده جيش عرمرم وقد اعتبرت تلك السنة بدء الثورة السودانيه

ولما بلغ ذلك رؤف باشا لم يكترث به بل ارسل اليه شرذمة من الفرسان ليحضروه بين يديه فقتلهم المهدي ولم يرجع منهم مخبر . فصار بعد ذلك يرسل السريه وراء الاخرى والجيش بعد الآخر الى ان استفحل امره بجزيرة ابا على جنوب الخرطوم وهي منبع الثورة وازدادت اشياعه وطار صيته فالتجأ بعد هذه المناوشات لجبل الغدير بشمال فشوده من جهة الغرب . ثم عمت الثورة جميع انحاء السودان وصدرت الاوامر الى رؤف باشا بالرجوع الى مصر وعين مكانه عبد القادر باشا حلمي فنظم الجيوش ورتبها ترتيباً حسناً وارسلها لقمع الثوار ولكن العرب عاثوا فساداً في الارض وقطعوا الاسلاك البرقيه ورفعوا نير الحكومة عن عاتقهم فكسر عبد القادر باشا شوكة العصاة على ضوافي النيل الازرق وشتت شملهم وفرق جمعهم الا انه بلغه وقتئذ

خبر الثورة العرابيه وتفرق الكلمة المصريه فزحف المهدي يريد الخرطوم
كانه سمع بانشغال الحكمدار بعصائب وطنه وكان جيشه يتجاوز الستين الف
فارس وراجل فحصن عبد القادر باشا الخرطوم حتى صارت امنع من عقاب
الجو وحفر حولها خندقاً أجرى فيه الماء حتى صار كترعة موصلة النيل الازرق
بالابيض وفي اواخر ابريل سنة ٨٢ سار القائمقام ستورت الى الخرطوم ليرفع
للحكومة تقريراً عن حالة السودان بالدقه وكان المهدي قد امتلك في ذلك الوقت
كردوفان وبينما كان عبد القادر باشا يتأهب لمحاربته واخضاعه اذ جاءه الامر
بالرجوع الى مصر وتعيين علاء الدين باشا مكانه ثم جاء هكس باشا واستلم
قيادة الجيوش في سنة ٨٣ وكان معه اكثر ضباط الثورة العرابية وعسكرها
فسار بهم الى الدوير وعرج منها الى شركلة التي يقيم بها الآن التعايشي ولم
يترك في الجهات التي كان يمر بها من يرجع بخبره فخانه الدليل حتى اوقعه في
وسط عسكر العدو في تلك البوادي فقتل ومن معه ولم ينجُ منهم احد وقد
اختلفت الرواة في تفصيل هذه الحادثة المفجعة وطار في اقاصي السودان خبر
هذا النصر فخرج السودانيون جميعاً عن طاعة الحكومة وقتلوا حاميات كسلا
وسنار وبربر وابو حمد ودنقلا وعمَّت الثورة جميع السودان وفتك العرب
بموظفي الحكومة حتى زادت النيران تأججاً فارسلت الحكومة الانكليزية
غوردون باشا الى الخرطوم ثانياً وأمرته بابداء رأيه بالوسائل اللازمة لتدارك
الامر بالتي هي احسن ولكن ذلك لم يجد نفعاً لان الثورة كانت قد انتشرت
سريعاً وعمت فأُمرَ غوردون بسحب الجيوش المصريه إلا ان الاعداء احاطت
به من جميع الجهات وحاصروه في الخرطوم بعد ان أستولوا على جميع الطرق

والمنافذ فارسل الرسل الى انكلترا ومصر الواحد وراء الآخر وصار يراسل المهدي ويعده بالعفو عنه وتقليده مهام الاحكام في دارفور وكردوفان وبمنحه ومنحه امتيازات كثيرة ولكن لم تأت هذه الوعود بفائدة لان المهدي اعدّ جيشاً جراراً حاصر به الخرطوم فزادت البلوى واستغاث غوردون فلم يُغث فتهدد الحكومة الانكليزية مراراً حتىّ امرت اللورد ولسلي ان يذهب لخلاصه وخلاص من معه فسار ولسلي بحملته المشهورة ولكن كان الامر قد قضي تماماً فاستولى المهدي على الخرطوم وما جاورها وصدرت حينئذٍ الاوامر لولسلي بالرجوع وسقطت الخرطوم قبل وصوله بيومين فاصبح السودان كله في قبضة المهدي وجماعته حلفا آخر الحدود المصرية وبينما كان يعد جيشاً للاغارة على مصر أُصيب بالتيفوس وتوفي ودفن بام درمان وخلفه عبدالله التعايشي زعيم الثورة الآن وكان مشيره الاول بل المحرك له الى ادعاء المهدوية ومناوأة الحكومة المصريه والتظاهر بمظاهر الملك والسودد فانضوى تحت لوائه سكان السودان عموماً مبعوثين على ذلك بالحس الديني فارهب البلاد بسطوته واستبدّ في احكامه وظلم الاهالين ما استطاع واجرى من الفظائع ما يعجز القلم عن وصفه واستمر على طغيانه حتى عمّ الاضطراب كافة الانحاء وفقدت البلاد سكانها بتوالي الحروب واستمرار القتال فأوى اليها الوحوش الضواري واصبح نصيب الاراضي الخصبة الواقعة على ضفاف النيل اليانعة الزاهرة بالمزروعات المختلفة والبساتين النضرة البوار والاقفار

وقد سارت الحكومة على سياسة الحزم والتدبير مدة ١٤ عاماً كانت تستبضع فيها اخبار الدراويش وتسعى بالنصر عليها باقل ما يمكن من اراقة

الدماء وكان قلم مخابرات نظارة الحربية المصرية يتخذ بهمة مديره « ونجت باشا » ووكيله « ملحم بك شكور » كل الوسائط لما فيه الوقوف على مراكز العدو وقوته وحركاته وقد جاء ايضاً خلاص سلاتين باشا مساعداً كبيراً لاطلاع الحكومة على ما يعلمه عن المهدي ودراويشه (وقد وصف هذا السودان عن الزمن الذي قضاه اسيراً عند المهدي في كتاب سماه « النار والسيف في السودان »

وفي سنة ١٨٩٦ اقرّت الحكومه على فتح السودان كله وتخليصه من نير الظلم والتوحش واشتركت في المحاربة الجنود المصرية والانكليزية وتتابعت الحملات على السودان في النيل وفي البر وجرت مواقع عدة كان النصر فيها حليف الجنود المصريه والانكليزيه ومن هذه المواقع

معركة فركة وسواردة في ٧ يونيو سنة ١٨٩٦ قائدها الجنرال كتشنر باشا وعدد جنوده ٦٠٨٠ والدراويش ٣٥٠٠ . ثم معركة دنقله في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٦ قائدها الجنرال كتشنر باشا وعدد جنوده ٦٠٠٠ والدراويش ٣٠٠ ثم معركة ابي حمد في ٧ اوغسطس سنة ١٨٩٧ وكان قائدها هنتر باشا وعدد جنوده ٣٥٠٠ والدراويش ٧٠٠٠ . ثم معركة الاتبره في ٨ ابريل سنة ١٨٩٨ قائدها كتشنر باشا وعدد جنوده ١٣٠٠٠ والدراويش ١٩٠٠٠ واخيراً معركة ام درمان في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ قائدها كتشنر باشا وعدد جنوده ٢٢٠٠٠ والدراويش ٤٠٠٠٠

وتعد هذه الواقعة الاخيرة في مصاف الوقائع التاريخية الكبرى واليك ملخص وصفها عن « المقتطف الاغر »

« بعد ان تغلبت الجنود المصرية والانكليزية على جنود الدراويش في عكاشة وفركه وسواردة ومدت سكة الحديد حتى بلغت مدينة بربر ففتحتها ثم نازلت الدراويش على الاتبرة وانتصرت عليهم وأسرت اميرهم · عاودت الزحف على ام درمان في صيف ١٨٩٨ حيث سهل سير السفن الحربية فيه وعبورها من شبلوكة وكانت الرايات الانجليزية تخفق بجانب الرايات المصرية والاساطيل النيلية تسابق الجنود البرية الى ان انصرم شهر اغسطس وحينئذ وصلت الاساطيل الى جزيرة توتي وهي بين الخرطوم وامدرمان واطلقت عليها القنابل في غرة سبتمبر وخربت حصونها وحصون ام درمان وهدمت قبة ضريح المهدي ولكنها لم تضعف عزائم اتباعه

وصباح يوم الجمعة وهو الثاني من سبتمبر تقدمت الجنود المصرية والانكليزية الى ام درمان فوجدت جيوش التعايشي مصطفين يتقدمون الى القتال وطول مقدمتهم اكثر من ثلاثة اميال ويزيد عددهم على خمسة وثلاثين الفاً من الابطال بين فرسان ومشاة فحملوا على الجنود المصرية والانكليزية حملات صادقات ورصاص البنادق يحصدهم حصدا وهم لايلوون اعنة خيلهم ولا يحسبون للموت حساباً الى ان فني نحو عشرة آلاف مقاتل منهم وامتلأت الارض بقتلاهم وتقدم السردار قاصدا ام درمان لكي يمنعهم من الرجوع اليها والامتناع بها وحاول التعايشي حينئذ ان يخترق الجناح الايمن فقوبل من جنوده بعزم شديد وجاش رابط واطبقت الجنود المصرية والانكليزية عليه فمزقت شمل اتباعه فولوا مدبرين لا يلوون على احد ونجا هو بنفر قليل من اتباعه بعد ان قتل اكثر رجاله وانصاره

اما السردار فاحتل ام درمان عصارى ذلك اليوم بعد ان قاومه من فيها من جنود التعايشي مقاومة قليلة · واخلى سبيل من فيها من الاسرى وهم من امم مختلفة بين مصريين واوربيين وسوريين واحباش · وقد قدرت خسارة الدراويش بعشرة آلاف وثمانمئة قتيل عدا المئات الكثيرة من الذين قتلوا في ام درمان وعدد جرحاهم بنحو ستة عشر الفاً والباقون أخذوا أسرى

وقتل من الجيش الانكليزي ضابطان و ٢٧ عسكرياً وجرح ٧ ضباط و ١٠٣ من العساكر · ولم يقتل احد من ضباط الجيش المصري ولكن جرح ستة من ضباطه الانكليز و ١١ من ضباطه الوطنيين توفي واحد منهم بعد ذلك · وقتل ٣٠

من صف الضباط والعساكر وجرح ٢٧٩ . وقتل مكاتب من مكاتبي جريدة التيمس وجرح الآخر

ويوم الاحد في الرابع من الشهر دخل السردار الخرطوم واحتفل احتفالا بهيجا باسترجاعها وبذكر غوردون باشا الذي قتل فيها ورفع عليها الراية الانكليزية بجانب الراية المصرية

وسار بعد ذلك باورطة من الجنود المصرية ونحو مئة من الجنود الانكليزية الى مدينة فشودة على النيل الابيض جنوباً ثم عاد منها في الثالث والعشرين من سبتمبر وكتب يقول انه رفع عليها الراية المصرية وابقى فيها حامية من جنوده . ثم سار في البحر الابيض جنوباً حتى وصل الى سوبات على ٦١ ميلا من فشودة فاقام فيها حامية اخرى ورفع الراية المصرية عليها ولقي في فشودة ضابطاً فرنسوياً اسمه مرشان وطلب اليه ان يأتي معه الى الخرطوم فابى مالم ترسل اليه دولته تأمره بذلك فتركه فيها

وكاد يقع الحرب بين انكلترا وفرنسا على احتلال فشوده حتى انجلت حملة القائد مرشان عنها وانحسم الخلاف بينهما بنوال الثانية منفذاً على النيل عوّض عليها خسارة البلاد التي احتلها مرشان بعد رحلة ثلاثة اعوام كافح فيها انواع الصعوبات .

وقد اكبر الانكليز واقعة ام درمان ورفعوا شأنها وكافأوا السردار كتشنر باشا ومن شاركه في هذا الفوز من الضباط الانكليز مكافأة عظيمة جلبت لهم الفخر والثروة .

وبفتح ام درمان تقوّضت اركان المهدويّة وبسطت انكلترا سلطانها على السودان الشرقي . بحق الفتح لاشتراك جنودها مع الجنود المصرية وبحق ان هذه البلاد من املاك الحكومة المصرية الوصيه هى عليها

السودان حديثاً وقد وضع السودان من يوم افتتاحه تحت الاحكام العرفية

وعين له السردار كتشنر باشا حاكماً عاماً وخوّلت له الحرية المطلقة في تصرفاته واحكامه فلا تتداخل حكومة انكلترا او الحكومة المصرية الا في ظروف طارئة وقد شرع هذا الحاكم في تقسيمه الى ست مديريات وهي دنقله وبربر والخرطوم وفشوده وسنار وكسلا وتقسمت هذه المديريات جميعها الى واحد واربعين مركزاً وتخصص لكل مديرية منها محافظ او مدير انكليزي برتبة قائمقام او اميرالاي من الجيش المصري ويتعين لكل مركز مأمور مصري ومعه چاويش انكليزي وهكذا اصبحت حكومة السودان الجديدة انكليزيه مصريه

وقد نوت انكلترا الخير العظيم لهذه الاصقاع المحرقة لما كان لها فيها من الآمال العظيمة وسعت لان تمد الحضارة في تلك الصحاري الشاسعه التي كان يشغلها المتوحشون والهمج وقد بدأ الحاكم العام في مشروعه هذا العظيم بأن اتى بالمهندسين من الانكليز لتخطيط مدينة الخرطوم فخططوا شوارعها وميادينها وجعلوا عرض الشارع فيها لا ينقص عن ٥٠ متراً

ثمّ وزعت الاراضي على شركات انكليزية لتبنيها ويظن انه لا يمضي حين من الزمن إلا وعاصمة السودان الجديدة اعظم سوق في افريقيا تساق اليها اصناف التجارة وانواع المحصولات من كافة الانحاء وقد تقرر ان يشيد بها دار علوم كبرى لتعليم ابناء السودانيين سميت بكلية غوردون وضع حجر الزاوية فيها اللورد كرومر معتمد انكلترا السياسي في مصر وقد جمعت لها الاموال من اكتتاب افتتحه اللورد كتشنر اثناء وجوده في لوندرا فلباه وقتئذٍ الانكليز على اختلاف طبقاتهم واظهروا الاهتمام بهذا المشروع العظيم وجادوا

بسخاء وكرم حتى جمع لها في مسافة قليلة نحو المائة الف جنيه

وقد تقرر ايضاً ان يكون في الخرطوم مركز الحكومه السودانيه ودار حكمدار السودان وسائر مصالح الحكومة والادارة وتكون ام درمان مدينة الجيش فتقيم العساكر المصرية والسودانية والانكليزية فيها ثم تنشأ مع مرور الايام مدينة ثالثة غير الخرطوم وام درمان يسكنها الاهالي والتجار واصحاب الاشغال ويكون موضعها على الضفة الشرقية من النيل

وقد فرّ الخليفة بعد فتح ام درمان بمن بقي من رجاله وعددهم لا يزيد عن السبعة آلاف مقاتل في بوادي السودان قلق البال وفي اشد اضطراب يجمع اليه ما استطاع من العربان الضاربين بعد شركيله .

وقد ظن البعض بان لا قائمة تقوم له بعد ذلك الانكسار وأنّ اتباعه لا بد وان يتركوه سعياً وراء الرزق . بيد ان الحكومة كانت ترى بعض الخطر في تركه وشأنه في السودان مطلق السراح وحجر عثرة في سبيل كل مشروع تظن وراءه الخير لتلك الاصقاع ولذلك كان السردار ساعياً (لحين طبع هذه الاسطر) لتجديد الحملة عليه واقتفاء اثره . ومتى تمّ ذلك مهِّدَ السودان باكمله وفاز كل ذي امنية بأمنيته » (والله اعلم)

احتلال الديار المصرية

British occupation in Egypt.

مصر ليست من المستعمرات الانكليزية وانما هي بلاد احتلها الانكليز مضطرين وهم على زعمهم لا يقيمون بها الا الزمن الذي يلزم وكما يلزم ولكنهم لم يحددوا جلاء جنودهم عنها في أجل مسمى

وانما استطردت الى ذكرها نظراً لما هو قائم لهم عليها من السيطرة العظيمة ولكون مصلحتهم فيها اعظم من مصالح دول اوروبا ولكون هذه البلاد بمركز جغرافي جعلها جديرة باحراز خيرات التجارة العميمة حتى صارت مجازاً لاوروبا ومستودع صناعتها وتجارتها وماليتها ومفتاح البلاد الافريقية العظيمة

فاذا ضربت بطرفك ايها القارئ على خارطة افريقيا وصوبته نحو الشمال الشرقي منها ترى دياراً تروق الناظر بخضرة اراضيها وتسر الخاطر بنضرة مراعيها حلو ماؤها لطيف هواؤها مشهورة باعتدال اقليمها واعتلال نسيمها وخصوبة تربتها فهذه هي مصر التي كانت في سالف العصر من اعظم دول الارض تقدماً وحضارة واقواها شوكة واغزرها ثروة حتى كانت منبع العلوم والمعارف والصنائع والطرائف فيها التالد منها والطارف يخترقها نهر النيل السعيد وهو ينبوع ثروتها لان الطمي الذي يرسب من مياهه فوق التربة الاصلية يصيرها ذات خصوبة عجيبة فقد دل الاحصاء ان مساحة الاراضي الزراعية فيها ينيف عن خمسة ملايين من الافدنة وذلك لانتظام الري في انحاءها بعد سنة ٨٣ وسيره على منهج النجاح والتقدم

ويحد هذه الديار شمالاً البحر الابيض المتوسط وشرقاً البحر الاحمر وقنال السويس وجنوباً السودان وغرباً صحراء ليبيه وبرقه ٠

ويبلغ عدد سكانها نحو العشرة ملايين نفس وعاصمتها مدينة القاهرة يقطنها ما ينوف عن النصف مليون نفس وهي على الضفة الشرقية للنيل واعظم مدن القارة الافريقية مدنيةً وحضارة تشمل من الابنية الفاخرة والاماكن الشاهقة واللوكاندات العظيمة والمنتديات العمومية ما جعلها تضارع المدن الاوروبية الكبيرة ويتقاطر اليها الاغنياء والسياح في فصل الشتاء زمراً وافواجاً ومن كافة الاقطار

وتليها مدينة الاسكندريه وهي مصيف الخديوي وميناء عظيمة من اقدم موانى العالم واشهر من ان تذكر ٠ ثم ثغرا رشيد ودمياط على البحر الابيض المتوسط والسويس على بحر القلزم شهيرة من قديم الزمان لوقوعها بين قارتى اسيا وافريقيا ٠

ومن مدن الوجه البحري الشهيرة طنطا ويقام بها اسواق عظيمة في اوقات معلومة كل سنة ثم مدينة الزقازيق والمحله الكبرى وكفر الزيات ودمنهور والمنصوره وبها معامل عظيمة لحليج القطن

واما مدن الوجه القبلي فاشهرها اسيوط ويصنع بها العاج وسن الفيل وكانت لها تجارة عظيمة مع السودان قبل الثورة المشهورة ثم المنيا وبني سويف والفيوم وقنا واسنا

ولقنال السويس اهمية عظمى عند دول الارض لانه كائن بين ثلاث قارات وواقع على طريق الهند فمنه تسير جميع السفن الحاملة لمحصولات البلاد

الاسيوية السحيقة القاصدة البلاد الاوربية وكذا تعبر منه السفن الآتية من البلاد الاوروباوية مشحونة بمصنوعاتها ومحصولاتها لتذهب الى المستعمرات الكائنة بآسيا والاوقيانوسيه ومرور هذه السفن من هذا القنال انما يقرب الطريق الاصلي بمسافة ٣٠٠٠ فرسخ لان السفن بعد ان كانت تطوف حوالي غربي افريقيا فرأس الرجاء الصالح ثمَّ تقطع المحيط الهندي لتصل الى بلاد الهند صارت تقطع هذه المسافة فقط بمرورها من جبل طارق وترعة السويس فباب المندب حتى تصل الى الهند وغيرها من المستعمرات . وقد قال احد السياسيين عن هذه الترعة ان حفرها عاد على فرنسا اعظم شرف وعلى مصر اثقل النفقات وعلى بريطانيا اكبر فائدة .

وفي الواقع فان اكثر من ثلاثة ارباع السفن الحربية والتجارية التي تعبر من هذا القنال رافع اللواء الانكليزي واغلبها يقصد المستعمرات الانكليزية ببلاد الهندستان ويقدر ان انكلترا اكتسبت من ايراده الى الآن نحو ٢٥ مليوناً من الجنيهات ثم ان تجارة مصر مع انكلترا اوسع من تجارتها مع غيرها من الدول وليس ذلك منذ احتلالها مصر بل كان ايضاً سابق احتلالها فان لها اكثر من ثلاثة اخماس تجارة البلاد كلها .

فمصر والحالة هذه جديرة باحراز خيرات التجارة العميمة وهذا ما اوجب طموح الانظار اليها واقبال الاجانب عليها من كل جانب طلباً للتجارة والمكسب فخالطوا اهلها لاستعدادهم طبعاً لحسن المخالطة والمعاشرة مع سائر الاجناس ففتحت الترع على ايديهم ومدت السكك الحديدية باحوالهم فصار لهم على المصريين حقوق لا تنقضي الا بانقضاء الدين الوافر الذي حصلت بسببه المشاكل

في آخر حكم المرحوم اسماعيل باشا (ابن ابراهيم باشا وحفيد محمد علي باشا الكبير رأس العائلة الخديوية) ذلك ان الدين كان في اول حكمه لما استوى على الاريكة الخديوية ثلاثة ملايين جنيه فزاد الى مائة وعشرة مليون جنيه في ختام ١٨٧٨ وكان هذا سبباً للخلاف بينه وبين دولتي انكلترا وفرنسا وقد انحسم هذا الخلاف بتوجه الخديوية الجليلة الى نحو المغفور له الخديوي محمد توفيق باشا ولي عهده فشكلت لجنة التصفيه وسويت الادارة الماليه واحدثت المراقبة الثنائية فاستقرت الاحوال وانتقت البلاد من العسر الذي الم بها غير انه لم يترتب على المراقبة الثنائية سياسياً ما ترتب عليها من الاثر الطيب مالياً فان الاضطرابات الداخلية كانت تزداد يوماً عن يوم حتى استطار شرارها في شهر فبراير سنة ٨١ وسبب ذلك ان الضباط المصريين كانوا رفعوا عريضة الى الحكومة يشكون بها من السير المتبع وقتئذ في تقديم وترقي الضباط لان الرؤساء كان اكثرهم من الجراكسة والاتراك وكانوا يجنحون بالطبع الى رفع بني جلدتهم لحفظ سلطتهم وخفض المصريين كيلا ينافسوهم فلم تجب النظارة على هذه العريضه فكتبوا عريضة ثانية وكلف كل من الاميرالاي احمد عرابي وعلي فهمي وعبد العال برفعها الى رياض باشا فأمر هذا بالقبض عليهم وسجنهم ولما بلغ ذلك الى الحزب المصري اتحدوا على أنه ان لم يرجع اليهم الثلاثة اميراليات قبل ظهر اليوم المحدد لرفع العريضة يهجم مائتان من الجند على السراي ويستخلصوهم ولما جاء الوقت المضروب لذلك ولم يحضر الثلاثة المذكورون دخل العسكر السراي وخلصوا احمدا عرابي وعلي فهمي وعبد العال من الاسر ولما لم يستطع المغفور له الخديوي توفيق باشا مقاومة الجند عزل ناظر

الحربية عثمان باشا رفقي وهو احد الجراكسة الذين احتكروا وظائف الجهادية العالية وعين بدلاً عنه محمود باشا سامي البارودي ومنح احمد عرابي رتبة باشا فذاعت سمعته من ذلك الحين وكثر صحبه وحزبه وامتدّت سطوته ونفوذه في البلاد

وفي ٥ سبتمر سنة ٨١ حاصر احمد عرابي سراي عابدين باربعة آلاف جندي وطلب من الخديوي سقوط الوزارة وتشكيل مجلس الاعيان وسن قانون نظامي وزيادة عدد الجيش فابتغاء مرضاتهم انتدب شريف باشا لرئاسة مجلس النظار ووعد ضباط الجيش بمنحهم كثيراً من الامتيازات وكان ذلك بناء على مشورة قنصل انكلترا ومندوب فرنسا

وبعد قليل من الزمن طلب مجلس النواب ان يكون له حق النظر والمداولة في ميزانية الحكومة وكان ذلك بايعاز احمد اعرابي وفي هذه الاثناء استعفى شريف باشا فقبل منه استعفائه وتعين محمود سامى بدله وترقى احمد اعرابي فصار ناظر الجهادية وبعد ذلك بعدة وجيزة وقع الشقاق بينه وبين الخديوي وعظم هذا الشقاق حتى طلب اعرابي من مجلس النواب خلع المغفور له توفيق باشا وتولية حليم باشا بدله

ولما رأت الحكومة الانكليزية والفرنساوية اعتداء اعرابي على حقوق الخديوية المصرية طلبتا طرده واخراجه من الديار المصرية فأبى اعرابي ان يكون اخراجه بطريق السياسة والاكراه ولذا ارسل عريضةً يطلب بها استعفاءه لانه عدّ تداخل انكلترا وفرنسا تطفلاً منهما واعتداء على حقوق الدولة العليّة وقد لبث الاضطراب الداخلي مدة مديدة حتى ان اكابر

المصريين ووجوههم من ملكيين وجهاديين اعلنوا للمغفور له توفيق باشا انهم لا يعترفون الا لسلطة الباب العالي وحده دون اية دولة اخرى وقد كتب بهذا الخصوص احمد اعرابي رسالة للمستر غلادستون صرّح فيها ان اول قنبلة تخرج من البوارج الانكليزية على مصر تكون موجبة لفسخ جميع المعاهدات والاتفاقات الدولية ومما ذكر في هذه الرسالة قوله : .... « ولتحقق انكلترا باننا عازمون على المحاربة حتى نموت شهداء بلادنا كما امرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم » « او نظفر على اعدائنا ونعيش متمتعين بالاستقلال والسعادة وفي كلتا الحالتين فان السعادة موعودة لنا واسيء شعب كان ذلك اعتقاده وتلك وجهته فان الله يعطيه البسالة والاقدام »

وقد ارسل ايضاً في ذلك الحين احمد اعرابي الى كافة المديرين اوامر مشددة يحرضهم فيها على المقاومة والقتال حتى الموت اذا شبت الحروب بين المصريين والانكليز وان من يخالف ذلك يكون جزاؤه الاعدام

وفي هذه الاثناء اتحدت الدولتان الفرنساوية والانكليزية على ارسال بوارجهما الحربية الى ثغر الاسكندرية لابداء مظاهرة حربية تلقي الرعب في قلوب الاهلين الا ان تركيا عارضت في ذلك وقالت ان هذا العمل مجحف بحقوقها وفي الحال ارسلت الى مصر مندوباً من طرفها يدعى درويش باشا لينظر في حالة القطر ويرفع تقريرا عنها .

وفي ١١ يونيو سنة ٨٢ حصلت مشاجرة بين المالطيين والمصريين فذبح بعضهم البعض ودار الضرب والطعن والقتل والسلب والنهب وهاج الناس وعظم الاضطراب حتى ذبح كثير من الاوروبيين والاهلين وجرح فريق

كبير من الطرفين

هـذه هي الحادثة الفظيعة والمذبحة الشنيعة التي ماكاد ان يطير خبرها الى اوروبا حتى افعمت البوارج الثغور والمواني من الاسكندرية وبورتسعيد.

وفي شهر يوليه سنة ٨٢ لاحظ سيمور اميرال البوارج الانكليزية الراسية بثغر الاسكندرية تأهب الاهلين وتسلحهم وتحصين القلاع والحصون فارسل حالا الى طلبه باشا محافظ الثغر وقتئذ انذاراً يعلن به

اولا. بايقاف ذلك التأهب والاستعداد

وثانياً بتسليم القلاع كي يجردهامن مدافعها واسلحتها وآلاتها الحربية وقال انه انلم يجب طلبه يأمر باطلاق المقذوفات على ثغرالاسكندرية ولما لم يجب طلبه محافظ الثغر حاصر الاميرال المذكور ثغر الاسكندرية حصارا حربياً وجرد فرقة من العساكر امرها بالاستيلاء على كافةالمواقع الحربية ثم صوَّب مدافعه على الثغروشرع يطلق المقذوفات النارية على الاسكندرية حتىاشتعلت دورها واحترقت معاهدها ودمرت تدميرا وكانت اول طلقة خرجت من البوارج الانكليزية في يوم ١١ يوليو سنة ٨٢ وبعد هذه الحادثة المشؤومة انحاز احمد اعرابي الى ناحية كفر الدوار ليدافع عن مصر ويتأهب للقتال .

اما الانكليز فقسموا قواهم العسكرية الى فئتين احداهما تحت قيادة القائد ولسلي (الآن اللورد ولسلي القائد العام للجيوش الانكليزية) ومؤلفة من ٧ آلاف مقاتل والاخرى من ٩٠٠٠ تحت قيادة الجنرال هملي ثم عززت انكلترا هاتين الفرقتين بفرق اخرى بعضها من الهند وعدد مقاتليها ١٠ الاف كانت تحت قيادة ماكفرس والبعض الآخر من انكلترا حتى بلغ جيش

الانكليز عدداً عديداً وكان يرأس جميع تلك القوى الجنرال ولسلي اما احمد اعرابي فكان قد حشد جيشاً مؤلفاً من ٨٠ الف مقاتل وزحف بهم على القوة الانكليزية وحصلت بين الفريقين عدة مناوشات طفيفة كانت نتيجتها رجوع القوة المصرية الى القهقري

وفي اثر هذه المناوشات ارسل الجنرال ولسلي جل قواه الى ناحية قنال السويس واختاره مركز الاعمال الحربية وابقى بثغر الاسكندرية الفرق التي كان قائدها هملي ووجه احمد اعرابي فئة كبيرة من جيشه الى التل الكبير يبلغ عددها ٢٥ الف مقاتل وابقى بكفر الدوار ١٢ الفاً واحتل مدينة الصالحيـة وجعل بها حامية عددها ٦ الاف جندي

وفي شهر اغسطس من السنة المذكورة حصلت مناوشات طفيفة في شالوف ونفيش وفي اواخره تقدم ١٢ الف مقاتل مصري الى قرية القصاصين لمفاجئة القوة الانكليزية فجمع الجنرال ولسلي على الفور كل قواه وتقدم لملاقاة المصريين فالتقا الجيشان هنالك في ١٢ سبتمبر سنة ٨٢ وتكافح الخصمان وتقاتلا حتى دارت الدائرة فيها على المصريين فولوا الادبار وفرّ بعضهم الى الزقازيق وهرول آخرون الى القاهرة فاسرع الجنرال ولسلي باحتلال هـذه المدينه الاخيرة وكان دخول الانكليز عاصمة البلاد في ١٥ سبتمبر وبدخولهم أخضع أحمد اعرابي ورؤساء الحزب المصري وسلموا انفسهم الى الجنرال ولسلي فاخذهم أسرى وبعد ذلك حكم المجلس العسكريـ على بعضهم بالاعدام وكان منهم احمد اعرابي ومحمود سامى وعبد العال والروبي وغيرهم

فتوسطت انكلترا وطلبت من الحكومة الخديوية استبدال عقوبة

الاعدام بالنفي المؤبد قلبت طلبها وتفي احمد اعرابي ومحمود سامي وبعض العصاة الى جزيرة سرنديب او سيلان ورتب لاعرابي جنيهاً يومياً وهكذا اصبحت مصر في قبضة انكلترا فتعهدت بتأييد المقام الخديوي واستئصال شأفة الاشقياء والعصاة واجراء كل اصلاح واتمام كل نظام فقبلت منها دول اوروبا هذه التعهدات ورضيت ان تكون هي النائبة عنها في مصر ضناً منها ان تعبث يد الضياع بحقوقها فاحتلت البلاد وكفتها غائلة الطغيان والفساد وانتظمت الجندية فاخلصت لسمو خديويها واطمئنت القلوب وسكنت الروعات ولم يعد الى الفتنة والمشاغب من سبيل

ولانكلترا من جنودها المحتلة الديار المصرية (عند وضع هذا الكتاب) نحو اربعة آلاف جندي يقيم البعض منهم في الاسكندريه والبعض الآخر وهم الاوفر عدداً في مصر في بناء جسيم على شاطىء النيل وفي ثكنات القلعة التي تشرف على المدينه وفي ثكنات العباسيه

هذا وقد طال أجل احتلال انكلترا الديار المصرية حتى ملَّهُ بعض المصريين كما استحسنه البعض الآخر « ولكل من الفريقين شواهد يؤيد بها مبدأه » إلاَّ ان الكثيرين كانوا يظنون ويؤملون ان الدول الاوروبية تتحد عليها يوماً ما وتلزمها على الخروج بالقوة والقسر وقد سمت فرنسا آخر سعيها لمناوأتها باحتلال فشوده والنيل الاعلى سنة ٩٩ الا انها اخفقت في سعيها ولم تشد دولة من الدول أزرها ثم عقدت مع انكلترا معاهدة اخيرة على تحديد املاك كل منهما في القارة الافريقيــة وبمقتضى هذه المعاهدة أيدت انكلترا حقوقها ونفوذها على وادي النيل كله من منبعه حتى مصبه

ولم يتناول الوفاق امراً من امور مصر

وقد شرع الانكليز منذ احتلالهم الديار المصرية في اصلاحها وتقويم اعوجاج ادارتها حتى اتوا مدة ١٧ سنه وهي (مدة الاحتلال الى الآن) باصلاحات كثيرة عادة على البلاد بالفضل العظيم والخير العميم

اهمها : ابطال السخرة من كافة الاعمال ومحو أثر الكرباج الذي كان شائعاً في عقوبات الحكومة لان فلاح مصر كان يعاقب بالجلد إما لتأدية الاموال الاميرية وإمّا للقيام باعمال السخرة او بواهما فرفعوا ظلامته وكفوا ايدي المعتدين عنه ولم يعد من سبيل الى ما كان عليه فاصبح بصيراً بما كان له بعد ان كان مستعبداً لا يعرف كيف ينتفع بزرعه الذي يزرعه بيمينه .

ومن اعمالهم الحسنة تسوية العراقيل المالية التي انهكت مصر وسيرها الآن على مبادىء تيسر لها النهوض من العسر الذي كانت سقطت فيه من اول امرها .

ومن الاصلاح العظيم الذي ادخلوه على نظارة الداخلية بث الامن والطمأنينة في انحاء البلاد وقطع دابر اللصوص . ثم تنظيم المحاكم على وجه قويم ونهج مستقيم حتى اصبحت تضارع المحاكم الاوروبية باستقلال القضاة وسداد الاحكام والعمل بنصوص القوانين التي تحوّر وتعدّل تبعاً للحاجة واكمالا للنقص

ومن اهم شيء الاصلاح الذي ادخل على نظارة الاشغال العمومية ومصلحة الري التي عليها قوام حياة مصر فقد حفرت الترع والجداول في كافة الانحاء ووزعت المياه على الاهلين بالسوية حتى اصبح المزارعون راضين وشاكرين

من حالة الري بما وجدوه من المياه الراوية ظمأ اراضيهم مما لم يعهدوا لذلك مثيلا من قبل ٠

ومن الاعمال العظيمة اصلاح السجون حتى كادت تحاكي سجون اوروبا وتنظيم حال الكمارك وايصال البلدان والمدن الشاسعة بالخطوط الحديدية حتى امتدت من ادنى نقطة في القطر الى اقصاها ٠ ثم اصلاح حال البوسته حتى صارت تضاهي اعظم البوستات الاوروبية اتقاناً ٠

وقد اطلقوا الحرية التامة للمطبوعات والجرائد وشيدوا المساواة بين الغني والفقير واصلحوا وبدلوا وغيروا أموراً كثيرة وبثوا المراقبة من كبار رجالهم ومن الرجال الوطنيين الامناء الاكفاء في كافة مصالح الحكومة

وكان من كبار رجالهم الذين يعزى اليهم فضل اصلاح القطر المصري فخامة اللورد كرومر زعيمهم الاكبر ومعتمد انكلترا السياسي ثم السير الوين بالمر والمستر غورست ومليز وكتشنر وسكوت ومكلريث ومونكريف وجارستن وويلكوكس وجونسون وكروكشنك ودنلوب وكولس وكليار وشارترس ٠

ومما هو جدير بالذكر ان اللغة الفرنساوية كانت من قبل الاحتلال اهم اللغات الاوروبية التي تعلّم بالمدارس ولغة الحكومة الرسمية بعد العربية واما في هذه السنين الاخيرة فقد تغلبت الانكليزية على ما سواها من اللغات في مدارس الحكومة ورأى الناس أن تعلمها ضروري لكل من رام ان يأتي في مصر عملاً او ينال منصباً ٠

واهم ما تم لمصر على ايدي الانكليز في السنين الاخيرتين فتح ام درمان

واسترجاع السودان ثم انشأ الخزان الذي اجمع العالم على نفعه للبلاد وانشاء المصارف في جميع انحاء القطر وتخفيف الضرائب ٢١٦ الف ج٠م٠ في السنة وغير ذلك اصلاحات كثيرة بين ادارية وقضائيه ومالية

ومن اعظم الامور التي تمت في البلاد بعد امتلاك السودان والجلاء مرشان بحملته عن فشوده تحول ميل التجار واصحاب الاموال من الانكليز لتثمير اموالهم في البلاد فانه لم يكن بها منهم لهذا العهد قدر ما كان من الاجانب المختلفي الاجناس فانتبهوا الى مناظرتهم بشدة وشرعوا في تأليف الشركات العديدة بالاموال الكثيرة واخذوا يبتاعون من الحكومة مصالحها شيئاً فشيئاً وكأن الحكومة تقصد بذلك ان لا يمر عليها حين من الزمن الا وهي على نسق الحكومة الانكليزية اكثر اعمالها فيها بيد الشركات

وجملة القول ان الاموال واكثرها انكليزية انهالت على البلاد المصرية كالسيل الوابل وكانت حركة الاعمال حين وضع هذا الكتاب مدهشة غريبة ما رأتها مصر فيما مضى

وكان اصحاب الاموال من المصريين قلما يثمرون اموالهم بغير الاطيان فتغير هذا الميل ايضاً واخرج معظمهم الاموال للمساهمة في الاعمال العظيمة بعد ان كانوا يحتشدونها في اعماق الصناديق حذراً عليها من ان تعبث بها ايدي الظلم والاستبداد

وكان في مصر حب الاستخدام بمصلحة اميرية يأخذ بلب كل شاب اتم دروسه وفتح عينيه في الدنيا ولكن اكثرهم انتبهوا للاعمال الخصوصيه وصاروا يسعون وراء الرزق بغير الاستخدام سعي الانكليز بينهم في استدرار الخيرات

والخلاصة ان روحاً جديدة نشأت في البلاد فأيان اتجه القادم اليها يرى الامن وقد استتب في ربوعها والحضارة وقد عمت انحاءها والحرية وقد صار يتمتع بها في حياته وشؤونه وآرائه كل مصري وساكن مصر . ويرى بلاداً فاقت بما هي عليه من رفعة الشان والتقدم والعمران سائر الاقطار الشرقية حتى ليصح ان يقال عنها « مصر عروس الشرق »



عمل انكلترا في افريقيا

جعلت هذه الدولة نصب عينيها منذ زمن بعيد « القارة الافريقية » غرضاً ينيلها اذ انالته مغنماً عظيماً وملكاً ضخماً فلم تلبث أن حققت امانيها فمدّت سلطانها ونفوذها في هذه القارة العظيمة من شماليها الى جنوبيها وتوصلت بعد اعمال السياسة بصبر وثبات ان احتلت مصر فجعل هذا الاحتلال البحر الابيض المتوسط في قبضتها واصبح بما فيه بحيرة انكليزية يحدها جبل طارق شرقاً وقنال السويس غرباً وتتخللها جزائر مالطه وقبرص وبعض الجزر الصغيرة التي اصبحت محشداً لجيوشها البرية وملاذاً لسفنها البحرية .

وقد آمنت ايضاً باحتلالها مصر على هندها اذ صار قنال السويس وهو طريق آسيا ومفتاحها تحت سلطانها تحافظ عليه اشد المحافظة اذا تحرّج الامر ودعت الحاجة .

ثمّ وطّدت نفوذها بافتتاحها السودان المصري على النيل كله من منشأه في اوغندا جنوباً الى مصبه في البحر الابيض المتوسط شمالاً وصارت كلمتها عليه الكلمة العليا وترى ان يجتمع لها فيه الامران : السياسي بامتلاك افريقيا من المحيط الهندي دون فاصل والتجاري ان تجعله مصدراً وموردا تجتمع كل خيرات افريقيا لتنقلها الى اوروبا .

وكان لديها (عند وضع هذا الكتاب) مشروع انشاء خط حديدي من قنا الى خليج بناريس الكائن في الجنوب الشرقي منها على سواحل البحر الاحمر

وهذا الخليج من احسن المواقع التي يحسن انشاء ميناء فيها . فاذا تمّ هذا الخط اصبح ثغر الاسكندريه متصلاً مباشرة مع البحر الاحمر في خليج بناريس الذي تفد اليه السفن من الهند وجميع ارجاء الشرق الاقصى وهو يقوم مقام قنال السويس في جميع مزاياه لا سيما اذا قضت بعض الحوادث بتعطيل السير في القنال .

ولما كان لها حكومة الكاب في جنوب افريقيا وكان لها في نقيض موقعها الديار المصرية التي تحتلها وكانت املاكها ومستعمراتها متعاقبة بينهما فهي تسعى جهدها لتضمها كلها الى بعضها وتكوّن منها المستعمرة العظيمة الآخذة من الشمال الى الجنوب او المملكة الافريقية العظيمة المحصورة بين البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي . وهي ساعية في مشروع انشاء الطريق من الاسكندرية فدنقله فالخرطوم ففكتوريا نيانزا فالكاب

هذه اعظم امانيها تروم تحقيقها لانه لا يحول دونها حائل كما انه لا يشغلها عن رغائبها في داخليتها شاغل .

« ولله الامر من قبل ومن بعد »

﴿ تم الجزء الاول ﴾